



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الإنسانية

حقوق الانسان في الاندلس في عصري المرابطين والموحدين (٤٨٤-٦٣٢هـ / ١٠٩٢-١٢٣٣م)

رسالة قُدمت

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من قِبَل

رقية علي عبد الزهرة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

محمد عبدالله المعموري

٢٠٢٢م

١٤٤٣هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٧٠﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(سورة الاسراء / آية ٧٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إقرار المشرف

أشهد ان إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (حقوق الانسان في الاندلس في عصري المرابطين والموحدين ٤٨٤-٦٣٢هـ / ١٠٩٢-١٢٣٣م) التي قدمتها الطالبة (رقية علي عبد الزهرة) قد جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع:

اسم المشرف : أ.د. محمد عبد الله المعموري

التاريخ : // ٢٠٢٢م

بناءً على هذه التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع

رئيس قسم التاريخ

الاسم: أ.د. محمد عبدالله المعموري

// ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة (حقوق الانسان في الاندلس في عصري المرابطين والموحدين ٤٨٤-٦٣٢هـ / ١٠٩٢-١٢٣٣م) التي قدمتها الطالبة (رقية علي عبد الزهرة) قد جرى تقويمها علمياً، وقد وجدتها صالحةً من الناحية اللغوية.

التوقيع:

الخبير اللغوي:

/ / ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة ﴿حقوق الانسان في الاندلس في عصري المرابطين والموحدين ٤٨٤-٦٣٢هـ / ١٠٩٢-١٢٣٣م﴾ التي قدمتها الطالبة (رقية علي عبد الزهرة) قد جرى تقويمها علمياً، وقد وجدتُها صالحةً من الناحية العلمية.

التوقيع:

الخبير العلمي:

٢٠٢٢ / / م

الإهداء

الى

شهداء ثورة تشرين الخالدة رحمهم الله واسكنهم فسيح جناته .

أبي العطوف قدوتي ومثلي الأعلى في الحياة .

فهو من علمني كيف أعيش بكرامة وشموخ.

أمي الحنونة لا أجد كلمات يمكن أن تمنحها حقها .

فهي ملحمة الحب وفرحة العمر ومثال التفاني والعطاء .

إخوتي سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني .

الأستاذ الدكتور المرحوم سالم حسين المرشدي رحمه الله.

جميع الأخلاء اهدي إليكم ثمرة جهدي المتواضع

رقية

شكر وامتنان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أبي القاسم محمد

(صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين)

كن عالماً.. فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ...

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكلفت بإنجاز هذا العمل، نحمد الله عز وجل على نعمه التي من بها علينا فهو العلي القدير

ونجد لزاماً علينا أن ننسب الفضل الى اهله وفاءً وعرفاناً، فأتقدم الى الاستاذ الدكتور المشرف "محمد عبدالله المعموري" بخالص الشكر ووافر الامتنان على ما بذل من جهد وتحمل من مشقة جعلها الله في ميزان حسناته، واشكره لتفضله قبوله الاشراف على الرسالة، وعلى طيب تعامله وتقديم نصائحه وتوجيهاته خلال انجاز هذا العمل، فله مني كل الشكر والامتنان.

واوجه شكري واحترامي لأعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم لهذه الرسالة وتصويبي وتوجيهي، فلهم مني كل التقدير والاحترام .

والشكر موصول الى كل أساتذة قسم التاريخ لاسيما أساتذتي في السنة التحضيرية الذين غمرونا بالنصح والعطاء طيلة المشوار الجامعي .

والشكر الى كل الاصدقاء والزملاء وكل من ساندني ومد لي يد العون لإعداد هذه الرسالة من قريب أو بعيد.

الباحثة

المحتويات

الصفحات	الموضوع
أ	الاية
ب	الاهداء
ج	الشكر والعرفان
ز	قائمة المحتويات
٦-١	المقدمة
١٩-٧	التمهيد
٦٥-٢٠	الفصل الأول: حقوق الانسان في الحياة السياسية في بلاد الاندلس
٤٢-٢٠	المبحث الأول: الحق في المشاركة السياسية والحكم
٥٨-٤٣	المبحث الثاني: حق العدل والمساواة
٦٥-٥١	المبحث الثالث: الحق في الشورى
١١٦-٦٦	الفصل الثاني: حقوق الانسان في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الاندلس
٧٩-٦٦	المبحث الاول: حقوق المرأة في بلاد الاندلس
٩٣-٨٠	المبحث الثاني: الحق في حماية الاسواق وتنظيمها في بلاد الاندلس
١٠٤-٩٤	المبحث الثالث: الحق في الرعاية والصحة
١١٠-١٠٥	المبحث الرابع: الحق في الملكية العامة والخاصة
١١٦-١١١	المبحث الخامس: الحق في العدل الضريبي في الاندلس
١٧٣-١١٧	الفصل الثالث: الحقوق الثقافية في بلاد الاندلس
١٤٩-١١٧	المبحث الاول: الحقوق الفكرية
١٧٣-١٥٠	المبحث الثاني: الحقوق الدينية
١٧٥-١٧٤	الخاتمة
١٩٧-١٧٦	المصادر والمراجع
A	الملخص باللغة الانكليزية

مُقَلَّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

ان حقوق الانسان هي حقوق موروثة ينالها الانسان من إذ انه انسان، فلا ينالها المؤمن دون الكافر او الرجل دون المرأة او المحسن دون المسيء، انما ينالها بنو البشر جميعاً من إذ انهم بشر، ومرجعية حقوق الانسان هي وجدانية، إذ ولد الانسان وهو يعيش الإحساس بحقه في ان يحيا وان يحيا حياة كريمة وان يتمتع بالمساوات مع جميع أبناء جنسه وله حق حرية العقيدة وحق الاخوة والمحبة والتراحم، وحق الاحتكام الى القضاء العادل عند الاختلاف.

استطاعت الدولة الاسلامية منذ تأسيسها أن تجعل تطبيق مبادئ حقوق الانسان انموذجاً على جميع الاصعدة وشملت جميع النواحي الحياتية في الدولة وكفلت حق اهل الذمة قبل حق المسلم وحفظت حقوق المرأة وكفلت الرعاية الصحية للجميع منذ عهد الرسول الكريم حتى وقتنا الحاضر.

فحقوق الانسان في الشريعة الإسلامية هي حقوق سياسية واجتماعية ومسؤولية الدولة في ضمانها مسؤولية إيجابية وعلى هذا الأساس العقيدي تتقارب كل الحقوق التي تضمن كرامة الانسان في شريعة الإسلام، الامر الذي يبين للجميع ان الدولة الاسلامية سبقت الجميع في هذا المجال وان ما قدمته من تطبيق لهذه الحقوق فاق ما يتغنى به دعاة حقوق الانسان في وقتنا الحاضر.

يعد موضوع حقوق الانسان من المواضيع التاريخية المهمة التي لم تحظ باهتمام واسع من قبل الباحثين وربما يعود السبب في ذلك الى قلة المادة التاريخية المتوفرة فضلاً عن تناثر المعلومات في طيات الكتب والمراجع مما يستلزم من الباحث

جهداً مضاعفاً بغية الوصول الى هذه المعلومات وتوظيفها بالشكل الذي يخدم وحدة الموضوع وفي خضم هذه الاهمية والتصدي للمعوقات أثرت على نفسي الولوج في ثنايا هذا الموضوع والغور في أعماقه لتكوين فكرة تاريخية عن موضوع اجتماعي يحظى بأهمية كبيرة عبر العصور وحتى وقتنا الحاضر.

وقد جاءت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

تناولنا في التمهيد تعريف حقوق الانسان في اللغة والأصطلاح والجذور التاريخية لحقوق الانسان واهم الحقوق التي أكد عليها الاسلام وكفلها.

اما الفصل الاول جاء بعنوان حقوق الانسان في الحياة السياسية في بلاد الاندلس خلال عصر المرابطين والموحدين وتضمن ثلاثة مباحث المبحث الاول بعنوان حق المشاركة السياسية والحكم في بلاد الاندلس والمبحث الثاني حق العدل والمساواة والمبحث الثالث الحق في الشورى وجاء الفصل الثاني بعنوان الحقوق الثقافية وتضمن مبحثين المبحث الاول بعنوان الحقوق الفكرية والمبحث الثاني الحقوق الدينية وجاء الفصل الثالث بعنوان حقوق الانسان في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الاندلس وتضمن خمسة مباحث المبحث الاول تناول حقوق المرأة في بلاد الاندلس والمبحث الثاني الحق في حماية الاسواق وتنظيمها في بلاد الاندلس والمبحث الثالث الحق في الرعاية والصحة اما المبحث الرابع جاء بعنوان الحق في الملكية العامة والخاصة والمبحث الخامس تناوله الحق في العدل الضريبي في بلاد الاندلس، وأخيرا الخاتمة او ما توصل اليه البحث من نتائج.

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع بعضها ذو فائدة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها والبعض الاخر ذو فائدة ثانوية، وقد تنوعت تلك المصادر فمنها كتب التاريخ وكتب الجغرافية ومنها كتب الطبقات والتراجم ومنها كتب النوازل والادب فضلا عن المراجع الحديثة واهم هذه المصادر والمراجع هي:-

اولا- كتب التاريخ العام

تحتل كتب التاريخ اهمية بالغة لدراسة الحقب الزمنية المختلفة لتاريخ المغرب والاندلس وهي مصادر لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها وركزت هذه المصادر على العديد من الجوانب كان ذلك مفيدا لنا.

١- البيان المغرب في الاندلس والمغرب يرجع هذا الكتاب لمؤلفه ابن عذاري المراكشي (ت ٧١٢ / ١١١٢م)، حققه احسان عباس كتاب متخصص لدراسة تاريخ المغرب والاندلس لا يمكن الاستغناء عنه بأجزائه الاربعة لاسيما في دراسة المغرب والاندلس.

٢- الانيس المطرب بروض القرطاس كتاب يرجع لمؤلفه ابن ابي زرع الفاسي (ت ٧٢٦ / ١٣٢٦م)، استفدت من هذا الكتاب في موضوعات كثيرة منذ بداية دولة المرابطين بجنوب الصحراء وافادني كذلك في موضوعات اخرى في الدراسة.

٣- كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لأبي العباس احمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١ / ١٦١٣م)، ويعد هذا الكتاب من المصادر الاساسية في تاريخ الاندلس ولا يمكن لأي باحث ان يستغنى عنه كونه متضمناً روايات مهمة عن تاريخ العرب وحضارتهم في بلاد الاندلس قد اخذها من عدد من المؤلفين المعاصرين للأحداث والتي ضاعت معظم مؤلفاتهم ولم نحظى بها مثل مؤلفات الرازي ومؤلفات ابن حيان القرطبي وغيره وقد اخذت من هذا الكتاب كثيرا في اغلب محاور هذه الدراسة.

ثانيا: كتب الادب:

١- كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ / ١٢٨٦م)، والذي تناول فيه مؤلفه تراجم رجالات بلاد الاندلس وحكامها واورد

معلومات وافيه عن سيرتهم وقد افدنا منه احداث عن واقع حقوق الانسان خلال فترة الدراسة.

٢- كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ابي الحسن علي بن بسام (ت ٥٤٢ / ١١٤٨م)، ويعد من اهم الكتب الادبية التي وردت فيها صفحات عن احداث الاندلس باسلوب ادبي وافدنا منه في الدراسة.

ثالثا: كتب الجغرافية:

١- كتاب معجم البلدان لشهاب الدين ابي عبدالله الرومي المعروف بياقوت الحموي (ت ٦٢٦ / ١٢٢٨م) وهو معجماً جغرافياً لجميع مدن العالم الاسلامي مقسم الى سبعة اجزاء حسب حروف المعجم وقد اتصف بسعة المادة وغازارة المعلومة وكان مؤلفه الحموي مؤرخا واديبا ورحالة وزار عدد من البلدان الاسلامية مثل الشام والعراق وخراسان فمنحه ذلك معرفة واسعة عن احوال المدن التي زارها وكانت مدن بلاد الاندلس في متناول اهتمامه فذكر عنها معلومات قيمة افادت موضوعات الدراسة.

٢- كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار لابي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠ / ١٤٩٤م) ويعد من الكتب الاندلسية المهمة في جغرافية وتاريخ بلاد الاندلس وحضارتهم والذي جاء مرتباً بحسب حروف المعجم وحمل الكتاب في طياته معلومات تاريخية فضلا عن المعلومات الجغرافية التي افادتنا في ترجمة بعض المواقع الجغرافية.

رابعا: كتب الحسبة والنوازل:

تعد كتب الحسبة في بلاد الاندلس من المصادر المهمة التي اعتمد عليها البحث في الكشف عن دور مؤسسات الدولة في رد الحقوق الى افراد المجتمع وتأتي وظيفة الحسبة في مقدمة الوظائف التي ارتكز عليها نظام الدولة الاسلامية في الاندلس

والتي عملت جاهدة على نشر العدالة بين ابناء المجتمع الاندلسي وذلك متمثل في عمل المحتسب ودوره في ضبط اصحاب المهن والحرف كافة ومنعهم من الغش ومراقبة الاسواق وتنظيمها. ومن هذه الكتب في الحسبة:

١- رسالة محمد بن احمد بن عبدون في القضاء والحسبة وهي ضمن ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب.

٢- رسالة احمد بن عبدالله بن عبد الرؤف في آداب الحسبة والمحتسب وهي ضمن ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب.

٣- رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسقي في الحسبة وهي ضمن ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب.

٤- كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب لمؤلفه الونشريسي ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤ / ١٥٠٨م)، يضم هذا الكتاب مجموعة ضخمة من النوازل والفتاوى الفقهية التي افدنا منها في مختلف فصول الرسالة.

خامسا: المراجع الحديثة:

لا يمكن الاستغناء عن المراجع الحديثة بأي حال من الاحوال لما تقدمت من معلومات قيمة لا نتمكن من الحصول عليها من المصادر الاولى بالإضافة لما توصل اليه ودونه مؤلفيها من استنتاجات وتحليلات تستحق الاخذ بها ومن هذه الكتب:

١- دولة الاسلام في الاندلس للأستاذ محمد عبدالله عنان وهو من المؤلفات الحديثة المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لما يمتلكه من معلومات قيمة اثرت جميع فصول الدراسة وقد نقلها من مصادر عربية واخرى اجنبية تعذر لنا الحصول عليها من المصادر الاولى.

٢- كتاب مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين لمؤلفه ابراهيم القادري بوتشيش إذ افدنا في الحياة الاجتماعية للدولة في كثير من فصول الدراسة كما اعتمدنا على تاريخ المغرب والاندلس في عصر المرابطين لنفس المؤلف الذي افادني خاصة في مظاهر الحياة الاجتماعية.

وأعتمدت الدراسة فضلاً عن المصادر الأنفة الذكر على بعض الرسائل والأطاريح الجامعية، فضلاً عن المجالات العلمية التي اسهمت بشكل فعال في رفد الدراسة بمعلومات قيمة.

والحقيقة التي لا بد من ذكرها هو أن الدراسة واجهت صعوبات متعددة فالبحث بتاريخ الاندلس ليس بالمهمة اليسيرة لاسيما في جانب حقوق الانسان والجانب الاجتماعي لان اغلب ما تناوله المؤرخون المسلمون كان يتعلق بالجانب السياسي وتدوين سيرة الحكام والامراء ولم يتطرقوا لحقوق الانسان في بلاد الاندلس ولم يول حقوق الانسان الاهمية المطلوبة لذلك واجهنا الكثير من الصعوبات في الحصول على المادة التاريخية فلم يحصل الباحث على مادة جاهزة فضلاً عن ان بعض المعلومات التي قدمها المؤرخون اتسمت بكونها مقتضبة ومتناثرة في بطون مؤلفاتهم مما تطلب الصبر والتأني بغية توظيف كل نص في مكانه المناسب له، واخيراً لا يتحرج الباحث من القول ان الذي يبحث في تاريخ الاندلس كفنان النحت الذي يبذل جهداً كبيراً في نحت الصخور بغية ان يعطي منحوتة صورته الجميلة.

وما انتهيت إليه في هذه الدراسة هو غاية ما بذلت من جهد فإن أصبت فيما كتبت فهو فضل من الله جل شأنه أحمده عليه، وإن أخطأت فيه فهو طبيعة النقص الإنساني، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحثة

مَهْدِي

التمهيد

تعرف عادة حقوق الانسان، بأنها تلك المكتسبات التي يمتلكها المرء ببساطة لأنه انسان، وهي نوع معين من الممارسة الاجتماعية المبنية على مفهوم الكرامة الإنسانية. بمعنى اخر هي تلك الحقوق التي تؤول إلى الفرد ببساطة لأنه بشرا. فالحق لغة يعني مصدر نقيض الباطل وتجمع على حقوق وحقوق كما تدور كلمة الحق لمعان عدة منها الثبوت والوجوب والاحكام واليقين والصدق وهو نقيض الباطل^(١) ويذكر الفيروز ابادي^(٢) أن "الحق اسم من اسماء الله تعالى ومن صفاته، وذكر في القرآن الحق ضد الباطل، والامر المقضي، وتنفيذ العدل في الاسلام وفي المال وفي الملك، وفي الوجود الثابت وفي الصدق والموت والعزم ووحدة الحقوق".

اما معجم مصطلحات حقوق الانسان فقد عرف الحق بانه (قدرة لشخص من الاشخاص على ان يقوم بعمل معين يمنحه القانون له ويحميه تحقيقا لمصلحة يقرها، وان كل حق يقابله واجب)^(٣) اما مفهوم الحق اصطلاحاً هو الامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وقيل الصواب إصابة الحق، والفرق بين الصواب والصدق والحق، أن الصواب الامر الثابت في نفس المرء الذي لا يسوغ انكاره والصدق هو الذي يكون ما في الذهن مطابقا لما في الخارج، والصواب خلاف الخطأ وهما تستعملان في المجتهديات، والحق والباطل يستخدمان في المعتقدات^(٤) ويعرف الحق ايضا بأنه طلب او امتياز أو سلطة أو حصانة يمتلكها الافراد في مواجهة الدولة، فتصبح بمثابة قيود عليها يدفع صاحب الحق الى المطالبة به استناداً إلى أسس اخلاقية وثقافية مقبولة في المجتمع^(٥) ومفهوم الحق لدى فقهاء القانون هو تلك الرابطة القانونية التي بمقتضاها

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٩٦٩.

(٢) القاموس المحيط، ص ٢٤٧.

(٣) عبد الكافي، حقوق الانسان العامة، ص ٢٠٩.

(٤) قرقر، حقوق الانسان، ص ٢٢.

(٥) يوسف عواد وآخرون، حقوق الانسان، ص ١٤٤.

يخول الشخص على سبيل الانفراد الاستئثار والتسلط على شيء، أو اقتضاء أداء معين من شخص آخر^(١).

منذ ان ولد الانسان ولدت معه حقوقه لكن الوعي بهذه الحقوق والاعتراف بها ومن ثم التمتع بها اتخذ مسيرة طويلة في التاريخ البشري وستبقى مسيرة حقوق الانسان مستمرة طالما وجد الانسان على هذه الارض وسيزداد الوعي بحقوق الانسان وسيتنامى الاهتمام بهذه الحقوق ونوعية هذه الحقوق مما يعني ولادة حقوق جديدة كما ينبغي ان ندرك ان حرمان الانسان من حقوقه امر لا يمكن استبعاده طالما ظل الظلم من شيم بعض النفوس البشرية لكن مسيرة حقوق الانسان في تاريخ البشرية حققت مكاسب كبيرة ويعود الفضل في ذلك الى نضال الافراد والشعوب عبر التاريخ ضد الظلم والطغيان ولقد ساهمت الشرائع السماوية والحضارات القديمة في وضع بذور مسيرة حقوق الانسان منذ زمن بعيد فكل الشرائع السماوية اولت الانسان وحقوقه الاهتمام الاول كما ان سمة جميع الحضارات هي الاحترام الذي توليه لكرامة الانسان وحرية وجميع الديانات والتقاليد الثقافية تحتفل بهذه المثل ومع ذلك فان هذه الحقوق قد انتهكت على مر التاريخ^(٢) مر الاهتمام بحقوق الانسان بمراحل تطور مختلفة، اذ ان بداية هذا الاهتمام انما يعود إلى الحضارات القديمة التي اولت الانسان عناية كبيرة ولكن بدرجات متفاوتة بين حضارة واخرى. وفي الواقع لا يمكن نكران ما قدمه مفكرو الحضارات اليونانية والمصرية ووادي الرافدين في ميدان حقوق الانسان من اسهامات كبيرة في هذا المجال.

اما حضارة وادي الرافدين التي تعد من اقدم الحضارات البشرية وابرزها اهتماما بحقوق الانسان، ففي بلاد سومر ظهرت ولأول مره في التاريخ حدود الملكية الشخصية وتوضحت العلاقات الاقتصادية بين الفرد والدولة وبين الافراد انفسهم، وتم

(١) العيلي، الحريات العامة، ص ١٧٦.

(٢) هادي، حقوق الانسان، ص ٣.

تنظيم العلاقات الاجتماعية بابعادها المختلفة^(١) وتمثل اصلاحات العاهل السومري اورو-كاجينا (٢٣٥٠-٢٣١٣) ق. م حاكم مدينة لكش اقدم اصلاحات اجتماعية واقتصادية عرفها التاريخ، وقد عثر على اربع نسخ من هذه الاصلاحات مدونة على رقم من الطين باللغة السومرية وبالخط المسماري وابرز ما جاء في هذه الاصلاحات منع الاغنياء والكهنة والمرابين من استغلال الفقراء وساهم في رفع المظالم التي كانت تقع على الفقراء وقد ورد نص في هذه الوثيقة يقول (بيت الفقير صار بجوار بيت الغني) دلالة على رغبة اورو كاجينا في تحقيق المساواة في مجتمع دولة مدينة وقد قام بالفعل بوضع القوانين التي توفر للشعب الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة^(٢) اما مجموعة قوانين اورنمو التي اعقبت اصلاحات اورو- كاجينا زمنيا فقد كتبت باللغة السومرية ايضا، وتتألف من (٣١) مادة قانونية عالجت عدد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية، واكتفى اورنمو في قانونه بفرض الغرامة على المدان بأية جريمة كانت بدلا من العقوبة البدنية، ومن القوانين التي تضمنت حقوق الانسان في العراق القديم قانون لبت عشتار الذي اصدره الملك لبت عشتار خامس ملوك سلالة ايسن (١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م) ومن الحقوق التي اكدها قانون لبت عشتار هي حماية طبقة العبيد ومنع الاساءة اليهم وأوجب انصافهم، ومنع تعذيب الانسان للانسان، وضمن حقوق الطفولة^(٣) ويعد قانون اشنونا ايضا من اقدم القوانين المدونة باللغة الاكدية التي وضعها الملك بلا لاما سنة (١٩٩٢ ق. م) تتألف من ديباجة و(٦١) مادة قانونية عالجت جوانب اجتماعية واقتصادية ورفع المعاناة الاقتصادية عن المواطنين حدد اسعار السلع والخدمات والمواد الاساسية التي يحتاجها الانسان لأدامة حياته، كسعر الحبوب والزيت والصوف وملح الطعام والنحاس واللحوم إضافة الى الحقوق التي وردت في

(١) ابو الصوف، قراءة في المضمون القانوني للشرائع، ص ٥.

(٢) العطار، ملامح حقوق الانسان، ص ١٤.

(٣) بيرم، حقوق الانسان، ص ١٨.

القوانين السابقة^(١) أما شريعة حمورابي فهي أول شريعة قانونية إنسانية مدونة باللغة البابلية وبالخط المسماري على مسلة من حجر الدايوراييت الأسود، وتتألف هذه الشريعة من (٢٨٢) مادة قانونية تعد مصدراً تاريخياً للعديد من القوانين الوضعية القديمة^(٢) ويبدأ حمورابي شريعة بمقدمة طويلة يبين فيها الأسباب التي دعت له لوضع تلك الشريعة، ثم يمجّد الإلهة التي طلبت منه وضع هذه الشريعة لنشر العدل في البلاد وتعد شريعة حمورابي من أشهر القوانين التي اهتمت بحقوق الإنسان وقد عالجت شريعة حمورابي مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والمهنية وتضمنت مواد الشريعة أحكاماً تتعلق بالقضاء والشهود والسرقة والنهب والزراعة والقروض ومسائل الزواج والطلاق والتبني والتربية وكل ماله صلة بالأسرة فضلاً إلى مواد تخص العقوبات والغرامات^(٣) وهناك العديد من رقم الطين مدونة بالخط المسماري لقوانين آشورية تتطرق في عدد من موادها إلى حياة المرأة الآشورية وأخرى تعود للعصر البابلي الحديث عصر (نبوخذ نصر الثاني ٦٠٥-٥٦٢ ق. م) وهناك أمثلة عديدة لما حوته تلك القوانين والشرائع من حقوق للمرأة كحق التعليم وحق إدارة أملاكها الخاصة بنفسها وكان للمرأة في العراق القديم الحق في ممارسة أعمال ومهن مختلفة والقيام بواجبات ضمنها لها القانون والمجتمع، فقد شاركت نساء سومريات معروفات أزواجهن الأمراء والحكام في الإشراف على شؤون الدولة وتصريف الأمور المالية وجمع الضرائب وتوزيع الأرزاق وترأس الاحتفالات وكان منهن كاهنات، وشغلت نساء بارزات في المجتمع الآشوري مناصب كبيرة في الدولة وهناك نص مسماري من القرن الثامن عشر قبل الميلاد يشير إلى أن المرأة قد ساهمت مع هيئة من المحلفين أمام مجلس للقضاء في مدينة نمر^(٤) ويتضح مما سبق

(١) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الإنسان، ص ٢٤.

(٢) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الإنسان، ص ٣٠.

(٣) هادي، حقوق الإنسان، ص ٧.

(٤) أبو الصوف، حقوق المرأة في شرائع العراق القديم، ص ٨.

ان حضارة وادي الرافدين تعد من اقدم الحضارات الانسانية التي أولت اهتماما منقطع النظير بحقوق الانسان وحرياته، وحرصت دائما على انصاف المظلوم وحماية حقوق الضعيف ومنع استغلال الفقراء واشاعة العدل بين الناس.

فقد حاول المفكرون اليونانيون ايلاء الانسان وحقوقه قدرا كبيرا من الاهتمام في كتاباتهم، اذ يعد الانسان أحد اعظم المعجزات في الدنيا على حد قول المفكر اليوناني سوفوكليس قبل حوالي (٢٥٠٠) ق م^(١) الا ان ما يؤخذ على الحضارة اليونانية انها أقرت الاسترقاق ونصت على الناقصة بالاستناد الى طبيعة التكوين الاجتماعي والسياسي للمجتمع، وبالتالي فان المشاركة السياسية كانت قاصرة على الطبقة المتنفذة ذات القاعدة الاقتصادية والاجتماعية فيه يضاف الى ذلك ان التقسيم الطبقي للمجتمع اليوناني كان ينفي فكرة المساواة المطلقة بين الافراد، ذلك ان مفهوم المواطنة هو امتياز يمنح صاحبه حق المشاركة في النشاط السياسي وفي الشؤون العامة^(٢).

وكان للمدن اليونانية سلطان مطلق على مواطنيها في الحياة العامة بدءا بالخدمة العسكرية التي تدوم مدة طويلة في حياتهم وحق مصادرة الثروات والاملاك، كما كان لها ان تحاكم مواطنيها ليس بسبب ارتكاب الجرائم فقط بل لمجرد الشك بهم وخاصة إذا كانوا يشكلون خطرا على النظام السائد وكانت عقوبة الابعاد معروفة في مختلف المدن اليونانية وكانت مشيئة الدولة تطال حتى حياة المواطن الخاصة، فكان يحرم عليه البقاء عازباً في بعض المدن أو الزواج متأخراً، وكانت الدولة تفرض عليه شرب الخمر الصافي بينما تمنع النساء من تناوله^(٣) فالحضارة اليونانية لم تعرف الحريات المدنية كما ان المواطنين فيها لم يعرفوا الحرية الفردية وأما الحريات

(١) مصطفى، حقوق الانسان، ص ٢٣.

(٢) مصطفى، حقوق الانسان، ص ٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٨.

السياسية فكانت لطبقة من الشعب وليس لعامته، فالفرد كان اداة في خدمة الدولة وأن الدولة هي النظام الذي يسمو على الافراد المكونين لها^(١).

اما طبقة الارقاء فانهم على حد قول ارسطو من صنع الطبيعة التي جعلت العبيد من الادوات التي لا بد منها لتحقيق سعادة الاسرة اليونانية، كذلك المرأة لم تكن أوفر حظا من العبيد في الحصول على حقوقها وكانت تجرد من كافة حقوقها المدنية ويحظر عليها مزاوله أي عمل من الاعمال^(٢) ونتيجة لما تقدم يتضح لنا عدم وجود مساواة مطلقة عند اليونانيين، وذلك لانعدام التوازن الاجتماعي الذي كان السمة الغالبة في المجتمع اليوناني حتى ظهرت الفلسفة الرواقية التي نادى بالاخوة الانسانية والمواطنة والمساواة بين البشر وبتحرر الافراد من القوانين الوضعية^(٣).

ومن ابرز المفكرين اليونانيين الذين اهتموا بالسياسة وحقوق الانسان هو صولون الذي اصدر قانونا عرف باسم (قانون صولون) الذي منح الشعب حق المشاركة في السلطة التشريعية وأعطى للشعب حق انتخاب قضاته وحررهم من ديونهم وأطلق سراح المسترقين، ومنع استرقاق المدين، والتنفيذ على جسمه كوسيلة لإكراهه على الوفاء بالدين^(٤).

اما في ظل الحضارة الرومانية فقد كان التقسيم الطبقي والتفاوت في الحقوق والواجبات هو السمة البارزة في المجتمع الروماني، اذ قسم الى طبقتين هما طبقة الاشراف وطبقة العامة، فالمساواة امام القانون كانت معدومة بين الطبقتين ولم يعترف للطبقة العامة بحقوق المواطنة، ومنعوا من المشاركة في المجالس الشعبية كما لم يعترف لهم بالمساواة امام القضاء بل كانت تنطبق عليهم قواعد قانونية خاصة^(٥).

(١) الساموك، حقوق الانسان، ص ٣٠ .

(٢) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الانسان، ص ١٩ .

(٣) مصطفى، حقوق الانسان، ص ١١٩ .

(٤) الساموك، حقوق الانسان، ص ٣٣ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٠ .

وعلى غرار الفكر اليوناني فقد كانت المرأة منتهكة الحقوق عند الرومان فلا يحق لها الانتخاب أو الترشيح أو تولي الوظائف العامة وتم تجريدها من حقوقها السياسية والمدنية في مختلف مراحل حياتها فممنذ ولادتها كانت تخضع لسلطة رب الأسرة المطلقة في كافة حقوقها، كحق الحياة والموت والطرده من الأسرة وحق بيعها كالرقيق، وعرف الرومان نظام الرق إذ المعاملة القاسية والحاطة بالكرامة للرقيق إذ كانوا يعملون في الاقطاعات نهاراً ويتم تقييدهم بالسلاسل وتفرض بحقهم اشد العقوبات ليلاً^(١). وفي مصر فقد اسهمت الحضارة المصرية القديمة في مجال حقوق الانسان وحرياته بشكل واضح اختلف عما هو عليه الحال في الحضارتين اليونانية والرومانية، اللتان اتسمتا بالتقسيم الطبقي وانعدام المساواة إذ ان هدف القانون الذي طبقه إله الشمس حاكم مصر آنذاك، هو تحقيق العدل وإحقاق الحق والصدق، على اساس انه قانون منزل من السماء، فقد خضع له الحكام مدة طويلة وبه تحققت سعادة الشعب، وأوجب هذا القانون عدم التفرقة بين رجل مهم وآخر من اصل متواضع، وعدم ايقاع عقوبة غير عادلة، ومساعدة الضعيف وعدم جواز القتل^(٢) ثم جاءت مدة اخناتون الذي دعا الى التوحيد والسلام والتسامح والرحمة والى تحقيق العلم للجميع دون تمييز. كما قدم المعلمون المصريون والحكماء القدامى في اطار التعليم والتربية كثيراً من المثل المرتبطة بحقوق الانسان كتبت للشعب على قطع من الخزف والحجر^(٣) والى جانب الحضارات المصرية القديمة تعد الحضارات الشرقية كالصينية والهندية من الحضارات التي اهتمت بحقوق الانسان والعلاقات الانسانية اذ جعلت هذه الحضارات ارتباطاً وثيقاً بين التعاليم الدينية والنظرة الى الانسان وحقوقه فالهندوسية التي ظهرت في المدة ١٥٠٠-١٣٠٠ قبل الميلاد وأنتشرت من الهند الى مناطق ومجتمعات جنوب شرقي اسيا استندت في قوانينها الخاصة بحقوق الانسان الى بعض

(١) شطناوي، حقوق الانسان، ص ٢٣.

(٢) الساموك، حقوق الانسان، ص ٧٨.

(٣) هادي، حقوق الانسان، ص ١٠.

النصوص المقدسة الخاصة بها وهي النصوص التي نسبت الى براهما (الاله الهندوسي) او الى اعماله ولاسيما تلك المرتبطة بالخلق^(١) ومن الهند انطلق بوذا (٥٦٠-٤٨٠ ق. م) الذي لم يدع ديناً وانما حلاً عملياً للحياة وانتشرت تعاليمه في الصين واليابان وفي جنوب شرقي اسيا، فقد جاء في تعاليمه الكثير من مبادئ المساواة والحرية ونشر العدالة ويرى بوذا ان لا فرق بين جسم الامير وجسم المتسول الفقير وكذلك لا فرق بين روجيهما، اما في الصين فقد تجلت حكمة كونفوشيوس (٥٥٠-٤٧٩ ق. م) في نشر العدل والدعوة الى الاخاء العالمي والامن والسلام بين الناس وشدد هذا الفيلسوف الصيني في تعاليمه على خدمة الانسان للإنسان ايا كان.. ورأى ان الظلم هو رذيلة الرذائل..^(٢)

أما بخصوص الديانة اليهودية فقد بنيت على التوراة وما أضيف إليها مما رواه احبار اليهود مدعين نقله عن موسى (عليه السلام) وكذلك الشروح والتفسير التي ألقت بمجموعها ما سمي بالتلمود، ولم تغفل هذه الشريعة عن مسألة حقوق الانسان وحرياته ولكن ليس على اساس المساواة والعدالة بين البشر وإنما لفئة معينة من اتباع الشريعة اليهودية^(٣).

أولت الديانات والشرائع السماوية الانسان وحقوقه اهتمامها الاول وتعد الديانة المسيحية من الشرائع السماوية التي تدعو الى التوحيد والاهتمام بحقوق الانسان وحرياته الاساسية، فقد اكدت على كرامة الانسان الذي يستحق الاهتمام والتقدير وعلى المحبة والتسامح والسلام بين البشر، وحماية الضعفاء والمحافظة على حقوق الناس، والغاء العنصرية والتباغض بين البشر والغاء عقوبة الاعدام^(٤) فقد قدمت تعاليم السيد المسيح (عليه السلام) صوراً واضحة لقيم المساواة واحترام خصوصيات الفرد، وجعلت

(١) الباش، حقوق الانسان، ص ١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٣) المحمصاني، اركان حقوق الانسان، ص ٢٦.

(٤) شنتاوي، حقوق الانسان، ص ٢٧.

للإنسان مكانة رفيعة مؤكدة ان البشر اخوة انطلاقاً من أبوتهم الواحدة^(١) الا ان ما يؤخذ على الديانة المسيحية وهو عدم معالجتها لحقوق الانسان معالجة دينية شرعية خاصة، بل كان للكنيسة وما تطرحه من أفكار دور كبير في معالجة هذه الحقوق، وكانت ومنذ القرون الوسطى بعيدة عن الاعتراف بالحرية والمساواة^(٢) فقد عاش الفقراء باضطهاد واستغلال من الاغنياء، واصبحوا عبيداً على ضوء التقسيم الطبقي للمجتمع المسيحي انذاك، وهذا ما يتناقض مع قول المسيح (عليه السلام) (ما أسعدكم أيها الفقراء فلکم مملكة الله)^(٣).

ان المسيحية إذا كانت قد دعت إلى حرية العقيدة فإنها أهملت غيرها من الحريات إذ كانت حرية الديانة هي الشيء الوحيد الذي يعلو في نظرها، ولذلك ما إن تمكن رجال الدين من السلطة حتى ألحقوا بالأفراد ألواناً من الطغيان والاضطهاد^(٤).

اما حقوق الانسان في الاسلام لما كان الاسلام آخر الاديان السماوية وكان محمد (ص) هو خاتم النبيين، فان الاسلام هو دين للبشرية جمعاء وللتاريخ كله دون الاقتصار على شعب بعينه او منطقة محددة او حقبة من التاريخ، وقد اقر الاسلام بشريعته السمحاء حقوق الانسان منذ اكثر من اربعة عشر قرناً وهذه الحقوق ليست حقوق طبيعية بل هي هبة إلهية تركز الى مبادئ الشريعة والعقيدة الاسلامية مما يجعلها مقدسة ومضمونة ضد اعتداءات السلطات عليها، ولم يترك القرآن الكريم امراً الا تحدث عنه بالنسبة لحقوق الانسان والقرآن الكريم هو المصدر الاساس للشريعة الاسلامية^(٥) ويمكن القول بأن موقف الشريعة من قضية حقوق الانسان قد جاء بمثابة فتح جديد في تاريخ البشرية، قامت به هذه الشريعة باعتبارها ديناً عالمياً، جاء ليخلص

(١) الساموك، حقوق الانسان، ص ٤٤.

(٢) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الانسان، ص ٢٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩.

(٤) البياتي، النظام السياسي الاسلامي، ص ٣٢.

(٥) هادي، حقوق الانسان، ص ١١.

البشرية من الضلال وليرفع عن كاهلها المعاناة، فكان لها الفضل في تقديم أرقى مضامين الحرية ووضع الاساليب التي تمكن الافراد من ممارسة حقوقهم وحياتهم الشخصية^(١) ووفقاً للقرآن الكريم وسنة الرسول (ص) فان الاسلام نظام متكامل يشمل كل جوانب الحياة ويضمن حرية الانسان وحقوقه في اطار مبادئ الشريعة ويستند الى التضامن بين الافراد والمجتمع وفي اطار المسؤولية الاجتماعية وبالرغم من ان القرآن والسنة النبوية الشريفة تضمنت المبادئ الاساسية التي تنظم حقوق الانسان فان المصدرين الاساسيين يسمحان لكل مجتمع بتطبيق هذه المبادئ وفقاً لظروف واطوار هذا المجتمع^(٢).

ولو تمنعنا جيداً في الأحكام التي تضمنها القرآن الكريم باعتباره المصدر الرئيس للتشريع الاسلامي والسنة النبوية بوصفها المصدر الثاني، سنجد بأن هناك المئات من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي بينت بوضوح ما يجب ان يتمتع به الانسان من حقوق جوهرية مهمة^(٣) بل ان الاسلام قد بلغ في الايمان بالإنسان، وفي تقديس حقوقه الى الحد الذي عدها من "الضروريات" وأدخلها في إطار "الواجبات"^(٤) ومن بين اهم الحقوق الجوهرية للإنسان فهو أساس كل الحقوق وعليه تبنى جميعها هو حق الحياة، فهو حق مقدس ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليه لكونه هبة من الله تعالى وليس للإنسان فضل في إيجاده تجسداً لقوله تعالى ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٥) ولحرمة النفس فإن الله عظم اجر من حفظها وعظم وزر من مسها

(١) الساموك، حقوق الانسان، ص ٥٨.

(٢) هادي، حقوق الانسان، ص ١١.

(٣) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الانسان والطفل والديمقراطية، ص ٣١.

(٤) عماره، الاسلام وحقوق الانسان، ص ١٤.

(٥) سورة المائدة، الآية ٣٢.

بسوء^(١) ومن احيائها اي استنقذها من ان تهلك من غرق او حرق، او هلاك^(٢) فقد وجبت الجنة له، وان النار وجبت على من قتل نفساً واحدة وكما احتوى كتاب الله على الكثير من الآيات التي تحت على العناية بحقوق الانسان وحياته وحفظ حياته، فجاءت السنة النبوية الشريفة غنية بالاحاديث التي تحتوي على اهتمام واسع بحقوق الانسان وحياته والتي هي امتداد للقرآن الكريم، استنباطاً لقوله تعالى ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ أَهْوَىٰ ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ﴾^(٣) واهم دليل على حق الحياة في السنة النبوية هو ما ورد في حجة الوداع من وصايا بحفظ حقوق الانسان ومنها حق الحياة إذ قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) "فان دماءكم واموالكم قال واحسبه قال اعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلال يضرب بعضكم رقاب بعض الأهل بلغت..."^(٤)

وان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) يؤكد على مبدأ المساواة والعدالة والحرية سواء للمسلم وغير المسلم، الرجل والمرأة والعبد والحر، اي كلهم سواء في تقرير حرمة الدم، واستحقاق الحياة الكريمة ونيل الحقوق^(٥) ومن الحقوق الاخرى التي أقرها الاسلام للإنسان حقه في اختيار عقيدته ودينه دونما اجبار أو اكراه وهو من اهم حقوق الانسان بعد حقه في الحياة وقد نص عليه القرآن الكريم بشكل واضح وصريح في قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ﴾^(٦) وعلى اساس ذلك فإن الاسلام يترك للإنسان مطلق الحرية في اختيار عقيدته أو دينه بشرط أن لا يكون قد دخل دين الاسلام فإذا دخل الاسلام فلا يجوز له ترك دينه^(٧) اما حق الإنسان في المساواة فقد

(١) الصنعاني، تفسير القرآن، ج١، ص ١٨٨.

(٢) الاندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٣، ص ٤٨٣.

(٣) سورة النجم، الآية ٣-٤.

(٤) ابن حنبل، مسند الامام احمد بن حنبل، ج٣٤، ص ٢٤؛ البخاري، الجامع الصحيح، ج٥، ص ٢٢٤.

(٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص ٢٣٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٧) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الانسان، ص ٣٥.

أولته الشريعة الاسلامية اهمية كبيرة إذ أن المساواة لم تكن مقررة في معظم النظم والشرائع القديمة والمساواة حق اساسي من حقوق الانسان المساواة أمام الشرع والقانون ومن ناحية الحقوق والواجبات والمشاركة في الامتيازات والحماية دونما تفضيل لعرق أو جنس أو صفة أو لون أو نسب أو طبقة أو دين أو مال فالناس امام الشرع سواء ولهم جميع الحقوق، تأكيداً لقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١) وافر الاسلام حق العمل لكل فرد دون تمييز او تفرقة بينهم لقوله تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢) والعمل حق تكفله الدولة والمجتمع لكل قادر ولكل انسان حرية اختيار العمل اللائق به وللعامل حقه في الأمن والسلامة، وله أن يتقاضى أجراً عادلاً مقابل عمله دون تأخير أو تمييز بين الذكر والانثى (٣) وقد أولى الاسلام حق الانسان في التربية والتعليم اهتماماً بالغاً فمما لاشك فيه أن موقف الاسلام من العلم كان العامل الاول والفاعل الاساسي وراء انتقال العرب من الجاهلية وبدواتها الى العلم وحضارته (٤)، وأوجب على كل مسلم ومسلمة طلب العلم وجعله بمثابة فرض لا يسقط عن أحد بعلم غيره وأشارت الى هذا الحق الآيات القرآنية التي نزلت على رسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ومنها قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾ (٥) ان التعليم في الاسلام ليس حقاً فحسب بل هو واجب مفروض على الانسان وقد حث الاسلام على التعليم ورفع منزلة العالم فجعله افضل من العابد ورفع منزلة طالبه وجعله في مصاف الشهداء (٦) اما بالنسبة لحقوق المرأة في الاسلام فقد حظيت بمكانه مرموقة في الاسلام

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٣) الجدة، رعد ناجي، وآخرون، حقوق الانسان، ص ٣٧.

(٤) الصالح، حقوق الانسان، ص ١٠٠.

(٥) سورة العلق، الآية ١-٤.

(٦) الصالح، حقوق الانسان، ص ١٠٩.

إذ منحت حقوقاً أسوة بالرجل وأصبحت لها شخصية قانونية مستقلة عن شخصية زوجها وذمة مالية مستقلة وتجسدت هذه المساواة مع الرجل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾^(١) وللمرأة حق المشاركة في الحياة العامة ولها ان تدخل التعاقدات والاتفاقيات والضمانات وممارسة الاعمال والتجارة بمفردها ان رغبت، اذا كانت السيدة خديجة زوجة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) تدير تجارتها بنفسها والمرأة استقلال مالي سواء في اموالها من الميراث والتجارة او العمل^(٢) يتبين لنا فيما سبق المكانة المرموقة التي يحظى به الانسان في الاسلام إذ تم تكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات، ومنح حقوقا في كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهذه حقوق طبيعية لأزلية فرضتها الارادة الالهية فلا يجوز لاحد مهما كانت صفته تعطيلها او عرقلتها.

(١) سورة النساء، الآية ١.

(٢) هادي، حقوق الانسان، ص ١٥.

الفصل الأول

الحقوق السياسية

المبحث الأول: الحق في المشاركة السياسية والحكم

المبحث الثاني: حق العدل والمساواة

المبحث الثالث: الحق في الشورى

المبحث الأول: الحق في المشاركة السياسية والحكم

قامت الدولة المرابطية على اساس دعوة دينية اصلاحية قام بها عبدالله بن تاشفين في صحراء المرابطين ثم انطلق بهذه الدعوة الى المغرب الاقصى حتى يتم نشرها في ارجائه وذلك في ظل حملات عسكرية متتابعة انتهت بخضوع المنطقة لقيادة يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لدولة المرابطين وفي عهده تم الاتصال بالخلافة العباسية اعترافاً بالخليفة العباسي وسلطته الروحية على العالم الاسلامي وفي نفس الوقت طلباً للتأييد والاعتراف من الخلافة العباسية لدولته وشرعيته في ادارة البلاد^(١).

أرسل يوسف بن تاشفين وفداً الى بغداد ومعه هدية نفيسة وكتاباً يذكر فيه ما قام به من جهود في سبيل نصره الدين ويطلب اعتراف العباسيين به^(٢) وقد استجابت الخلافة العباسية لهذا الوفد وأرسلت الخلع والتقليد الى يوسف بن تاشفين^(٣).

واتخذ اعتراف المرابطين بالخلافة العباسية عدة مظاهر تؤيد تلك التبعية للخلافة العباسية وذلك حين دعا المرابطون على منابرهم لبني العباس^(٤) كما كانوا يذكروا نفوذهم باسماء الخلفاء العباسيين^(٥).

استمر ولاء المرابطين للخلافة العباسية بعد وفاة يوسف بن تاشفين ولم يحدث تغيير في السياسة لأن علي بن يوسف الذي اعقب والده في حكم الدولة المرابطية كان حريصاً على السير على سياسة والده وذلك بالاتصال بالخلافة العباسية معترفاً بها وطالباً تجديد العهد^(٦).

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٨٢، ابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ١٤٣.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٨٢.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٢، ص ١٤٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٨٣.

(٤) السلاوي، الاستقصاء، ج ٢، ص ٥٨؛ المراكشي، المعجب، ص ٢٠٣.

(٥) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص ٩٩-١٠٠.

(٦) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٤٤.

في بادئ الامر تولى أبو بكر بن عمر رئاسة المرابطين سنة (٤٤٨هـ- ١٠٥٦م) وذلك بعد مقتل اخيه يحيى بن عمر في سجالمة^(١) واضطلع الامير ابو بكر بدور الجهاد في المغرب الأقصى، غير ان فتنة نشبت بين قبائل المرابطين القاطنة في الصحراء جنوب المغرب الأقصى مما جعلت أبا بكر بن عمر يسرع بالرجوع الى الصحراء تاركاً ابن عمه يوسف بن تاشفين قائداً للجند وذلك للقضاء على الفتنة وكان ذلك في سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م^(٢) وبرز دور يوسف بن تاشفين كنائب لابن عمه الامير ابي بكر بن عمر في قيادة جند المرابطين اثناء غيابه ولدعم مكانة يوسف بن تاشفين لم يكتف الامير أبو بكر بن عمر باختياره، وترشيحه، بل أيد ذلك بموافقة شيوخ المرابطين حتى يدعم من مكانته ومما يؤكد ذلك قول ابن زرع "قلما أراد السفر منها-أي الامير ابو بكر بن عمر- سفره من سجالمة الى الصحراء- دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين فقعد له على المغرب وفوض اليه امره، وامره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وقبائل البربر وزناتة، واتفق على تقديم اشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته، وحزمة، ونجدته وعدلة وورعة وسدادة رأيه"^(٣) عمل يوسف بن تاشفين على توطيد سلطته وإحكام قبضته على مقاليد الأمور والانفراد بالحكم حتى اذا عاد ابو بكر بن عمر الى الصحراء في سنة (٤٦٥هـ- ١٠٧٣م) كان من الصعب عليه عزل يوسف بن تاشفين عن مقاليد الرئاسة^(٤).

أظهر ابن تاشفين خلال مدة حكمه قدرة على الحكم والادارة فاستطاع ضبط أمور الدولة في المغرب والاندلس في اوقات صعبة كانت تمر بها الامة الاسلامية

(١) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٣، ص٢٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣١.

(٣) الانيس المطرب، ج٢، ص٣٣؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٢، ص٢٢-٢٣.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٢٤.

وذلك يعود الى الصفات التي كان يتحلى بها الأمير، والى عقليته المتفتحة، ومنهجه الدقيق الذي كان يتبعه في ادارة البلاد^(١).

حرص يوسف بن تاشفين على اتباع النموذج الاسلامي ولذا اعتمد مبدأ الشورى وجعله اساس الحكم والادارة ويذكر انه كان كثير المشورة^(٢) يفضل الفقهاء، ويعظم العلماء، ويحرف الامور اليهم، يأخذ فيها برأيهم^(٣). وبموجب مبدأ الشورى تم اختيار عبدالله بن ياسين الذي لم يحرص على استمرار الامارة في اسرته وكانت وصيته الاخيرة للمرابطين قوله: "اياكم والمخالفة والتحاسد على الرياسة، فإن الله يؤتي ملكة من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت عنكم فأنظروا من تقدمونه منكم، يقوم بأمركم ويقود جنودكم..."^(٤).

وبعد أن أستقر الأمر ليوسف بن تاشفين فقد خشي من ان تعم الفوضى من بعده وتنفك الوحدة لذلك عين ابنه علياً من بعده ولياً للعهد بعد أن استشار الفقهاء والقضاة وزعماء القبائل وافراد الاسرة المرابطية وكبار رجال الدولة في الامر سنة (٤٩٥هـ / ١١٠١م) وناقشهم في الاسباب التي دفعتهم الى ذلك فوافقه الجميع على الامر^(٥).

اتبع أمير المسلمين علي بن يوسف نهج والده في اختيار ولي العهد فوقع اختياره على ابنه الامير "سير" لولاية عهده في عام (٥٢٢هـ / ١١٣٨م)^(٦) ولكن ولاية العهد لم تكن محددة بجهة واحدة بل شملت قيادة الجيوش في وقت الحرب، والنظر في أمور واحوال الولايات، والجلوس للفصل في المنازعات بين الناس، حتى

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ١، ص ٤١٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ١٢٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٤٦.

(٤) اشباح، تاريخ الاندلس، ص ٢٣٤؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٣٤٣.

(٥) الصلابي، فقه التمكن، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٦) عبد المنعم، التاريخ السياسي، ص ٢٥٦.

أن اسم ولي العهد كان يُضرب على السكة الى جانب أسم أمير المسلمين، وهكذا كانت نقود علي بن يوسف تحمل في أحد وجهيها عبارة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله أمير المسلمين علي بن يوسف ولي عهده الأمير "سير"^(١).

وبعد ان ولي الامير علي بن يوسف ابنه "سير" ولاية عهده رأى أن يولي ابنه الامير "تاشفين" الاندلس فولاه مدينة غرناطة والمربة وقرطبة وشاع ذكره في المغرب والاندلس^(٢).

وبعد وفاة الامير سير في حياة والده، أخذ علي بمبدأ الشورى إذ طلب من كبار رجال الدولة وطلب منهم ان يتشاوروا ويختاروا لولاية العهد من يرضونه فأجتمعا على اختيار الامير تاشفين لولاية عهد المرابطين فعقد له والده ولاية العهد، وكتب الى العدة والاندلس وبلاد المغرب ببيعة تاشفين^(٣).

الا ان تاشفين لم يحالفه الحظ في محاربة الموحدين فعزم والده على خلعه وعهد الى اسحق ولده الاصغر^(٤) ولكن وفاة امير المسلمين علي بن يوسف حالت دون نقل ولاية العهد، وهذا يدل على عدم وجود نظام ثابت لولاية العهد في دولة المرابطين^(٥) نتج عن ذلك قيام نزاع بين اولاد الامير بشأن حق كل منهم في ولاية العهد^(٦).

ومن منطلق المشاركة في الحكم عمل الامير علي بن يوسف على تعيين ولاية على الاقاليم خاضعون للامير، يقومون بالمهام العسكرية والادارية ويتم اختيارهم على اساس مكانتهم وعدالتهم وعلمهم وشرط تمتعهم بصفات جيدة ليساعدوا الخليفة في

(١) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٣) ابن السماك، الحلل الموشية، ص٨٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٤٤٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩٨.

(٥) اشياخ، تاريخ الاندلس، ص٤٤٧.

(٦) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٠٥.

تطبيق أسس العدالة بين أفراد الرعية، كما كان الخليفة حريصاً على مراقبة عماله على الاقاليم ليتأكد من حسن عملهم إذ كان الوالي عرضة للعقاب بالنقل أو العزل إذا قصر أو أهمل أو اساء السيرة أو ظهرت عدم كفايته^(١).

ويتجلى ذلك في موقف اهل الجزائر الشرقية^(٢) من واليهم أنور بن ابي بكر اللمتوني الذي تعسف مع اهل الجزيرة وأراد ان يرغمهم على بناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر فامتنعوا عليه وثاروا ضده فأقدم انور على قتل زعيم الثوار، الامر الذي دفع اهل الجزيرة الى اعتقاله وارسالة الى علي بن يوسف ونتيجة ذلك ولي عليهم امير المسلمين محمد بن علي غانية^(٣).

وقد حاول بعض عمال وولاة المرابطين ان يحتفظوا بما تحت ايديهم من اقاليم بعد تسلط الموحدين عليهم، غير ان الظروف لم تسعفهم وكان آخر ولاة الاندلس في المرابطين يحيى بن غانية الذي اضطر للتنازل وتسليم الامر للسلطة الجديدة سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٩م)^(٤).

استمر حفظ حق المشاركة في الحكم فقد اتخذ الامراء المرابطين نواباً ينوبون عنهم في ادارة شؤون البلاد إذ كان من المستحيل ان يشرف الامير وحدة على تلك الدولة المترامية الاطراف فعين بعض النواب المقربين اليه وكان يراعي في اختيار النائب أن يكون اقرب الناس الى أمير المسلمين وان يتوفر فيه حسن الادارة والكفاية العسكرية ويعد ممثلاً أولاً لامير المسلمين ويستمد نائب الامير سلطته من الأمير

(١) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٦٣-٦٤؛ حركات، النظام السياسي، ص١٢٤.

(٢) الجزائر الشرقية: وتتكون من ثلاث جزر وهي ميورقه ومنزورقه ويابسة وتقع غرب البحر المتوسط في الجهة الشرقية من الاندلس واكبر هذه الجزائر ميورقه ونظراً لموقعها الجغرافي وكبر مساحتها كانت المركز الاداري للجزائر الشرقية. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٨٨.

(٣) محمد بن علي بن يوسف المسوفي أبن غانية صاحب ميورقه وما حولها من الاندلس نشأ مع أخيه الاكبر يحيى بن علي في مراكش ولما ارسل يحيى الى قرطبة والياً عليها سنة ٥٢٠هـ ولاه بعض اعمالها ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٦، ص٢٧٧.

(٤) حركات، المغرب، ص١٩٨.

شخصياً وكان ولي العهد نائباً للأمير وتولى نيابة الاندلس وأول نائب عينه الأمير يوسف على الاندلس القائد سير بن ابي بكر اللمتوني ثم بدل به ابنه الطاهر تميم بن يوسف^(١) وللنائب مهام عسكرية اذ كان عليه مواجهة حركات التمرد وخوض الحروب يعاونه في ذلك كبار القادة ويمنح صلاحيات واسعة منها مراقبة اعمال الولاة وحق التصرف في عزل وتعيين من دونه من الولاة المحليين ومن يليهم من رجال السلطة، والقضاة، والقيام بحركات عسكرية داخل مناطق نفوذهم^(٢).

ومن الذين تولوا منصب نائب الأمير في دولة المرابطين ويمثلون شخصيات مهمة بعد أمير المسلمين هم سير بن ابي بكر، وعلي بن يوسف بن تاشفين، وتمام بن يوسف، ومحمد بن عائشة وعبدالله بن فاطمة، ويحيى بن غانية ولي بلنسية ثم قرطبة وابو عبدالله بن الحاج شيخ الاندلس ومفتيها وقاضي الجماعة وكان اغلب من يتولى نيابة الاندلس يستقر في غرناطة أو إشبيلية، أو قرطبة ومن يتولى نيابة فاس يستقر فيها^(٣).

وكان من سياسة يوسف مع نوابه مراقبتهم ولا يتيح لهم الاستقرار في مناصبهم لعهود طويلة حتى لا يعملوا على الاستقلال فكان النواب دائماً معرضين للنقل من ولاية الى اخرى^(٤).

ومن منطلق المشاركة في الحكم فقد اتخذ النواب كتاباً يقومون عنهم في بالمكاتبات أو تسند اليهم بعض الاعمال الادارية وممن ظهر من كتاب نواب أمير المسلمين علي بن يوسف في الاندلس الكاتب ابو عبدالله محمد بن ابي الخصال^(٥)

(١) حركات، النظام السياسي، ص ٦٥.

(٢) اشباح، تاريخ الاندلس، ص ٤٧٨؛ الحجي، تاريخ الاندلس، ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٣) حركات، النظام السياسي، ص ٦٤-٦٥؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٣٤٤.

(٤) الصلابي، فقه التمكين، ص ١٢٢.

(٥) محمد بن مسعود بن طيب بن فرج ابن أبي الخصال الفافقي أبو عبدالله وزير اندلسي، شاعر، أديب يلقب بذي الوزارتين، ولد بقرية (فرغليط) من قرى (شقورة) وسكن قرطبة وغرناطة. ينظر: الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ٩٥.

كاتب الامير محمد بن الحاج وابو بكر بن الصائغ^(١) كاتب الامير ابي بكر بن ابراهيم، والزبير بن عمر اللمتوني كاتب تاشفين بن علي وكانت حياة كل نائب من نواب امير المسلمين صورة مصغرة من حياة هذا الامير فكانوا يتخذون القصور والخدم والفقهاء والاعوان^(٢).

حفظ في ظل دولة الاسلام في بلاد الاندلس حق المشاركة في الحكم والادارة وخير دليل على ذلك مشاركة المجلس الوزاري المكون من الوزراء ورئيسهم الذي يعرف "بالحاجب"^(٣) في ادارة البلاد فكان الحكام المسلمون يحرصون على المشاركة في ادارة البلاد فأصبح لكل حاكم عدد من الوزراء كلا منهم يختص بوظيفة معينة^(٤). وقد تجلّى ذلك في اتخاذ يوسف بن تاشفين صهره سير بن ابي بكر وزيراً له^(٥) وكان الوزير في اوائل عهد الدولة المرابطية قائداً عسكرياً^(٦) ومن خلال هذا نلاحظ تولي القادة العسكريون منصب الوزارة لانشغال ولاة الامر بفكرة الجهاد والمعارك في الاندلس والمغرب^(٧).

(١) أبو بكر بن الصائغ: ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ السرقسطي الشاعر كان يضرب به المثل في الذكاء وآراء الاوائل والطب مات بفاس سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٩٤.

(٢) دله، الاندلس الاسلامية، ص ١٥٩.

(٣) يختلف وظيفة الحاجب في الاندلس عما هو موجود في المشرق، فالحاجب وزير مهمة يكون حلقة وصل بين الحاكم ونائبه أما في المشرق فان الحاجب تكون وظيفته تنظيم آلية دخول الرعية على الخليفة ينظر ابن خلدون، المقدمة ص ٢٣٩؛ الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٤٢٢.

(٤) زبار، حقوق الانسان، ص ١٤٥.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة، ص ١٢.

(٦) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٩٣-٩٤.

(٧) دله، الاندلس الاسلامية، ص ١٦٠.

فقد تمتع الوزير بمركز ممتاز في عصر المرابطين على اعتبار انه الشخص المقرب من الأمير والذي يحضر مجلسه فهو على حد قول الطرطوشي^(١) "بمنزلة سمعة وبصره ولسانه وقلبة وفي الامثال "نعم الظهير الوزير"^(٢).

عرفت دولة المرابطين نوعين من الوزراء وزراء عسكريون من قادة الجيش، وهم من قرابة السلطان او من قبائل لمتونه وصنهاجة قامت على اكتافها دولة المرابطين^(٣). ووزراء كتاب من الفقهاء^(٤).

ان يوسف بن تاشفين قد أخذ كاتباً هو الوزير الفقيه ابو محمد بن عبد الغفور^(٥) الذي كان على حد قوله "علم بلاغه به يهدي، وامام شرف قدمه العلم والندى، وعاصر مجد هو الغاية والهدى. وان هذا الوزير هو الذي كتب بأسم يوسف بن تاشفين نص ولاية العهد لابنه الامير علي بن يوسف بن تاشفين^(٦). واستوزر علي بن يوسف القائد "ينتان بن عمر"^(٧) الذي كان قائداً لفرقة الحشم ثم في اواخر عهده أستوزر ولده "اسحاق بن ينتان بن عمر" وقد تولى هذا الوزير في اواخر ايام الدولة المرابطية قيادة الحملة التي استسلمت للخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي سنة (٥٤١هـ / ١١٤٧م)^(٨).

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، ص ٧٠؛ عبد المنعم، التاريخ السياسي، ص ٢٦٦.

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ص ٧٠؛ عبد المنعم، التاريخ السياسي، ص ٢٦٦.

(٣) حركات، المغرب، ص ٢٠٤.

(٤) العبادي، دراسات، ص ١٥٤.

(٥) ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي ولد في مطلع القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد) هو فقيه واديب عاش في ايام حكم المرابطين وكان من جلة الكتاب ينظر: ابن الابار، التكملة، ص ١٤٠.

(٦) ابن السماك، الحلل الموشية، ص ٦٣-٦٤.

(٧) ينتان بن عمر: هو أحد وزراء المرابطين العسكريين الذي قاد جيش المرابطين ضد جيش الموحيدين في معركة تاودزت وهي أولى معارك أبن تومرت ضد المرابطين وكان ابن عمر صاحب منزلة رفيعة عند الامير علي بن يوسف، ينظر: البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، ص ٢٨.

(٨) العبادي، دراسات، ص ١٥٤.

كذلك استوزر علي بن يوسف^(١) وزير من الفقهاء وكبار العلماء وهو الفقيه مالك بن وهيب الاشبيلي^(٢) الذي شارك في جميع العلوم ونظم الشعر ولقد كان لهذا الوزير موقف مشهور خلال مناظرة قامت في حضرة السلطان علي بن يوسف بين فقهاء المرابطين والفقيه محمد بن تومرت^(٣) فأشار مالك على امير المسلمين بقتله واعتقاله قبل ان يستفحل خطره لأنه رجل مفسد ولا يسمع كلامه أحد الإمال اليه، غير ان علي بن يوسف أبى ذلك لعدم ثبوت التهمة عليه^(٤). وقد صح ما توقعه مالك بن وهيب اذ انه على يد هذا الفقيه قامت دولة الموحدين التي قضت على دولة المرابطين في المغرب والاندلس^(٥).

ومعظم من تولوا الوزارة كانوا وزراء تنفيذ إذ احكم أمراء المسلمين من المرابطين قبضتهم على مقاليد الامور واشرفوا بأنفسهم على أحوال البلاد ومن هذا كان الوزراء منفذين لاوامر حكام البلاد^(٦).

ومن صلاحيات الوزير الاشراف على الشؤون المالية للدولة والاشراف على اعمال الانشاء والتعمير، والنظر في المظالم وادارة الاقاليم الدولية، وبعضهم قام بوظيفة الحاجب واخرون قاموا بوظيفة الكاتب^(٧).

(١) علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين بمراكش وثاني ملوك دولة المرابطين ولد بسبته وبويع بعد وفاة ابيه سنة (٥٥٠) ينظر: الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ٣٣.

(٢) مالك بن وهيب: ابو عبدالله مالك بن وهيب الاشبيلي الاندلسي من كبار فقه دولة المرابطين اصله من اشبيلية وكان علي بن يوسف أمير المرابطين قد استدعاه مع بعض العلماء لمناظرة المهدي بن تومرت وهو الذي نصح امير المسلمين بقتل المهدي بن تومرت وتوفي سنة (٥٤١-٥٥٠هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٤٩.

(٣) محمد بن تومرت: محمد بن عبدالله بن تومرت البربري المصمودي المتلقب بالمهدي فقيه اديب اصولي زاهد ولد ونشأ في قبيلة هرغة في المصامدة من قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى توفي في اخر سنة ٥٢٤هـ في جبل تينمل قبل ان يفتح مراكش. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٢، ص ١٢٣-١٢٦.

(٤) المراكشي، المعجب، ص ١٨٤-١٨٥؛ المقري، نفح الطيب، ج ٥، ص ٢٧.

(٥) العبادي، دراسات، ص ١٥٥.

(٦) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٣٦٢.

(٧) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٢٤٠؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ج ٢، ص ٢٤٢.

وانطلاقاً من مبدأ حق المشاركة السياسية في الحكم فقد اتخذ يوسف بن تاشفين لنفسه اعواناً يرجع الى مشورتهم، وكتاباً يشرفون على ديوان الرسائل او الانشاء، وكانت لديه هيئة استشارية تشترك فيها طائفة من الفقهاء والاعيان والكتاب يلزمونه في قصره وتنقلاته يبدون اراءهم في المشاكل المطروحة وتبقى الكلمة الفاصلة للأمير، اما في الامور المهمة فكان يجمع زعماء المرابطين وابناء عمومته للتداول واتخاذ القرار الصحيح^(١).

ومن كتاب الاندلس في عهد يوسف بن تاشفين عبد الرحمن بن السباط كان من اهل المريه^(٢) وظل في خدمة يوسف بن تاشفين الى ان توفي في سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فخلفه في منصب الكتابة ابو بكر محمد بن سليمان الكلاعي المعروف بابن القصيرة^(٣).

ومنهم من عملوا الى جانب ملوك الطوائف كابن عبدون الفهري^(٤) الذي كان يتولى الوزارة في عهد المتوكل بن الافطس وانتقل للكتابة عند سير بن ابي بكر واخيراً لعلي بن يوسف وعبد العزيز الانصاري الذي كتب لابي الطاهر تميم ثم لعلي بن يوسف^(٥).

لم يقتصر حق المشاركة السياسية في الحكم للرجال فقط بل شاركت النساء في السياسة العامة للدولة وتبوأت مكانة محترمة وكانت تشترك في مجلس القبيلة وتشترك في العديد من الامور الهامة^(٦) واشهر النساء المرابطات التي كان لهن دور في

(١) الصلابي، فقه التمكن، ص ١٢٣.

(٢) ابن السماك، الحل الموشيه، ص ٣٢؛ عنان، دولة الاسلام، ص ٥١-٥٢.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ج ٢، ص ٥٦٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ١٤٢.

(٤) ابن عبدون الفهري: عبد المجيد بن عبدالله بن عبدون الفهري اليابري أبو محمد ذو الوزارتين أديب الاندلس في عصره مولده وفاته في يابره استوزره بنو الافطس الى انتهاء دولتهم سنة ٤٨٥هـ وانتقل بعدهم الى خدمة المرابطين وكان كاتباً مترسلاً عالماً بالتاريخ والحديث ينظر: الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ١٤٩.

(٥) عبد المنعم، التاريخ السياسي، ص ٤٧٧.

(٦) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٢٦.

السياسة والحكم زينب النفزاوية التي لعبت دوراً أساسياً في عهد يوسف بن تاشفين بدأت بزواجها من الامير يوسف لتحقيق كل احلامها^(١) وتمثل ذلك في الخطة التي رسمتها لزوجها عند لقائه الامير ابي بكر بن عمر اثر عودته من الصحراء في سنة (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) لاستعادة مقاليد الحكم بعد ان اصلح امور الصحراء واعادة الامن اليها^(٢).

وكان لزينب النفزاوية تأثير في العمل السياسي وانها شاركت زوجها في وضع وتنفيذ سياسة فتح المغرب الاقصى، اذ كانت القائمة بملكة، المدبرة لأمره، الفاتحة بسياستها اكثر بلاد المغرب وكانت عنوان سعيه^(٣).

كذلك كان للنساء مشاركة في تعيين أو عزل بعض الموظفين بل بلغ الامر بأحدهن وهي زينب بن اسحاق الحرة الى امتحان القاضي عبد العزيز بالاندلس، وما ادراك ما وظيفة القاضي خاصة في هذا العصر الذي كان للفقهاء فيه نفوذ قوي^(٤).

وحتى الروميات كان لهن دور في تحديد السياسة العامة للدولة بعد ان اصبحن يتدخلن في اختيار اولياء العهد^(٥) فقد تزوج الامير علي بن يوسف من جارية رومية اسمها قمر وهي التي حظيت عنده وملكت عليه امرة^(٦) واستطاعت قمر بذكائها ان تسيطر على قلب الامير علي واقناعه بتوليئه العهد لابنها الامير سير^(٧) لكن الامير ابي بكر الابن الاكبر لعلي بن يوسف لم يرض عن بيعة اخيه سير واعلن تدمره وضيقه

(١) ابن عذاري، البيان، ص ٢٢.

(٢) ابن السماك، الحل الموشيه، ص ٢٥.

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ١١٣.

(٤) دلة، الاندلس الاسلامية، ص ٣٤٣.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩٧.

(٦) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٤٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

من تعيينه ولياً للعهد إذ كان يرى انه أحق بهذا الامر لأنه الابن الأكبر لكن هذا لم يشفع له فعزله والده عن اشبيلية ونفاه الى الصحراء^(١).

ولم يقتصر حرص المسلمين على توفير حق المشاركة في الحكم للمسلمين فحسب، بل نال اهل الذمة في ظل دولة الاسلام في الاندلس حقهم في المشاركة والادارة والحكم، تقلد اهل الذمة في ظل المرابطين مناصب مرموقة في الدولة كقيادة الجيوش والعمل كسفراء اضافة الى جباية الاموال وغيرها ان علي بن يوسف اول من استخدم النصارى في الجيش المرابطي^(٢). ونتيجة للاخلاص والشجاعة التي اظهرها هؤلاء الجند فقد توسع الامير علي بن يوسف في استخدامهم في الجيش حتى تكونت منهم فرقة عسكرية اسندت قيادتها الى الربيتز وهو من اشراف برشلونة عبر الى المغرب نتيجة لخلاف حدث بينه وبين امير برشلونة برنجار زاموان والتحق بخدمة الامير علي بن يوسف الذي عينه قائداً لحرسه الخاص وذلك لما كان يمتاز به من شجاعة واقدام^(٣).

تقلد الربيتز منصب القائد العام للجيوش المرابطين في أغلب المعارك التي خاضها ضد الموحدين ولاسيما تلك التي وقعت في ارض كدميوه والسوس^(٤). واستطاع ايقاف تقدم الجيوش الموحدية بقيادة عبد المؤمن بن علي اتجاه السوس واجبرها على التراجع نحو تينمل بعد ان كبد الجيش الموحي خسائر كبيرة بالمعدات والارواح وكان من نتائج المعركة ان جرح الربيتز وكان ذلك في سنة (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)^(٥).

(١) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٢٣٢-٢٤٢.

(٤) البيهقي، اخبار المهدي، ص٤٧.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩٨.

كذلك تولوا قيادة الجيش الى جانب وظيفة الجباية^(١) فضلاً عن منصب الوزارة فقد أستوزر علي بن يوسف في آخر ايامه رجلاً من اهل الذمة اسمه اسحاق بن انتيان بن عمر وكان عمره ثمانية عشر عاماً وكان يتوقد ذكاء وعقلاً وقد أعجب به الامير علي بن يوسف واسند له النظر في المظالم والشكاوى فانتفع به الناس بامورهم واستطاع ان يحل الكثير من مشاكل المتظلمين ومما جعل الامير علي يتمسك به اكثر ما عرف عنه من الاطلاع على غرائب الاخبار وكان منذ مولده مثل كاهن يأتي بغريب الاخبار، ومما يؤثر عن هذا الفتى ان تاشفين بن علي قال له (يا اسحاق ان الناس تكلموا في امرك وخاضوا في حديثك وفي الذي يؤثر من المغيبات فمنهم من صدقك، ومنهم من كذبك، فقال الفتى: اختبرني واسألني عما شئت مما صنعت، قال تاشفين: قد غبت عن امسك، اخبرني بما فعلته أمس بعدما قمت من مجلسي هذا وفارقتك ودخلت داري قال له: دخلت دارك وجلست في مجلسك فقدم لك طبق فيه خوخ فتناولت واحدة وأكلتها حتى انتهيت على اخرها ثم تناولت اخرى فعضضت فيها عضة وصرفتها الى الطبق ثم قمت، أفتحب أن اخبرك بما فعلت، قال له تاشفين أقطع الكلام هاهنا)^(٢)، لعل ابن تاشفين كان يدبر أمر دولته بكل تفرعاتها بحزم وفرض سلطته بشكل شامل وأشرف بنفسه عليها وما كان يقوم به اسحاق هو دور بسيط في النظر في المظالم.

اما اليهود فنجد أن الامراء المرابطين قربوا اليهود الى مجالسهم وقلدوهم الوظائف العليا في الدولة فقد عين علي بن يوسف بن تاشفين اليهودي سليمان بن المعلم طبيباً خاصاً له، وكان يحمل لقب الوزير الفخري، وكان هو والطبيب اليهودي ابراهيم بن كامينال وكيلين ماليين للدولة يعملان في مجال جمع الجزية المفروضة على اليهود، وقد اتيح لابن كامينال أن يكون وسيطاً قوياً لدى السلطة في حل مشاكل اليهود كما عمل على ترسيخ مصالحهم بقوة^(٣).

(١) ابن السماك، الحلل الموشيه، ص ٨٤-٨٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٨٧-٨٨.

(٣) محمود، التسامح والتعايش، ص ٨٤.

كذلك تقلد بعض اليهود منصب الكتابة فقد ذكر ابن عذاري^(١) الى أن ابي حفص عمر بن ينالة ابن الامير علي بن يوسف كان له كاتب يهودي يحشر انفه في كل امور السياسة حتى نجح في اغتيال أحد مساعدي العامل المذكور وجره الى التهلكة وارسل ابي حفص عمر في طلبه لكنه تمكن من الهرب.

وأوكلت الى اليهود مهمة جباية الضرائب من طائفهم اليهود وذلك لانهم يعلنون أن امثال هؤلاء يخافون السلطات ويترددون طويلاً قبل ان يقدموا على التلاعب في الجبايات أو أن يفرطوا في أداء الواجب^(٢).

ولعل ما يؤكد على تقلد اهل الذمة مناصب ووظائف الدولة المرابطية تلك الرسالة التي بعث بها تاشفين بن علي الى القضاة والفقهاء يأمرهم بعدم أسناد وظائف الدولة لاهل الذمة^(٣)، وهذا يدل على المشاركة الواسعة لأهل الذمة في إدارة الدولة ولو لم يكن الامر هكذا لما اصدر تاشفين بن علي مثل هذا الامر.

ونظراً لما ناله اهل الذمة من قرب لدى السلطة فقد لعب بعضهم مساهمة سياسية خطيرة مثل اغتيال خصوم السلطة^(٤) واستقلال حقب الفتن وضعف السلطة والاستقلال ببعض الولايات^(٥).

اعقبت الدولة الموحدية دولة المرابطين في حكم بلادي المغرب والاندلس وقامت هذه الدولة على اساس دعوة دينية تقوم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتزعم هذه الدعوة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م^(٦).

(١) البيان، ج ٤، ص ٦٧.

(٢) أشباخ، تاريخ الاندلس، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٣) مؤنس، حسين، نصوص، مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية، م ٦، ج ٣، ص ١١٣.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٧٦-٧٧.

(٥) ابن الابار، المقتضب، ص ١٣٠.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٦٩.

اعد ابن تومرت اتباعه اعداداً جيداً من اجل مواجهة المرابطين وقد وصلت اخبار استعداد ابن تومرت الى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين الذي ارسل بدوره جيش كبير بقيادة ابو بكر بن محمد اللمتوني لمواجهة حركة ابن تومرت الا أن هذا الجيش انهزم امام الموحيدين وكان ذلك في سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م^(١).

لذلك استعد علي بن يوسف في سنة (٥٢٤هـ / ١١٢٩م) للمواجهة الفاصلة مع الموحيدين الذين بدأو بمحاصرة مدينة مراكش واستنفر سائر امراء القبائل المغربية الموالية له واستطاع الحاق الهزيمة كبيرة بالموحيدين في موقعه البحيرة^(٢) ولما وصل خبر الهزيمة الى محمد بن تومرت فقال: "ما بقي عبد المؤمن لم يهلك أحد"^(٣).

ان هذه الهزيمة أثرت على محمد بن تومرت ولم يعمر بعد هذه الهزيمة طويلاً اذ توفي في سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م^(٤).

بعد وفاة محمد بن تومرت تولى الحكم من بعده عبد المؤمن بن علي الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية بدأ عبد المؤمن بن علي حملات متواصلة من اجل احكام سيطرة على بلاد الاندلس فقد ارسل عبد المؤمن بن علي جيشاً مكوناً من عشرة الاف مقاتل لاختضاع جزيرة طريف^(٥) والجزيرة الخضراء^(٦)، تمكن هذا الجيش من تحقيق اهدافه في سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م) ثم توجه بعد ذلك لبسط نفوذه على غرب

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ٢٦٩.

(٢) موقعة البحيرة: معركة نشبت بين الجيش الموحيدي والجيش المرابطي، وكان الجيش الموحيدي بقيادة ابي محمد البشير وقائد الجيش المرابطي أبو بكر علي ان تاشفين وانتهت هذه الموقعة بقتل قائد الموحيدين وهزيمة جيوشهم . ينظر: السلاوي، الاستقصاء، ج٢، ص ٨٤.

(٣) المراكشي، المعجب، ص ١٩٣.

(٤) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٧.

(٥) جزيرة طريف: جزيرة صغيرة في بحر الزقاق (مضيق جبل طارق)، وطريق بلدية في جنوبي الاندلس والجزيرة والمدينة منسوبتان الى طريف بن مالك الذي فتحهما ينظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٨٨.

(٦) الجزيرة الخضراء: وهي مدينة اندلسية في وسط البحر، بينها وبين مدينة قرطبة (٥٥) فرسخاً ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٣٦.

ووسط الاندلس ونجح في تحقيق انتصارات كبيرة اجبرت اغلب المدن الاندلسية على ارسال الوفود ولتقديم الولاة والبيعة لعبد المؤمن بن علي^(١).

وبذلك استطاع الموحدون من بسط نفوذهم وسيطرتهم على مختلف انحاء بلاد الاندلس وأنهاء الحكم المرابطي وقد اختلف موقف الموحيدين عن المرابطين فبينما اعترف المرابطون بالخلافة العباسية كان الموحدون على العكس من ذلك غير معترفين بالخلافة العباسية واعتبروا انفسهم خلفاء^(٢).

عهد ابن تومرت الى عبد المؤمن بن علي ان يتولى خلفاً له قيادة الموحيدين^(٣) وقد عبر ابن تومرت عن رغبته هذه عندما جمع اهل الجماعة^(٤) واهل الخمسين^(٥) وذلك قبل وفاته واخبرهم باختياره لعبد المؤمن خلفاً له وذلك في حديث طويل اورده المراكشي ومنه "وقد اخترنا لكم رجلاً منكم وجعلناه اميراً عليكم، هذا بعد ان بلوناه في جميع احواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه، واختبرنا سيرته، وعلا نيته، فرأيناه في ذلك كله ثباتاً في دينه، متبصراً في امره وأني لأرجو ان لا يخلف الظن فيه، وهذا المشار اليه عبد المؤمن فاسمعوا له واطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربه فان بدل أو نكص على عقبه وارتاب في أمره ففي الموحدون أعزهم الله بركة وخير كثير والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده"^(٦).

(١) السلاوي، الاستقصاء، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٥٥؛ السلاوي، الاستقصاء، ج ٢، ص ١١٦.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٩٨؛ حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٦٤.

(٤) أهل الجماعة: هم اول من بايع المهدي وأمن به تميزوا بالعلم والقدرة القيادية والبذل والتضحية كان أسهام هؤلاء استشارياً في المقام الاول ينظر: ابن عذاري، البيان، ص ١١٣.

(٥) أهل الخمسين: وهو مجلس يشمل على خمسين شخصاً يمثلون مختلف القبائل منهم ستة من هرغة، وأربعة عشرة من تينمل وثلاثة من هنتانة واثنان من جنفيسة واربعة من صنهاجة وثلاثة من هكسوره وواحد من سائر القبائل وخمسة من الغرباء. ينظر: البيهقي، أخبار المهدي ابن تومرت، ص ٣٢.

(٦) المعجب، ص ٢٩٥.

استطاع عبد المؤمن بن علي بما أوتي من صفات تؤهله لمنصب الزعامة وبما اتخذ من وسائل ان يمكن لنفسه كأول خلفاء الموحدين وأن يورث هذا المنصب لأبنائه من بعده إذ انحصر هذا المنصب في بني عبد المؤمن طيلة عمر دولة الموحدين^(١).

تعاقب على كرسي خلافة الموحدين بعد الخليفة الاول عبد المؤمن بن علي وذلك في المدة من سنة (٥٨٨هـ / ١١٦٢م) وهي السنة التي مات فيها عبد المؤمن بن علي حتى سنة (٦١٠هـ / ١١٦٢م) وهي السنة التي توفي فيها الناصر ثلاثة من الخلفاء هم يوسف بن عبد المؤمن الذي توفي سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)^(٢) ثم ابنه يعقوب المنصور الموحي الذي توفي سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)^(٣) ثم ابنه محمد الناصر الذي توفي سنة (٦١٠هـ / ١٢١٣م)^(٤).

عهد عبد المؤمن في مدة حكمه لابنه محمد بولاية العهد ثم صرفه عنها وولى مكانة ابنه يوسف وذلك قبل وفاته وقد لعب افراد اسرة الخليفة دوراً بارزاً في مبايعة يوسف بن عبد المؤمن ودعم هذه البيعة وقد ظهر ذلك واضحاً في الدور الذي قام به السيد الاعلى ابو حفص شقيق يوسف بن عبد المؤمن وتأبيده لاختيار يوسف امام افراد الاسرة واشياخ الموحدين يقول ابن صاحب الصلاة "في الليلة التي توفي فيها ابوه رضى الله عنهما، وذلك ليلة الجمعة العاشر من جمادي الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسائة وما كان من عضد السيد الاعلى ابي حفص شقيقه إليه في ولايته وحمائته وترشيحه لخلافته^(٥).

(١) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٦٨.

(٢) زامباور، معجم الانساب، ج ١، ص ١١٣.

(٣) استانلي، طبقات سلاطين الحكام، ص ٥٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٠.

(٥) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص ٢٣١.

وبعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن الذي توفي ولم يوص لأحد من بعده^(١) أعقبه في الحكم ابنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمنصور الموحدى فقد اجتمع رأي اشيخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه امير المؤمنين كأبيه وجده فقام بالأمر احسن قيام، وهو الذي اظهر ابهة الملك ورفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل^(٢).

توفي المنصور الموحدى عام (٥٩٥هـ / ١١٩٩م) وخلفه في الحكم ابو محمد عبدالله الملقب بالناصر وكان عمره ثمانية عشر عاماً عندما تولى الحكم عام (٥٩٥هـ / ١١٩٩م) وقد كان شاباً طموحاً معتزاً بنفسه ورأيه قليل الذكاء مستبداً بالامور ورفض النصائح من اقرب المقربين من رجاله وكان والده قد اطلعه على سير الامور في البلاد وأمره بأن لا يقطع برأى حاسم يهم البلاد دون مشاورة ابي حفص الا أن أبا محمد عبدالله الناصر أستبد بالأمر^(٣).

حفظ حكام الاندلس في عصر الموحدين حق المشاركة السياسية في ادارة الدولة فقد أستوزر الحكام وزراء يشاركونهم في الحكم واعتمدوا نظام الوزارة بجانب مشيخة الموحدين وعرفوا باسم العشرة أو أهل الجماعة، وكان منصب الوزير من المناصب المهمة، وقد شغله عدد من ابناء الخلفاء وإخوتهم ولذا سموه بالسادة أو الاسياد، وهؤلاء الوزراء الاسياد يتخذون غالباً وزراء يعاونهم^(٤).

فقد اتخذ عبد المؤمن بن علي وابناؤه من بعده وزراء لمعاونتهم في ادارة شؤون البلاد، واصبح للخليفة وزير أو أكثر يحمل لقب وزير يتولى أعباء الحكم والادارة بتوجيه وارشاد الخليفة، ويشاوره بمختلف الشؤون العامة^(٥).

(١) النويري، نهاية الادب، ج٢٢، ص١٠١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١٩٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص٤.

(٣) الصلابي، دولة الموحدين، ١٩٨.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٢٤٤.

(٥) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٦٢١؛ حسن، الحضارة الاسلامية، ص٩٦.

كان لهؤلاء الوزراء مجلس يترأسه الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني^(١) الذي صار صاحب الأمر على الرغم من وجود الخليفة ومن صور احترام حق المشاركة في إصدار الاحكام كانت قرارات المجلس ملزمة للخليفة عبد المؤمن^(٢)، ففي البداية استوزر عبد المؤمن منصب الوزير الى ابي حفص عمر ازناج ويعد أول وزير^(٣) لأنه كبير شيوخ الموحدين وبعد ذلك عهد إلى أبي جعفر بن عطية الذي جمع بين وظيفتي الوزير والكاتب^(٤) وظلت الوزارة بيده حتى قتله عبد المؤمن^(٥) في سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م مع مصادرة امواله^(٦) ثم عين شخصاً كومياً يسمى عبد السلام^(٧) استمر في الوزارة حتى قتله شنقاً سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م) ثم انتقلت الوزارة الى عمر بن عبد المؤمن الذي ظل فيها حتى توفي عبد المؤمن سنة (٥٥٨هـ / ١١٦٢م)^(٨).

(١) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني وكان اسمه فكه فسماه ابن تومرت عمر وكان من اقرب اعوانه وأحد اعضاء مجلس العشرة وكان واحداً من الذين عقدوا الامر وبابعوا عبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت وقد فتح الهنتاني الكثير من البلاد الاندلسية للموحدين توفي سنة (٥٧١هـ / ١١٧٥م) ينظر ابن القطان، نظم الجمان، ج٦، ص١٨٠؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج٢، ص١٩٥.

(٢) السامرائي، المؤسسات الادارية، ص٨٠.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٠٨.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٢٦٦.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٠٨.

(٦) حداد، سياسة الدولة الموحدية، ص٦٢.

(٧) عبد السلام الكومي: هو أحد وزراء الخليفة عبد المؤمن بن علي ولي الوزارة بعد الوزير أبو جعفر بن عطية وكان يدعى المقرب لتقربه من الخليفة عبد المؤمن بن علي وكان ينتمي الى قبيلة كومية التي ينتمي اليها الخليفة عبد المؤمن وتوفي عبد السلام الكومي سنة (٥٧٧هـ / ١١٦١م). ينظر: ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٤٠.

(٨) المراكشي، المعجب، ص٣٦٦-٣٦٧؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٠٨-٢٠٩.

واستوزر أبو يعقوب مجموعة من الوزراء منهم أخوه عمر ثم أبو العلاء ادريس بن ابراهيم بن جامع وانتهت وزارته بالقبض عليه ومصادرة أمواله سنة (٥٧٧هـ / ١١٨١م) ثم ابنه أبو يوسف إلى أن مات سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)^(١).

تنوعت صلاحيات الوزراء إذ كان الوزير في بعض الاحيان يقوم بوظيفة الحاجب ويشرف على الشؤون المالية وظهر ذلك حين تولى منصب الوزارة في عهد الناصر ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي عمران^(٢) كما يكلف الوزير بالاشراف على نواحي البناء والتعمير وقد ظهر ذلك في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين أسند الى وزيره ابي العلاء ادريس مهمة الاشراف على أعمال البناء والتعمير عندما أمره الخليفة ببناء قصور البحيرة خارج باب جهور من اشبيلية^(٣).

كانت الوزارة في بداية الحكم الموحي وزيراً تنفيذ وكانت السلطة بيد الخليفة وأشرف الخلفاء بأنفسهم على أحوال البلاد ومن هنا كان الوزراء منفذين لأوامر حكام البلاد وإذا شعر الخلفاء باستبداد أو فسد الوزير قتلوه فقد نكب عبد المؤمن أبا جعفر بن عطية^(٤) وقتله وصرف عبد السلام الكومي ثم وضع له السم^(٥)، ومنذ النصف الثاني من خلافة الناصر وحتى خلع عبد الواحد بن يوسف سنة (٦٠٥هـ - ٦٢١هـ / ١٢٠٨م - ١٢٢٤م) فقد تغيير الوضع فاستبد الوزراء بشؤون الدولة دون مشاورة الخلفاء وكانوا يولون الخلفاء ويعزلونهم ويوقعون على المكاتبات^(٦).

(١) المراكشي، المعجب، ص ٢٦٦.

(٢) حسن، الحضارة الإسلامية، ص ١٠٣؛ حداد، سياسة الدولة الموحدية، ص ٦٥.

(٣) حسن، الحضارة الإسلامية، ص ١٠٣.

(٤) أبو جعفر بن عطية القضاعي كاتب الدولتين المرابطية والموحدية من أهل مراكش ولد بها وحقق فنون الادب والسياسة وتقلد الكتابة في بلاط المرابطين وصاهر المرابطين وتقدم بالكتابة في دولة عبد المؤمن حتى بلغ الوزارة وكثر حساده والواشون به فقبض عليه عبد المؤمن وسجنه وأمر بقتله ينظر: الزركلي، الاعلام، ج ١، ص ١٠٧.

(٥) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص ١١٢-١١٩؛ ابن عذاري، البيان، ج ٣، ص ٥٧.

(٦) حسن، الحضارة الإسلامية، ص ١٠٦.

وعندما تولى العادل الخلافة عمل الخلفاء على محاسبة وزرائهم واصبحت مهمة الوزير تنفيذية إذ قال ابن عذاري^(١) "في هذه السنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) قدم الناصر بعض الولاة على اعماله وعزل آخرين عن اشغاله فعزل أبا يحيى بن ابي الحسن بن ابي عمران عن الوزارة والزمة في داره وقدم للوزارة أبا سعيد بن ابي اسحاق بن جامع.

ومن منطلق المشاركة في الحكم فقد عمل الموحدون على تعيين الولاة على الاقاليم والولايات لادارتها غالباً ما يكونون من طبقة السادة أو اشياخ الموحدين، وكان تعيينهم من صلاحيات الخليفة وحده^(٢) وقسمت الولايات بدورها الى أقسام ادارية صغرى يحكمها أحد الحفاظ^(٣) وكانت مهمة الوالي عسكرية بالدرجة الاولى^(٤) فهو يعمل على القضاء على الفتن والثورات^(٥) ويحفظ الأمن ويدفع الخطر الخارجي ويساهم في مساعدة الولايات المجاورة عسكرياً ويشارك في غزوات الخليفة، واوكلت له مهام ادارية اخرى كالاشراف على البناء والعمران وغيرها من الشؤون الخاصة بولاياته^(٦).

فكل ما ذكر ادلة على مدى احترام الحكام المسلمين لحق المشاركة في الحكم لجميع شراح السكان دون تمييز بين طائفة واخرى.

وعلى الرغم من السياسة الموحدية المشددة اتجاه أهل الذمة الا ان أهل الذمة عاشوا في الدولة الموحدية كبقية العناصر الاخرى المكونة للمجتمع وادوا دوراً كبيراً

(١) البيان، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٠٨.

(٣) اطلق عليهم هذا الاسم نسبة الى حفظ القرآن الكريم وقيل لهم ايضاً صغار الطلبة وجدوا منذ عهد ابن تومرت وهي الطبقة الخامسة في طبقات نظام المهدي فهي تأتي بعد طبقة الطلبة ينظر: سعد زغلول، تاريخ المغرب، ص ١٢٢.

(٤) ابن زرع، الانيس المطرب، ص ٢١٩.

(٥) صديقي، سقوط دولة الموحدين، ص ٥٣.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٥٢٠.

في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية ووصلت بعض الشخصيات الى اماكن مرموقة في الدولة ومنهم شخصية علي بن الربتير الذي امتاز بشخصية مرموقة مكنته من اعتلاء مناصب سياسية كبيرة في الدولة الموحدية وظهر ذلك جلياً عندما بعثه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سفيراً من قبل الدولة الموحدية الى منطقة الجزائر الشرقية^(١) ليعرض على حاكمها محمد بن غانية الدخول في طاعة الموحدين وقد استجاب محمد بن غانية لدعوة يوسف بن عبد المؤمن رغم معارضة اخوانه الذين ثاروا ضده واعتقلوه وعينوا أخاه علياً حاكماً على الجزائر الشرقية بدلاً منه في هذه الاثناء وصلت الاخبار بخسارة الموحدين امام الاسبان في معركة شنترين (٥٨١هـ / ١١٨٤م) ووفاة الامير يوسف الامر الذي دفع علي بن غانية واخوانه الى رفض الدخول في طاعة الموحدين جهاراً بعد ان كانوا مترددين خوفاً من بطش الامير يوسف وقاموا بإيداع علي بن الربتير في السجن^(٢).

استغل علي بن الربتير فرصة غياب بنو غانية عن الجزائر الشرقية وانشغالهم بالفتوحات في بلاد افريقية فأتصل بأبناء جلدته من النصاري الذين كانوا يحرسون معتقله وكان معظمهم يريدون مغادرة الجزيرة الى وطنه فوعدهم على تحقيق غرضهم مقابل مساعدته على القيام بانقلاب ضد حكم بني غانية وقد وافق النصاري لذلك ودبروا المؤامرة في يوم الجمعة سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) إذ تم خلع طلحة بن اسحاق بن غانية عن حكم الجزيرة وتعيين اخاه بدلاً منه وبذلك يكمن القول بأن علي بن الربتير لعب دوراً كبيراً في استرجاع هذه الجزائر لسلطة الموحدين^(٣). وقد استعمل عبد المؤمن علي في جيشه طائفه من جند النصاري اثناء حروبه^(٤) وقد

(١) وتتكون من ثلاث جزر وهي ميورقة ومنورقة ويابسة وتقع غرب البحر المتوسط في الجهة الشرقية من الاندلس واكبر هذه الجزر ميورقة ونظراً لموقعها الجغرافي بين هذه الجزائر وكبر مساحتها كانت مركز الاداري للجزائر ، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١٨٨.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ج ٦، ص ٩٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٤٥، ابن عذاري، البيان، ص ١٤٦.

(٤) عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص ٢٣٣.

استخدم المنصور الموحي (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤م - ١١٩٨م) النصاري كحرس خاص له كما اتخذ المنصور حجاباً من النصاري من بينهم مباشر الخصي وعنبر الخصي وكان من ابرز القادة العسكريين الذين كانوا داخل الجيش الموحي القائد النصرائي بلاسكودي الاجون الذي ساهم في خدمة الجيش الموحي^(١). وتعاقب الخلفاء الموحدون واحدا تلو الآخر في استخدام النصاري إذ ساهموا بشكل كبير في اثراء الجيش الموحي، فالخليفة المأمون استخدم جنداً من النصاري لتدعيم جيشه اثناء حروبه وطلب من ملك قشتالة فرنادو الثالث^(٢) ان يرسل جيشه من الروم وبلغ عدد الجنود الذي ارسلها الملك القشتالي حوالي اثني عشر الف فارس وقد استخدم الجند النصاري بكثرة في عهد المأمون^(٣).

ومن هذا يتضح أن أهل الذمة وبالخصوص النصاري وصلوا الى مناصب عسكرية وسياسية عليا في الدولة دون تعترضهم عقبات كبيرة في سبيل الوصول الى المناصب.

فقد ساهم النصاري داخل احضان الدولة الموحدية بشكل كبير، إذ استعملوهم كقادة عسكريين وجند لاجماد العديد من الثورات التي ثارت ضد الموحدين في عهد عبد المؤمن بن علي، وكذلك الصراعات التي كانت بين الموحدين والمرينيين فقد لعب النصاري دوراً بارزاً فيها الى جانب الموحدين وكان الخلفاء الموحدون يعاملون جند النصاري معاملة جيدة ويحسنون اليهم لدرجة ان المأمون بنى لهم كنيسة لممارسة طقوسهم الدينية بكل حرية^(٤).

(١) ابن القاضي، جذوره الاقتباس، ج ١، ص ٦٧.

(٢) عبد الواحد المراكشي، وثائق المراكشي والموحدين، ص ٢٣٣.

(٣) الزعفراني، يهود المغرب والاندلس، ص ٤٨.

(٤) سعادة وعبدو، أهل الذمة، ص ٥٣.

المبحث الثاني: حق العدل والمساواة

العدل من الاسس التي يعمر بها الكون، ويصلح الناس، لذا حث عليه الاسلام وجعله اساساً للحكم بين الناس، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

وقد نفى سبحانه الظلم عن نفسه، وحرمة على عباده، فقال تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢) والامام العادل هو الذي يتبع أمر الله وحكمة فيضع كل شيء في موضعه من غير افراط فيه، وكل ميل عن الشرع فهو ميل عن العدل وقرار للظلم.

والقرآن يحث على العدل والاحسان، وينهي عن المنكر والبغي قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

فالقرآن أمر الحكام بالحكم بين الناس بالعدل وحث الرعية على طاعة أولي الامر قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٤).

حرص حكام المرابطين على اقامة العدل ونشر المساواة وحماية المظلوم واحترام اصحاب الديانات الاخرى من اهل الذمة (اليهود والنصارى) والتزامهم بمنهج العدل مع الناس تطبيقاً لأوامر الله عز وجل وسنة نبيه فدولتهم قامت على تحكيم الشرع الذي جعل العدل اساس الملك ويمكن ملاحظة ذلك عندما بدأ عبدالله بن ياسين بقتال جدالة فقتل منهم خلق كثير، واسلم الباقيون ثم بدأ بقتال قبائل لمتونه، حتى اذعنوا له وبابيعوه على اقامة الكتاب والسنة، واخذوا يغزوهم قبيلة بعد قبيلة، فغزا قبيلة

(١) سورة الحديد، الاية ٢٥.

(٢) سورة فصلت، الاية ٤٦.

(٣) سورة النحل، الاية ٩٠.

(٤) سورة النساء، الاية ٥٨.

مسوفه فهزموا وبايعوه على ما بايعته قبائل لمتونة وجدالة فلما رأت قبائل صنهاجة هذا بايعته على السمع والطاعة فكان كل من يأتيه تائباً، يضربه مائة سوط ثم يعلمه شريعة الاسلام، وأمرهم بالزكاة والصلاة واخراج العشر وجعل لذلك بيت مال لإنفاق على الجيش وشراء السلاح^(١). وهذا يدل على الحرص الشديد على تطبيق تعاليم الاسلام والحرص على اقامة الحدود والتعامل معهم بالمساواة.

فعندما خرج الامير يحيى وابو بكر بن عمر من امراء المرابطين للحج مروا بالقيروان^(٢) يريدون التبرك بأبي عمران الفاسي، إذ أخرج من فاس لنهاية الاغنياء عما ارتكبه من الظلم وأخذ اموال الناس بغير الحق، ومساعدتهم لحكامهم من زناته على ذلك، إذ مارسوا من الظلم ما لم يسمع بمثله، فطلب أبو عمران من يحيى قتال قبائل زناته، واقامة العدل فوعده الامير يحيى بذلك^(٣). وهذا يدل على مدى التزامهم العدل داخل قبيلتهم وحتى مع الشعوب الاخرى.

ومن مظاهر عدل يوسف بن تاشفين ابطاله للضرائب التي سببت الازى للناس، فقد فرضت ضرائب عدة قبل مجي المرابطين للاندلس ومنها مغارم الاقطاع وهي الضرائب التي كان ملوك الطوائف يفرضونها على الناس، ارضاء لشهواتهم واطماعهم، مما ادى الى حنق رعاياهم وامتناعهم عن ادائها مع حاجة السلاطين اليها بعد ذلك^(٤). فقد التزم يوسف بن تاشفين بعدم الاكثار في فرض الضرائب التي ارهقت الناس فنجد أنه لم يفرض شيء لم يأمر به الله في الكتاب والسنة، غير الزكاة والعشر والجزية واخماس الغنائم.

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٧٩-٨٠.

(٢) القيروان لفظ معرب وهو بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة وليس بالغرب مدينة أجل منها وهي مدينة مصرت في الاسلام في ايام معاوية؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٠.

(٣) ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص ٢٧-٢٨.

(٤) ابن زيري، التبيان، ص ١٠٩؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٨.

وجبى من تلك الاموال على الوجه الشرعي مالم يجبه أحد قبله^(١) ولم يفرض في دولته مكس أو معونة خراج لا في حاضرة ولا في بادية^(٢). ومن هذا يتضح مدى حرصه على العدالة والمساواة في فرض الضرائب.

وقد عين يوسف بن تاشفين ابنه علي بن يوسف للنظر في المظالم وشكاوى الرعية فانتفع به الناس في جميع امورهم وكافة شؤونهم^(٣).

وعندما أراد يوسف بن تاشفين توليه ابنه علي اشترط عليه الزام العدل والمساواة مع الرعية ففي كتاب تولية العهد الذي كتبه الوزير محمد بن القصيرة^(٤) عهد اليه ان يتقي الله ما استطاع ولا يحيد عن صفة العدل وحكم الكتاب والسنة في أحد سواء عصا أو أطاع وألا ينام على الحيف وأن يخشى في نومه، ولا يتساهل عن مقدم شكوى، وان يستمع الى كل ذي بلوى، وان ينظم اقصى البلاد وأدناها، وأن يعدل بين القريب والبعيد^(٥).

ويتضح أن أمراء المرابطين كانوا حريصين على تربية ابنائهم على التمسك بالعدل من بعدهم حتى لا يظلموا رعيتهم ...

سار علي بن يوسف على نهج والده في الزام العدل ففي سنة (٥٢٦هـ / ١١٣١م) أرسل علي بن يوسف رسالة الى تاشفين بن يوسف طالبه فيها باعتماد العدل مع الرعية، لأنه واحد منهم والله وحدة قادر على مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته^(٦).

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٣) ابن سماك، الحل الموشيه، ص ٨٤.

(٤) محمد بن سليمان الكلاعي ويعرف بابن القصيرة من اهل اشبيلية وهو من اهم اهل البلاغة في عصر تقنن في انواع العلم توفي سنة (٥٠٨هـ / ١١١٤م)؛ ابن بشكوال، الصلة، ج ٣، ص ٨٣٠-٨٣١.

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ١، ص ٥١٩.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٨٧.

حرص حكام المرابطين على اقامة العدل فمن وصية أبو بكر لابنه عمه يوسف عندما تنازله له عن عرش الخلافة أن يتق الله في المسلمين الذين ولاه عليهم، حتى يريحه ويريح نفسه امام الله، وأن لا يضيع من أمور رعيته شيئاً، لأنه مسؤول عنهم، وان يعدل مع رعيته^(١).

فقد حرص حكام المرابطين على حث الولاة على العدل والمساواة مع رعيتهن وان لا يظلموهم وان يساووا بين القوي والضعيف في الاحكام، وان لا يتقلوا على الرعية في تطبيق الاحكام وقد نفذ علي بن يوسف تلك الوصايا بشكل كبير، فكان يحرص على اختياره الجيد للولاة ففي رسالة وجهها الى اهل سبتة^(٢) اخبرهم فيها عن عزل ابنه وتولييه ابي زكريا يحيى بن ابي بكر معدداً صفات اختياره له. وهي أنه انسان ذكي بما سوف ينفذه ويقتدي به، وينفذه في قوله وعمله وأن أمير المؤمنين سيسأل عن حاله، ويفحص عن اخباره، وسوف يمتحنه ويجربه، ويعتني بتربيته ودعا علي بن يوسف الله عز وجل أن يحقق ظنه فيه، ويوفقه الى سداد القول والعمل، وإلى ما يرضيه، فإذا وصل أهل سبتة خطابه فعليهم ان يلتزموا السمع والطاعة والنصح وجهد الاستطاعة وان يعظموه بحسب مكانه، وان يمتثلوا في كل عمل من أعمالهم نهيه وأمره^(٣).

حرص حكام المرابطين على العدل ليس بإعطاء الناس حقوقهم فقط، بل الاستماع الى شكاوهم ممن ظلمهم ايضاً، حتى يستطيعوا رد المظالم عنهم، وهذا يعد قمة العدالة التي اتبعها الحكام في تلك المدة من عمر الدولة المرابطية. فقد ذكر

(١) ابن زرع، الانيس المطرب، ص ٨٧.

(٢) سبتة: مدينة على ساحل البحر المتوسط في شمال المغرب الاقصى وهي شبه جزيرة في مضيق جبل طارق تقابل الجزيرة الخضراء جنوب الاندلس وتحيط بها الجبال من ناحية الجنوب ولهذا كان اتصالها بالاندلس اقوى من المغرب ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٨.

(٣) ابن خاقان، فلاند العقيان، ص ١١٢.

البخاري^(١) "عن عدي بن حاتم^(٢) بينما انا عند النبي صلى الله عليه واله وسلم إذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال "يا عدي هل رأيت الحيرة" قلت لم أرها وقد أنبئت عليها قال "فأن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله".

أهتم المرابطون بتأمين الطرق للرعية فالمرابطون قد أمنوا طرق الرعية حتى لا يلحقهم قطاع الطريق وهذا من مظاهر عدلهم فقد وصفوا بأنه: "لم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع، ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس"^(٣).

وبما ان القضاء يعد الاداة الاولى لحماية الحقوق ونشر العدل والمساواة بين الرعية فقد حرص حكام المرابطين على استخدام القضاة لفض النزاعات بين الناس وأحقاق الحق بينهم لتسود العدالة في المجتمع وحل الخلافات بينهم لما لهذا الامر من اهمية على المجتمع، فيقول ابن خلدون عن منصب القضاة^(٤): "واما أحكام هذا المنصب وشروطه معروفة في كتب الفقه، وخصوصاً كتب الاحكام السلطانية إلا أن القاضي كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط، ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدرج بحسب اشغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى، واستقر منصب القضاء آخر الامر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الايامى والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفح الشهود والامناء والنواب، واستيفاء العلم والخبرة فيهم،

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٣، ص١٣١٦.

(٢) عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرؤ القيس بن عدي الطائي اسلم ٩هـ وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على اسلامه في الردة واحضر صدقه قومة الى ابي بكر، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين، العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٦٩-٤٧٠.

(٣) ابن زرع، الانيس المطرب، ص١٠٨.

(٤) المقدمة، ص١٥٥.

بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من متعلقات وظيفته وتوابع ولايته". وكان من عمل القاضي الاشراف على بيت المال وموارده واختيار القائمين عليه، وأوجه انفاقه^(١).

وفي رسالة موجهة من امير المسلمين علي بن يوسف الى قاضي مالقه^(٢) سنة (٥٢٣هـ / ١٢٨م) يذكر فيها القضاء بأنه لرفع المشاكل وتمييز الحقائق، والفصل بعد الشكوى من الدعاوي والمنازعات، ويطلب ان تنتظر شكاوى العامة، وأن يجري التعرف الى شؤون الرعية وأن تعامل بالحق في كل ما ترفعه من احوالها، وان ينظر في تظلمها من عمالها، وأنه يجب ان يتوفر في القضاة الثقة والديانة والصدق والأمانة، فإذا وقع في احدهم ظلم أو تعد، كان للحاكم حق عزله، فان تواني رفع أمره للأمير مباشرة^(٣).

ولأهمية مؤسسة القضاء في تحقيق العدل والمساواة وازالة الظلم عن الرعية في دولته فكان الامير علي حريصاً في اختيار القضاة وكان القاضي يعزل بأمر أمير المسلمين ففي رسالة وجهها الامير علي الى أهل فاس سنة (٥٢٨هـ / ١١٣٣م) يخبرهم فيها بعزل قاضيهم ابن الملجوم^(٤) ويبرر ذلك لهم بقوله أنه تحقق لدينا أن ابن الملجوم جاهل بأحكام القضاء وأنه اظهر احكاماً سيئة، فقد قررنا عزله من منصبه^(٥).

وفي رسالة من الامير علي الى الفقيه قاضي الجماعة بقرطبة ابي عبدالله بن حمدين طلب منه المساواة بين الناس في العدل والمجلس، حتى لا يطمع قوي في

(١) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ١٠-١١.

(٢) مالقه: بفتح اللام والقاف كلمة عجمية، مدينة بالاندلس من اعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمريه. ياقوت، الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣.

(٣) مكى، وثائق تاريخية، ص ١٧١؛ عنان، دولة الاسلام، ج ٣، ص ٤٣١.

(٤) ابن الملجوم: يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم الملقب بالملجوم الازدي من أهل فاس يكنى أبا الحجاج وولي قضاء مدينة القرويين من فاس في أيام زمانه ثم صرفه عنها يوسف بن تاشفين في ولايته المغرب وولاية قضاء مكناسة ثم قضاء الجماعة بمراكش، ينظر: ابن الابار، التكملة، ج ٥، ص ١٨٠.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩٢.

حيفه، ولا ييأس ضعيف حتى تأخذ الحق له ولا أضعف من القوي حتى يأخذ الحق منه وطلب منه المساواة بين العمال والرعية، فان شكت الرعية اليه بعامل وصح ظلمه لها فأعزله، وأن شكا العامل من رعية خلافاً في الواجب فقومها لها، ومن استحق من كلا الفريقين الضرب والسجن فأضربه واسجنه، وإن استوجب دفع الغرامة فليدفعها أيهما، واسترجع الحق^(١). وهذا يدل على اهمية منصب القضاة في اشاعة العدل والمساواة بين الرعية.

كذلك حرص حكام المرابطين على العدل والمساواة مع غير المسلمين ومنهم النصارى واليهود فقد استخدموهم في شؤون الدولة وجعلهم يأخذون حقوقهم كما يأخذها المسلمون وعاملوهم وفق مبدأ العدل والمساواة ومما يدل على العدل مع اهل الذمة انتشار بعض المذاهب الدينية فقد انتشر بسبب حرية النشاط الديني بعض المذاهب اليهودية كمذهب القرائين الذي ادخله ابن الاطراس الى الاندلس وتابعت زوجته المهمة حتى تجذر في المغرب ايضاً وانتشر بعض نواحي كدرعة وفاس^(٢).

ومن منطلق العدالة والمساواة فقد سمح علي بن يوسف لاهل الذمة بممارسة شعائرهم الدينية كاملة فأنكر المهدي بن تومرت على علي بن يوسف بيع الخمر جهاراً وبمشي الخنازير التي للفرنج بين أظهر المسلمين وغير ذلك مما عدة من الذنوب^(٣).

ومن باب العدل والمساواة فإن الدولة المرابطية خصصت لهم مقابر خاصة تماشياً مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم، وقد عرفت احدى هذه المقابر في مكناسة بمقبرة الذميين^(٤).

أسند علي بن يوسف الى اليهود بعض المناصب المهمة في الدولة، فكان احباؤه الخاصون من اليهود كأبي ايوب سلمان بن المعلم وابو الحسن ابن عبد الرحمن

(١) بوتشيش، مباحث في التاريخ، ص ١٠٥.

(٢) الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٤٢٢.

(٣) الحنبلي، شذرات، ج ٦، ص ١١٨.

(٤) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص ٧٥.

بن ميار اللذين لقبوا بلقب الوزراء وهذا يدل على مدى نفوذهم داخل الدولة كما قلد بعضهم ادارة البلاط والتشريفات الرسمية، وارسل بعضهم في سفارات خاصة الى الامراء النصارى^(١) وهذا يدل على التزام الحكام المرابطين بأحكام الشرع في العدالة والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين.

أمر الاسلام بالإحسان في معاملة الرعايا غير المسلمين فلا يجوز في الاسلام ظلم احد من غير المسلمين أو الاعتداء عليه في نفسه وماله أو عرضه بغير حق وقد حرص حكام المرابطين على تطبيق هذا النهج مع رعاياهم غير المسلمين بالسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والحصول على حقوقهم مثل المسلمين من إذ الحصول على العمل وغيره تطبيقاً لقول رسول الله (ص) "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة اربعين يوماً"^(٢).

ومن دلائل العدل والمساواة مع اهل الذمة فقد اقدم علي بن يوسف بن تاشفين على عزل عامل غرناطة عمر بن يناله عندما حضر لبلاطه مجموعة من نصارى المدينة يشكون له ظلم عاملها لهم وتعديه على حقوقهم الدينية والمدنية^(٣) ولم يتوان القضاة في رد حقوق اهل الذمة التي اغتصبها منهم مسلمون دون وجه حق^(٤) ونشير هنا الى نازلة تحمل في طياتها الطابع الانساني للقضاء الاندلسي اتجاه اهل الذمة، فقد ماتت ام وتركت بنتين مسلمتين وجدة امهما نصرانية، وجدة الأب مسلمة، وقع النزاع بينهما حول الحضانة، فجاءت الفتوى بأن الاولى بالحضانة الجدة النصرانية وهي أحق من الجدة للأب وان كانت مسلمة^(٥).

(١) المرجع نفسه، ص ٨.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٣، ص ١١٥٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٧٧.

(٤) النباهي، المرقبة العليا، ص ٥٦-٥٧.

(٥) ابن سهل، الاحكام الكبرى، ص ٢٢٧.

وأفتى الفقهاء بأن المسلم يعاقب إن كسر آنية بها خمر لزمي^(١).

وكان عدل القضاة وانصافهم لاهل الذمة وراء إلحاح بعضهم على الاحتكام للقضاة المسلمين^(٢).

وبلغت درجة احترام السلطة الاسلامية لحقوق اهل الذمة ان منح موظفهم اجازات في ايام تعبدهم واعيادهم الدينية^(٣) من هذا يتضح تمتعهم بالعدل والمساواة أسوة بالمسلمين اعطى خلفاء الدولة الموحدية لحق العدل والمساواة اهمية خاصة لما له من مساس في تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس في مساواة وانصاف المظلومين، وانعكس هذا التوجه لديهم منذ وقت مبكر، إذ كان الخليفة عبد المؤمن يلبس ملابس العامة ويخرج حتى يقف على حقيقة الامور ويتفقد احوال الرعية ويستمع الى مشاكل الناس وانصافهم واعطائهم حقوقهم^(٤).

اعتنى الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بتحقيق العدل والمساواة وإنصاف المظلومين من رعيته، ويظهر ذلك من خلال ما وصف به إذ "نصب ميزان العدل، وبسط احكام الناس على حقيقة الشرع، ونظر في أمر الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في اهله وعشيرته والاقربين، كما اقامها في سائر الناس اجمعين..."^(٥). إذ كان يتفقد احوال رعيته بنفسه دون أن يتكل على أحد من مسؤولي دولته^(٦) وفي احيان اخرى يعطي اوامره بتفقد

(١) ابن عبد الرؤوف، رسالة في اداب الحسبة، ص ٩٥.

(٢) الونشريسي، المعيار، ج ١٠، ص ١٥٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص ١٣٨.

(٤) الصلاحي، دولة الموحدين، ص ١٣٥.

(٥) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ص ٨٣.

(٦) المقرئ، نفح الطيب، ج ٤، ص ١٢٤.

أحوال رعيته لخواصة أو أهل بيته ففي سنة (٥٦١هـ / ١١٦٦م) أمر أخيه بتفقد أحوال بلاد إفريقية ورفع مظالمها^(١).

سار الخليفة المنصور الموحي بنفسه لتفقد أحوال المدن والأقاليم للأطمئنان عليها وهو ما فعله حين استقر بأشبيلية سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٦م) لتفقد أشغاله وتكشفة على خدامه وأعماله^(٢).

ومن باب العدل فقد كان المنصور الموحي يهتم بمراقبة ولاته في متابعة أحوالهم وشؤونهم في ولايتهم ومدى قيامهم بواجباتهم والتزاماتهم عن طريق سؤال الرعية القادمين عليه^(٣) وكان إذا وفد إليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن أعمالهم وقضاتهم وولاتهم فإذا أثنوا خيراً قال: اعلّموا انكم مسؤولون عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن امرؤ منكم الا حقاً^(٤).

ولحرصه على إعطاء حقوق الناس وانصافهم فقد حرص على إقامة مجلس خاص للنظر في المظالم بنفسه كان يعقد كل يوم سبت يحضره بنفسه ويستمع فيه لكل ظلمات وشكاوي الناس بغية انصافهم ويحضر معه مسؤولو المؤسسات الادارية خشية ان يمارسوا سطوتهم في هضم حقوق الفقراء من الرعية^(٥).

جلس للنظر في شكاوي الناس عامة صغيراً وكبيراً ولم يحجب عنه أحد، حتى أتاه رجلان اختصما في نصف درهم فقضى بينهما وأمر الوزير أبا يحيى بضربهما ضرباً خفيفاً تأديباً لهما وقال لهما: إن هناك قضاة نصبوا لمثل هذه الأمور فكان سبباً في جلوسه للمظالم في أيام خصصها لذلك^(٦).

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ٧٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، ص ٢٢٤.

(٣) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ١٣٩.

(٤) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٥) ابن السماك، الحل الموشيه، ص ٨٤.

(٦) نجار، المغرب والاندلس، ص ٣٦٥.

وكان الخليفة يتلقى شكاوى الناس اثناء اسفاره ويحقق فيها ويعطي كل ذي حق حقه، وفي اثناء وجوده في مدينة فاس رفع إليه أن أبا القاسم بن الملجوم شيد حديقة في داره يشرف منها على بعض جيرانه وجعلها متنزهاً له ولاخوانه فأمر المنصور بالتحقق من ذلك فوجدها تطل على صحن حمام وسطح بعض الناس فامر الخليفة بهدمها^(١) وهذا يدل على مدى حرص الخليفة في صون وحفظ حقوق الرعية وانصافهم.

ان الخليفة المنصور الموحي كان يحرص على التحقق من كل شكوى ترفع له عن طريق بعض الاشخاص الموثوق بهم إذ يزودونه بالمعلومات بصحة الدعوى أو بطلانها^(٢).

وقد ابدى الخليفة محمد الناصر اهتماماً كبيراً بنشر العدل والمساواة بين الرعية وذلك من خلال متابعة سيرة عماله مع الرعية والتدخل في حالة اساءتهم وتقصيرهم بحقوق رعيته، وذلك بقيامه بتفقد احوال المدن وسماع شكاوى الناس ومما يدل على ذلك أنه عندما نزل مدينة فاس لتفقد احوالها سنة (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) إذ تجمع على بابه عدد من الناس اشتكوا من عاملها، واشتكى عدد آخر من عامل مكناس لذلك أصدر الناصر أمراً بمعاقبة هؤلاء العمال وارجاع حقوق الرعية ورفع الظلم عنهم وهذا ما أكده ابن عذاري^(٣) قائلاً: "وفي سنة أربعة وستمئة نزل -أي الناصر- بظاهرة مدينة فاس وفيها تجدد الظر في اشغال العمال ووقع البحث عما الى نظرهم من الاعمال، وازدحمت على باب الخليفة قبائل من اقطار المدينة واخلط من الناس مشتكين بعامل فاس وكان أبو الحسن بن أبي بكر وبعامل مكناس ابي الربيع بن أبي عمران، فنكبا جميعاً واستصفا ما وجد لهما من أموال واثاث وبقي كل منهما محبوساً في بلد عمله.

(١) ابن عذاري، البيان، ج، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) الياضي، مرآة الجنان، ص ٨٣.

(٣) البيا، ج ٣، ص ١٨٧.

وكان الخليفة الناصر حريصاً على نشر العدل والمساواة بين الرعية ونصرة المظلومين إذ أمر وزيره أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص^(١) بمهمة النظر في المظالم فكان يجلس في يوم السبت من كل اسبوع للاطلاع على شكاوى المتظلمين والسائلين وانصافهم واعطائهم حقوقهم^(٢).

وظل العدل من الشعارات السياسية للدولة الموحدية الذي تحمله خطاباتهم الرسمية، وعملوا بكل ما يملكونه من قوة من اجل تحقيق الامن والاستقرار. وأن العدل مرتبط بطبيعة دولتهم لانها قامت على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لذلك عملوا على الاهتمام بالقضاء باعتباره الأداة الاولى لحماية الحقوق ونشر العدل والمساواة إذ ضمت دولة الموحدين نظاماً قضائياً قوياً كانت مهمته الفصل بين المتنازعين والمحافظة على الأمن في الدولة لان القضاة لا يعينون الا بعد اختبار والأختبار من قبل الخليفة مباشرة ويسمح الخليفة لبعض الولاة بتقديم بعض العمال والقضاة على الجهات التابعة لولايتهم^(٣).

فأن منصب القضاة لا يتولاه إلا من يكون ذا علم ودين وعقل سليم، ويجب أن تتوفر فيه الأخلاق الحميدة، النباهة السيرة الحسنة، الثبات في حل المشكلات، العدل وحس التفهم للخصومات، والخبرة والاستقلال^(٤).

فإن خلفاء الدولة الموحدية يلحون على قضاتهم أن يأخذون الحق للضعيف من القوي ولا فرق بين "المشروف والشريف"^(٥) وبين "النبیه والخامل" فأفصل بينهما بميزان العدل والسوية^(٦) وان يحكم بين الناس بالعدل دون "مراقبة لأحد من الخلق"^(٧)

(١) السوسي، تاريخ رباط الفتح، ص ١٣٠.

(٢) علام، الدولة الموحدية، ص ٧٨.

(٣) حداد، سياسة الدولة الموحدية، ص ١٦٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٦١.

(٥) ليفي بروفنسال، رسائل موحدية، ص ٢١٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

(٧) ليفي بروفنسال، رسائل موحدية، ص ٢٦٠.

فالشرع لا تعتبر فيه المناصب ولا تلاحظ في تنفيذه المراتب ولا يرفع فيه جانب الحق الذي دون الجوانب...^(١) ويجب التسوية والعدالة بين الخصوم في الشدة واللين دون أن يخاف لومة لائم وتطبيق الشرع^(٢).

ويجب على القاضي ان يحسن الاستماع الى الخصوم الذين مثلوا امامه، وان يساوي بينهما في المجلس والقول والوقت ثم يذكر متى حضر الخصمان اليه وأدليا بحججهما^(٣).

فالعدالة لا تتحقق الا بصلاح القاضي ويجب على القاضي ان يستند إلى شهود عدول لصدور الاحكام وكانت توصيات الخلفاء الموحدين متذكرا لتطبيق ما جاء في الكتاب والسنة^(٤).

إذ برز من قضاة الخليفة عبد المؤمن القاضي ابو القاسم خلف بن محمد بن فتحون (ت ٥٥٧هـ)^(٥) الذي ولي قضاة مدينة اريولة فأعدل في أحكامه^(٦).

كذلك حرص الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) على اشاعة العدل في جميع ارجاء دولته وقيامه بتفقد احوال رعيته والسؤال عنهم بنفسه حتى يتأكد من اقامة العدل في جميع انحاء بلاده^(٧). وقد اشار ابن صاحب الصلاة الى ذلك بقوله "ظهرت من... دلائل اليمن واتصال العدل... يسير الراكب إذ

(١) بولطيف، خضر، القضاء في عصر الموحدين، ص ٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٣) حداد، سياسة الدولة الموحدية، ص ١٧٣.

(٤) حداد، سياسة الدولة الموحدية، ص ١٧٣.

(٥) ابو القاسم خلف بن محمد بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون أحد قضاة الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي ولي قضاة اريولة توفي سنة ٥٧٧هـ، ينظر ابن الابار، المعجم في اصحاب القاضي الصدقي، ص ٨١-٨٢.

(٦) ابن الابار، المعجم، ص ٨١-٨٢.

(٧) القيرواني، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ص ١٨.

يشاء من بلاد العدو في طرقها من جبلها وسهلها أمنا في نفسه وماله لا يخاف الا الله
او الذئب" (١).

وتشدد الخليفة الموحي يعقوب المنصور في محاسبة القضاة الذين ظهرت
عليهم المخالفات القانونية، فقد تم محاسبة القاضي أبي العباس العبدري (ت ٥٨٦هـ/
١١٩٠م) (٢) لقيامه بإطلاق سراح اخيه من السجن مقابل رشوة قدرها الف دينار إذ
لقي القبض عليه وعوقب بضربه ألف سوط لخيانته امانة مهنته ولمخالفته الشريعة
وقوانين الدولة الموحدية فهلك قبل استيفاء عقوبته (٣) وكذلك تمت محاسبة القاضي أبي
الوليد بن رشد (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) (٤) بتهمة محاولة بث سموم التفرقة في المجتمع
الموحي من خلال مؤلفاته إذ تم نفيه الى مدينة بيانه (٥) عقابا له (٦).

نجد ان الخليفة المأمون (٦٢٧-٦٣٠هـ / ١٢٣٠-١٢٣٣م) قد أقام مجلساً
قضائياً استقبل فيه جميع شكاوى الموحيين إذ تقدمت اليه امرأة بشكوى ضد أحد
اجناده لاستيلائه على دارها وعدم دفعه ايجاراً لها فأصدر المأمون حكماً بأخراجه من
الدار وعدم تقديم أي شيء تعويضاً له (٧). وهذا يدل على تمتع الرعية في عصر
الموحيين بالعدل والمساواة وانصاف المظلومين كما كان لعموم خلفاء الموحيين
مجلساً قضائياً يعقد جلساته كل يوم سبت وهو اشبه بمحكمة الاستئناف إذ يحضره

(١) تاريخ المن، ص ٢٩٣.

(٢) ابو العباس العبدري أحد قضاة الموحيين في عهد الخليفة يعقوب المنصور تمت محاسبته لقيامه بأخذ رشوة من
قبل أحد السجناء ينظر ابن الابار المقتضب، ص ١٨٣.

(٣) ابن الابار، المقتضب، ص ١٣٨.

(٤) هو القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد من اشهر قضاة الموحيين إذ اتهم ببث التفرقة
وتمت محاسبته ونفيه ينظر، ابن الابار، التكملة، ج ٣، ص ٥٥٣-٥٥٥.

(٥) بيانه: وهي قصبة كوره مدينة قبرة من اعمال قرطبة، يكتنفها أشجار وانهار والمسافة بينها وبين مدينة قبرة
عشرة أميال وبينها وبين مدينة قرطبة ثلاثون ميل. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٨؛ الحميري،
الروض المعطار، ص ١١٩.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٠٥.

(٧) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ٤١٦.

ال خليفة الموحدى وأقاربه ورجال دولته وطلبة الحضرة واشياخ الموحدين إذ يجلس أقارب الخليفة على الجانب الايمن والاشياخ على الجانب الايسر ويحضره ايضاً وزير الجند ووزير المال وصاحب الشرطة والمحتسب وعدد من القضاة وصاحب كتب المظالم إذ يبدأ كاتب المجلس بالمناداة على أصحاب الشكاوى واحداً بعد الآخر للنظر في قضاياهم حسب الجهة المرفوعة ضدها^(١)، وهنا نلاحظ اجتماع مؤسسات الدولة جميعها لنشر العدل واحقاق الحق.

وقد اهتم الخليفة الموحدى ابو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩م) اهتماماً بالغاً في سيادة العدل والمساواة في جميع مؤسسات دولته فأرسل العديد من الكتب الى جميع ولايته على الاقاليم حثهم فيها على بسط العدل وانصاف الرعية واختيار افضل القضاة وأعدلهم أحكاماً للقيام بهذه المهمة^(٢) لذا فقد ساد العدل وعم الخير جميع انحاء البلاد في عهده^(٣).

لقد برز من قضااته القاضي ابو الحسن علي بن احمد الاموي ت ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م^(٤) فقد كان من افضل قضاة زمانه واشهرهم تمثلت احكامه بعدالتها ونزاهتها^(٥) في حين اختار الخليفة الموحدى الناصر القضاة المعروفين برجاحة عقولهم وكبر سنهم وعدالة احكامهم ووفرة اموالهم^(٦) وكان قصده من ذلك حتى لا تن ايديهم الى أخذ الرشوة من العامة وقد برز في عهده القاضي موسى بن محمد

(١) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٥، ص١٤٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١٤٤.

(٣) الباشا، الاندلس الزاهية، ج٣، ص٢٢.

(٤) هو ابو الحسن علي بن احمد بن علي من ابرز قضاة الخليفة الموحدى ينظر المراكشي الذيل، ج٥، ص١٦٩-١٧٠-١٧١.

(٥) المراكشي، الذيل، ج٥، ص١٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٨١.

الهمداني (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م)^(١) المشهور بعلمه وعدالته احكامه إذ استقضي على مدينتي مالقه وغرناطة^(٢).

والواقع انه كلما انتظم القضاء وابتعد الخلفاء عنه كان قضاء عادلاً جيداً يسعى لاحقاق الحق وابطال الباطل ويكون على رأسه قضاة امناء عارفون بأمور دينهم وملمون بأمور دنياهم فنصل الى قضاء عادل، ولكن إذا تدخلت اهواء وميول الخلفاء والرشوة والجاه في اختبار القضاة فإننا نتجه الى ظلم واعتداء على حقوق الرعية بكافة جوانبها، الامر الذي يؤدي الى امتهان القضاء في عيون الناس واحتقارهم له مما يفقد قوته.

(١) هو موسى بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني ولاه الخليفة الناصر قضاء مدينتي مالقه وغرناطة توفي سنة ٦٠٨هـ ينظر المراكشي، الذيل والتكملة، ج ٨، ص ٣٨٦.

(٢) المراكشي، الذيل، ج ٨، ص ٣٨٦.

المبحث الثالث: الحق في الشورى

الشورى مصطلح اسلامي يستند الى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم سميت سورة الشورى كما ان هناك العديد من الآيات القرآنية التي تكلمت عن الشورى قال تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

ومن الامور المسلم بها، أن نظام الحكم في الاسلام نظام شورى، أي نظام يقوم على الشورى، فقد أمر الله النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بمشاورة اصحابه في أمر المسلمين. إذ قال سبحانه وتعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

إذ ان الشورى هي اساس حرية الفرد في الجماعة تعطيه حقه في المشاركة في اصدار القرارات الجماعية، والحرية حق اساس لجميع الافراد ولهم الحق في ممارسته على قدم المساواة^(٣).

وتعد الشورى من اهم المفاهيم والحقوق الاساسية في الفكر السياسي في الاسلام^(٤)، فهي أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم^(٥).

وقد اثبتت الاحداث التاريخية مدى احترام الحكام المسلمين في بلاد الاندلس حق الشورى، فقد حرص حكام المرابطين على الشورى كمبدأ أصيل للحكم، فقد اعتمد يوسف بن تاشفين على مبدأ الشورى وجعله اساساً من اساس الحكم والادارة إذ يذكر

(١) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) نعيم يوسف، الشورى بين النظرية والتطبيق، ص ١٥٥.

(٤) عبد الكافي، حقوق الانسان العامة في الاسلام، ص ٣٣٠.

(٥) الغزالي، محمد، حقوق الانسان، ص ٢٠٢.

المؤرخون انه كان "كثير المشورة" يفضل الفقهاء ويعظم العلماء^(١)، ويصرف الامور اليهم، يأخذ فيها برأيهم^(٢).

فهذا يوسف بن تاشفين عندما وصله كتاب ابن عباد^(٣) يدعو الى دخول الاندلس، اخبر به اخوته، وبني عمه، وطلب مشورتهم ماذا يفعل بهذا الكتاب، فأشاروا عليه بضرورة أن يعين المسلم اخاه المسلم، وأن لا يتركوا المسلمين لينفرد الاعداء بهم ولكن الرأي في النهاية له^(٤).

وهذا يبين مدى حرص يوسف على عدم الاقدام على أي خطوة مهمة تخص المرابطين بدون الرجوع الى مشورتهم في الامر حتى يصل معهم الى قدار صحيح.

وحرص يوسف على الشورى في اختيار ولي عهده علي ففي سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠٢م) ولي عهده للامير أبي الحسن علي، بعد استشارة اهل الرأي ورضاهم عما رضىه هو من اختيار ولده علي، ورأوه أهلاً لخلافة والده، فأحضره واشترط عليه بعض الشروط فقبل ورضي، وتمت خلافته بعد ان استخار والده الله في ذلك^(٥).

وهذا يدل على مدى حرص الامير يوسف بن تاشفين في تطبيق مبدأ الشورى والعمل به ومشاورة من حوله.

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص١٢٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٤٦.

(٣) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو عباد بن الظافر قاضي اشبيلية بن ابي الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم اللخمي من ابناء النعمان بن المنذر اللخمي اخر ملوك الحيرة، كان المعتمد صاحب قرطبة واشبيلية وما والاها من جزيرة الاندلس وفي سنة ٤٤٨هـ هاجم عسكر الامير يوسف وشنوا القارات وقبض على المعتمد واهله وكان قتل له ولدان قبل ذلك احدهما المأمون والثاني الراضي، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٢١-٣٠.

(٤) مجهول، الحلل الموشيه، ص٤٨-٤٩.

(٥) المرجع نفسه، ص٧٨-٨٠.

وحرصاً على تطبيق الشورى فقد بعث علي بن يوسف رسالة الى اخيه تاشفين^(١) سنة (٥٢٦هـ / ١١٣١م) يطلب منه فيها التزام الشورى عندما يشتبه عليه امر ما^(٢) اقتداء بقول الله تعالى لنبيه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣).

كذلك عندما اراد علي بن يوسف توليه ابنه سير ولاية عهده، جمع اهل الحل والعقد من الفقهاء والقضاة وبني عمه واخويه تميماً وابراهيم المشهور بابن تاغيش، وشاورهم في الامر، فسلم الامر لابنه سير، وشهد الشهود بذلك وكملت البيعة والتزم الناس بقبولها ونظر سير في امور الجيش، والاحكام، والولايات، والعزل ورد المظالم^(٤) وكان حرص علي نابعاً من تأكيد اختيار الشعوب لحكامها، كما نصت الشورى في الاسلام وحتى لا تكون للشعب حجة في عدم الثقة بحاكمه.

واتصف قادة المرابطين بحرصهم على اقامة مبدأ الشورى فيما بينهم، فكان قرار الجهاد ضد النصارى في الاندلس بعد شورى شارك فيها الشيوخ والقادة والعلماء والفقهاء، وكان قرار ضم ممالك الطوائف بعد شورى كذلك، واشتهر الامير يوسف بمشاورة ذوي الرأي من علماء الشريعة الاسلامية وذوي الخبرة فيما يعرض له من امور^(٥).

ولما اجتمع المرابطون، ووقع اتفاقهم على ان يكون ولي العهد بعد أمير المسلمين علي بن يوسف ولدة تاشفين لشجاعته وشهامته ورجاحة عقله، وما برع به

(١) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي للمتوني امة رومية اسمها ضوء الصباح ببيع سنة ٥٣٧هـ ايام ظهور الموحدين، ملك مدينة فاس توفي سنة ٥٣٩هـ ابن القاضي، جدوة الاقباس، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٨٧.

(٣) سورة ال عمران، الآية ١٥٩.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٧٨-٧٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ١، ص ٤٤٦.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٨٦.

من شجاعة لقتال الاعداء، فلم يستطع مخالفتهم، واستخلفه عليهم بعده، ونقش اسمه في الدنانير والدرهم مع اسمه^(١).

وكان هذا حرصاً منه على عدم اغضاب المرابطين، وتولى الحكم من يرضونه، وذلك منعاً للخلاف وحرصاً على وحدة الصف الاسلامي.

حرص الحكام المسلمين على مبدأ الشورى في إدارة شؤون الدولة والدليل على ذلك هو تشكيل مؤسسة خاصة لها عرفت "بخطبة الشورى" في عهد علي بن يوسف ويكون صاحبها فقيهاً يشاوره القاضي قبل ان يصدر الاحكام، وكان قاضي المدينة يتولى اختيار هؤلاء الفقهاء من اهل مدينته ممن يعرفون بالورع والتبحر في الفقه والعلوم الدينية ويحدد ابن عبدون هؤلاء الفقهاء بأربعة اثنان يشتركان في مجلس القاضي واثنان يجلسان في المسجد الجامع^(٢).

ولجأ الحكام المسلمون في مناسبات عديدة الى مشورة الفقهاء والعلماء فقد قربهم ورفع من مكانتهم وزاد لهم ارزاقهم الامير يوسف بن تاشفين وقد عرف بتعلقه بالفقهاء وقد سار على نفس النهج ابنه علي بن يوسف لدرجة انه لا يصدر امراً في جميع مملكته إلا بعد العودة الى الفقهاء ومما يؤكد ذلك ان علي بن يوسف كان اذا ولي أحد من قضاته كان يحثهم بعدم استصدار الاحكام إلا بمحضر اربعة من الفقهاء^(٣).

ان علي بن يوسف لم يكتف بمشورة الفقهاء في استصدار احكامه والحث على وجوب تعظيمهم بل وفر لهم الحماية الكاملة من أي مكروه^(٤) وكان ابو بكر بن عمر الذي استطاع ان يكسب ثقته فاتخذته وزيراً ومشاوراً وجليساً ومعلماً^(٥).

(١) ابن عذارى، البيان، ج٤، ص٩٨؛ مجهول، الحلل الموشيه، ص١٢٠؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٤٤٧.

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص٣٦٨.

(٣) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص١٢١.

(٤) محمود، قيام دولة المرابطين، ص٤٠.

(٥) دندش، نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٨.

وقد استعان علي بن يوسف بمشورة الفقهاء بأمور الادارة والحرب والسياسة الخارجية للدولة فابن رشد ومعاصروه افتوا لعلي بن يوسف في بناء سور مراكش، وفي سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م) عندما اراد علي بن يوسف مراجعة الملكيات العامة التي الت الى ملكيات خاصة منذ ايام بني عامر استشارة الفقهاء في ذلك^(١).

وكانت السلطة السياسية تستشير فقهاءها عن كل شيء من توسع مسجد او بناء سور وكيفية التعامل مع المعاهدين من اهل الذمة وكذلك استشارتهم عن قضايا فكرية مثل الموقف من الاشعرية وعلم الكلام وصفات الزندقة والموقف من كرامات الصوفية^(٢) فعندما اراد يوسف بن تاشفين هدم كنيسة البيرة سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) استشار الفقهاء في ذلك^(٣).

وقد بالغ الحكام في احترامهم للقضاة والفقهاء فقد قربوهم اليهم وانزلوهم منزلة رفيعة فقد اشتركوا في مجالس الشورى واتخذوا بعضهم وزراء وشاوروهم في كل صغيرة وكبيرة من شؤون البلاد^(٤).

وقد عمل علي بن يوسف بمشورة القضاة عندما افتوا عليه باحراق كتاب العلوم للغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١٢م)^(٥) وعلى رأسهم قاضي القضاة ابو عبدالله بن احمدين (ت ٥٤٧هـ / ١١٥٢م)^(٦).

كذلك اشار عليه الفقيه ابن رشد (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) بترميم الاسوار والقلاع في الاندلس^(٧).

(١) موسى، النشاط الاقتصادي، ص ١٣٣.

(٢) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ١١٣-١١٤.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٤، ص ١١٥.

(٤) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٣٧٢.

(٥) مجهول، الحلل الموشيه، ص ١٠٤.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٥٩.

(٧) مجهول، مفاخر البربر، ص ٦٥.

ودولة الموحدين تقوم على النظام الاسلامي كدولة المرابطين واعتمدت مثلهم على الشورى وان اختلف نظام الشورى في كلا الدولتين من إذ طبيعة المشاورين اعتماد المرابطين في المشورة كان على الفقهاء وأمرء المرابطين بينما اعتمد الموحدين على فئات أو طبقات يستشيرونها في جميع الامور^(١) وتختلف الهيئة المستشارة على حسب أهمية الموضوعات أو الامور المطروحة للاستشارة^(٢).

ففي العصر الموحيدي كان هناك مجالس يتشاورون فيها ويعبرون عن آرائهم بكل حرية ومن اشهرها مجلس اهل السبعين فإذا كانت الامور أقل خطورة استشاروا الخمسين واذا كان الامر دون ذلك احضروا السبعين ويؤكد ذلك ابن القطان "وكانوا اذا قطع والامور العظام يخلون العشر لا يحضر معهم غيرهم فاذا جاء أمر اهون احضر الخمسين فاذا جاء دون ذلك حضروا السبعين رجلاً"^(٣).

ففي الامور العظام يستشيروا أهل الجماعة (العشرة) وهم أول من بايع المهدي وأمن به، تميزوا بالعلم والقدرة القيادية والبذل والتضحية، وكان دور هؤلاء الاشياخ استشارياً في المقام الاول، فلا يعلن خلفاء الموحدين حرباً أو يستعدون لها، ولا يخوضون معارك إلا بعد استشارتهم^(٤).

ولما ولي عبد المؤمن اولاده الولايات، بعث معهم بعض أشياخ الموحدين مستشارين لهم وأوصاهم بأخذ المشورة منهم قبل أي أمر يقومون به^(٥).

(١) صنف المهدي الموحدين اصنافاً:

١- العشرة ٢- اهل الخمسين ٣- اهل السبعين ٤- الطلبة ٥- الحفاظ (صغار الطلبة) ٦- اهل الدار ٧- اهل هرغة ٨- اهل تينمال ٩- جد مبره ١٠- اهل جنفيسه ١١- اهل هنتاته ١٢- الجند ١٣- الغزاة وهم الرماة.

ينظر: الحلل الموشيه، ص ١٠٩، ابن القطان، نظم المرجان، ص ٧٩.

(٢) الصلابي، فقه التمكين، ص ١٣٨.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٢٨.

(٤) ابن صاحب الصلاة، تاريخ ألّمن، ص ٢١٨-٢٢٠؛ ابن عذاري، البيان، ص ١١٣.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٣٢.

ومع ان القيادة في الولايات للوالي إلا أنه في بعض الاحيان كان الطلبة ينوبون عنه في قيادة الحملات العسكرية^(١) وإذا أراد ان يسير حملة الى جهة معينة كانوا يستشيرون طلبة تلك الناحية^(٢) وكان في الغالب أخذ رأي الطلبة في الامور ذات الطابع العسكري^(٣).

وكان التشاور في الامور العسكرية قبل الغزو في مجلس حربي يضم الخليفة وشيوخ الموحدين واشياخ العرب واشياخ القبائل من الاجناد، وقواد الجيش البارزين واهل الحروب ممن تعودوا الغزوات من أهل الرأي^(٤).

وكانت هذه المجالس في عهد الموحدين لها نظام خاص يتبعوه، وكان الخليفة يتصدر المجلس ومعه قاضي الجماعة لأدارة النقاش والتشاور حول مسائل الحاضرين بكل حرية وبعد الانتهاء من التشاور والنقاش يختم الجلسة بالدعاء للخليفة^(٥).

(١) ليفي، بروفنسال، رسائل موحدية، ص ٧٤-٨٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٧.

(٣) اشرك عبد المؤمن طلبة غرناطة واشبيلية في اللجنة التي كلفها للاشراف على بناء مدينة جبل الفتح (جبل طارق) لتكون قاعدة للاعمال العسكرية في الاندلس؛ ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالامامة، ص ١٣٨.

(٤) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص ٢١٩.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٣٤٢.

الفصل الثاني

الحقوق الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الاول: حقوق المرأة في بلاد الاندلس

المبحث الثاني: الحق في حماية الاسواق وتنظيمها في الاندلس

المبحث الثالث: الحق في الرعاية والصحة

المبحث الرابع: الحق في الملكية العامة والخاصة

المبحث الخامس: الحق في العدل الضريبي في الاندلس

المبحث الأول: حقوق المرأة في بلاد الاندلس

مما لاشك فيه ان مبادئ الاسلام لم تدعُ مطلقاً بسجن المرأة وعزلها عن الحياة وانما المحافظة عليها فهو الدين الوحيد على وجه الارض الذي كرمها ورفع من شأنها وعوضها عما كانت تعاني من ظلم واحتقار في الجاهلية.

شغلت المرأة مكانة مهمة في عهد دولة المرابطين ويرجع ذلك الى عادات وتقاليد القبائل الصحراوية وقد بلغ اتساع نفوذ المرأة فقد كانت تشترك في مجلس القبيلة وتشارك في الشؤون المهمة^(١).

وكان للمرأة تأثير على الرجل واحترامهم لها جعل العديد من قادة ورؤساء دولة المرابطين يلقبون بأسمائهم تقديراً لدورهن في المجتمع المرابطي مثل ابن عائشة^(٢).

وكذلك عبدالله بن فاطمة^(٣) من ابرز قادة المرابطين ودخل في كثير من المعارك في الاندلس واحرز فيها عدة انتصارات كان معروفاً بابن فاطمة^(٤). وهذا يشير الى مكانة المرأة واعتزاز الرجال بانتحال اسماء امهاتهم. وكانوا يكتنون بأسماء بناتهم مثل: ابو هند وابو ميمونة^(٥).

هناك من الدلائل التي تشير الى المكانة المرموقة للمرأة في المجتمع الاندلسي اذ كان رأيها محترماً ويمكنها ان تشرط على زوجها قبل الزواج بأن لا يتزوج ثانية اذ

(١) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٥٢.

(٢) ابن عائشة: هو الامير ابو عبدالله محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة وكان من كبار قادة المرابطين عينه ابوه قائداً على شرف الاندلس واضطلع بضبط الاحوال فيها ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٦٥.

(٣) عبدالله بن فاطمة: هو من أمراء المرابطين وكان له دور كبير في تاريخهم بالاندلس منذ سنة ٤٩٥ هـ باشتراكه في انقاذ بلنسية ثم ولي بلنسية حتى سنة ٥٠٣ هـ. ثم نقل الى فاس ينظر: ابن خاقان، فلتاند العقيان ومحاسن الاعيان، ص ٣٥٧.

(٤) القطان، نظم الجمان، ص ٨.

(٥) القاضي، ترتيب المدارك، ج ٣، ص ١٢٤.

أشار ابن سهل^(١) الى عقد الزواج في الاندلس اذ شرط فيه الزوج لزوجته ان لا يتسرى عليها ولا يتزوج. وتؤمن حقوق المرأة في الاندلس في مدة زواجها وحتى في حالة طلاقها حالها كحال أي امرأة مسلمة^(٢).

راعى الحكام المسلمون في الاندلس حقوق المرأة وحظيت باهتمامهم وذلك ان شيمة الرجل العربي وكرامته وكبريائه لا تقبل ان تستضعف وتهان وتذل امرأة امامه ويمكن ان نلتمس ذلك عندما اكرم الناصر الموحي^(٣) سبايا ميورقة^(٤) إذ امر بإطلاق سراحهن ومساعدتهن بالاموال على الزواج^(٥).

أحترم حق المرأة الاندلسية في العهد المرابطي والموحي حتى في أوقات الحرب ففي احدى المعارك بين الموحدين والمرابطين سقط كثير من الاسرى في يد الموحدين ومنهم عدد كبير من النساء فأمر عبد المؤمن بن علي بأطلاق سراح النساء اللاتي وقعن في أسره^(٦).

وفي بعض الاحيان اتخذ الحكام من السبايا زوجات لهم يقول البيهقي "وقسم الخليفة الغنائم بعد انتصار الموحدين على المرابطين في احدى المعارك واخذنا فيها مائة بكر وكن عندنا مؤمنات فقسمهن الخليفة على الموحدين وتزوجوهن وبقيت فاطمة

(١) الاحكام الكبرى، ج ١، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) ابن سهل، الاحكام الكبرى، ج ١، ص ٢٦٣.

(٣) الناصر الموحي:- محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي الموحي الناصر لدين الله من خلفاء دولة الموحدين بويح في حياة ابيه وجددت له البيعة بعد وفاته سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٩م) كان داهية من عظماء هذه الدولة شاباً طموحاً معتزاً بنفسه وبرأيه ينظر: الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ١٤٥.

(٤) ميورقة:- بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء جزيرة في شرقي الاندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٣١٥.

(٦) البيهقي، اخبار المهدي، ص ٨٨.

بنت يوسف^(١) الزناتية وبنت ماكسن ابن المعز صاحب مليلة^(٢) فرمى الخليفة القرعة مع ابي ابراهيم على فاطمة فأخذها ابو ابراهيم وأخذ الخليفة بنت ماكسن ابن المعز ام الامير ابراهيم والامير اسماعيل^(٣).

وهناك حقوق للنساء في دار القضاء وجب على القاضي مراعاتها وهي حسب ما ذكرها ابن عبدون^(٤) "يجب للقاضي ان ينظر فيهن ويقدم أمرهن فأنهن فيما يحتجن اليه من امورهن عورات ولا يشتغل فيقعدهن لينظر الناس اليهن وكذلك ايضا يجب للحاكم ان يفعل".

كانت الدولة الاسلامية في الاندلس تراعي حقوق المرأة وتحرص على ان لا تنتهك حرمتها في حال سجنها فقد ذكر ابن عبدون^(٥) "لا يسجن النساء مع الرجال في سجن واحد لا يكون سجان النساء الا شيخاً متزوجاً عفيفاً ويتفقد سيرته فيهن ولا يطول سجنهن يجب ان يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء في حكم من المحكومات عند امرأة قابلة خيرة قد عرف القاضي فضلها".

شغلت المرأة الاندلسية عدة أدوار ولم يقتصر دورها على رعاية الاسرة والاشراف على شؤون البيت وتربية الاولاد بل مارست بعض الاعمال رغبة في الكسب وفي بعض الاحيان يكون ناتجاً عن عادة في بعض القبائل وهي دفع النساء للعمل كنساء اهل السوس واغمات يقول البكري^(٦) "واهل السوس واغمات اكثر النساء تكسباً واطلبهم للرزق يكلفون نسائهم وصبياتهم التحرف والتكسب".

(١) فاطمة بنت يوسف القاضي جمال الدين التادفي الحنبلي كانت من الصالحات الخيرات وكانت قد حجت مرتين وتوفيت في مكة ينظر: الغزي، الكواكب السائرة بإعيان المئة العاشرة، ج ١، ص ٢٩٣؛ الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ١٠، ص ١٩٠.

(٢) مليلة: مدينة بالمغرب قريبة من سبته على ساحل البحر ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٧.

(٣) البيهقي، اخبار المهدي، ص ٩٤.

(٤) رسالة في القضاء والحسبة، ص ١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٦) المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص ١٢٣.

أكملت المرأة دورها الفعال في المجتمع الاندلسي وشاركت الرجل في ميادين العمل فمن المهن التي برعت بها المرأة الاندلسية هي "الطبيبة والحجامة والدلالة والماشطة والنائحة والمغنية والمعلمة والعاملة في الغزل والنسيج"^(١)، وبذلك مارست المرأة حقها في العمل.

كذلك اشتغلت بعض النساء في الطب ومنهن اخت الطبيب ابو بكر بن زهر وابنتها اذ كانتا بارعتين في الطب^(٢).

تمتعت المرأة بنصيب وافر من الحرية في عصر المرابطين بوأها لأن تتدخل في كثير من الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية وكان لها رأي مسموع فيها لذلك ظهرت قصائد مديح النساء وراثتهن وذلك لما يكنه الرجل من احترام للمرأة وفي المجال الادبي نلمس ارتفاع صوتها وحريتها في التعبير عن مشاعرها بطرحه في مجالس تقعدها مع شعراء العصر وتتفوق عليهم

في بعض الاحيان كالمجالس الادبية التي كانت تقعدها الشاعرة نزهون بنت القلاعي مع الشاعر الاعمى المخزومي^(٣) وابن قزمان^(٤) والوزير ابي بكر بن سعيد...الخ^(٥).

(١) ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج ١، ص ٧٢.

(٢) عبد العزيز، الطب والاطباء، ص ٣٠.

(٣) الاعمى المخزومي:- وهو ابو بكر المخزومي الاعمى الشريف المدوري (نسبة الى الحصن المدور بقرب قرطبة) شاعر اعمى كان شديد الشعر معروف بالهجاء سريع الجواب ذكي الذهن فطناً للمعارضة سابقاً في ميدان الهجاء فإذا مدح ضعف شعره ينظر: ابن سعيد المغربي، المغرب، ج ١، ص ٢٢٨

(٤) ابن قزمان: هو ابو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان ولد سنة ٤٨٠هـ عاش في عصر المرابطين في بيت عريق في قرطبة، توفي سنة ٥٥٥هـ مشهور بإمام الزجالين بالاندلس كان ينتقل من مدينة الى اخرى ليشارك في ألعاب المهرجانات الفكاهية ينظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٠٠.

(٥) بوفلاحة، الشعر النسوي، ص ١٥٢.

ومن النساء الاندلسيات التي اجادت قرض الشعر مثل الشاعرة نزهون بنت القلاعي^(١) شاعرة ادبية خفيفة الروح^(٢).

لها مركزها في عصر المرابطين رغم قلة شعرها واتصافه بالمقطعات ولمكانة المرأة واحترام الدولة لحقها في التعليم جعلها تجالس الوزراء واعلام الدولة إذ كانت الشاعرة نزهون تجالس الوزراء وتساجل الشعراء وتهاجيهم ولها مهاجاة ومشاعبات مع مشاهير وشعراء ووزراء عصرها كالاعمى المخزومي^(٣) وتميز شعرها بنوع من الخصوصية عن باقي الشاعرات سواء في عصرها أو في العصور الاخرى فقد كان معظم شعرها وجداني اكثره في الغزل والهجاء^(٤).

ومن شاعرات الاندلس حفصة بنت الحاج الركونية شاعرة وادبية عاصرت دولة المرابطين والموحدين وكانت ذات جمال وحسب وثراء يقول عنها ابو القاسم الملاحي "كانت ادبية نبيلة جدية البديهة سريعة الشعر"^(٥)، واشتهرت حفصة بعلاقتها الغرامية مع الشاعر الوزير جعفر بن سعيد الذي احبها وبادلته نفس الشعور^(٦). وقد مدحت الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية في شعرها الخليفة عبد المؤمن بن علي^(٧).

(١) نزهون بنت القلاعي: شاعرة ادبية خفيفة الروح جميلة، أندلسية من أهل غرناطة لها أخبار ومساجلات مع

بعض شعراء عصرها. ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٨، ص١٧.

(٢) بوفلاحة، الشعر النسوي الاندلسي، ص١١٦.

(٣) الشكعة، الادب الاندلسي، ص١١٦.

(٤) فروخ، تاريخ الادب العربي، ج٤، ص٣٥١.

(٥) بوفلاحة، الشعر النسوي، ص١٥٥.

(٦) المقرئ، نفح الطيب، ج٣، ص٣٠٣.

(٧) عبد المؤمن بن علي: سلطان المغرب يلقب بأبمير المؤمنين ولد سنة ٤٨٧هـ في مدينة تلمسان وكان أبوه يصنع

الفخار ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٦٦-٣٦٧.

ومن الشاعرات اللاتي اشتهرن في عصر المرابطين الشاعرة ام الهناء بنت عبد الحق شاعرة من شواعر الاندلس من اهل قرطبة كانت من اهل العقل والفهم سريعة التمثيل ذات شأن في حلقات العلم لها تأليف في القبور واخر في الادعية^(١).

وام الهناء كانت مثال المرأة الاندلسية المثقفة اذ تميزت بالصلاح والعفة فهي بنت دين وعلم وكانت صاحبة عقل راجح^(٢).

وقد اشتهرت المرأة ايضاً بالادب والثقافة والمعرفة ومنهن تميمة بنت يوسف بن تاشفين وتكنى ام طلعة وكانت مشهورة بالادب والكرم راجحة العقل^(٣). وايضاً حواء بنت تاشفين كانت اديبة وشاعرة جليلة ماهرة تحضر المجالس الادبية وتجمع الشعراء والكتاب وتحادثهم^(٤).

وهذا يدل على ان هذا الادب لا يمكن ان يخرج من نساء مضطهدات ومكبوبات بل يخرج من نساء لهن عقول صافية مدركة لكل ما يحدث حولها^(٥).

لا تقتصر مشاركة المرأة الاندلسية في الحياة الثقافية على الشعر والدراسات الادبية بل أدت ايضاً دوراً في عملية التدريس من خلال قيامهن بتعليم الابناء ورعايتهم نستنتج ذلك بما قاله ابن حزم^(٦) عندما ذكر "ولقد شاهدت النساء وعلمت ان اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري لأنني ربيت في حجورهن ونشأت بين ايديهن ولم اعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وانا في حد الشباب... وهن علمني القرآن ورويني كثيراً من الاشعار ودربني في الخط".

(١) المقرئ، نفح الطيب، ج ٤، ص ٢٩٢-٢٩٤.

(٢) بوفلاقة، الشعر النسوي، ص ١٨١.

(٣) محمد القاضي، جذوة الاقتباس، ص ١٥٠-١٦٠.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٥٧.

(٥) شافع، المرأة في المجتمع الاندلسي، ص ٣٧.

(٦) رسائل ابن حزم، ج ١، ص ١٦٦.

لقد اهتم الاندلسيون بتعليم النساء لرفع مستوى الوعي والهام تفكيرها وكذلك أفادة انفسهن ومجتمعهن. وحرصوا على ذلك فجعلوا منها استاذة معلمة أو ادبية ناقدة أو طيبية واشتهرت الكثيرات في مختلف المجالات فمنهن الاستاذة حفصة بنت الحاج^(١) (ت ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) التي كانت من الادبيات الشهيدات في عصرها والتي اصبحت مدرسة للنساء في عصرها^(٢).

وكانت فاطمة بنت زكريا^(٣) كاتبة تكتب الكتب الطوال^(٤). وام العفاف نزهة^(٥) بنت الحسين كانت معلمة الرجال اخذوا العلم عنها^(٦).

ومن بنات الخلفاء المثقفات الاميرة زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فقد درست علم الاصول وكانت عالمة صائبة الرأي فاضلة^(٧). ويستنتج من ذلك أن المرأة الاندلسية حصلت على حرية تامة في عملية التعليم من خلال توسع نطاق عملها في شغل الوظائف الثقافية.

(١) حفصة بنت الحاج: هي شاعرة من أهل غرناطة، انفردت في عصرها بالتفوق في الادب والظرف الحسن وسرعة التخطر بالشعر تنتسب حفصة الى "ركانه" أو "ركونه" Requena وهي بلدة اندلسية ووليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي: ينظر الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٢) الحموي، معجم الادباء، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٣) فاطمة بنت زكريا: هي فاطمة بنت زكريا بن عبدالله الكاتب المعروف بالشبلاري مولى بني أمية، كانت كاتبة جزلة مخلصه عمرت عمراً كثيراً، وأستكملت أربعاً وتسعين سنة، تكتب على ذلك الكتب الطوال وتجيد الخط وتحسن القول توفيت سنة ٤٢٧هـ ودفنت بمقبرة أم سلمة ينظر: الذهبي، كتاب تاريخ الاسلام، ج ٩، ص ٤٢٧.

(٤) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ علماء الاندلس، ج ٢، ص ٥٣٣.

(٥) أم العفاف نزهة: بنت أبي الحسين سليمان بن أحمد بن سليمان اللخمي. نظر: المراكشي، الذيل والتكملة، ج ٢، ص ٦٢٥.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٦٥٤.

(٧) المنوني، العلوم والادب، ص ٣٣.

وقد حظيت المرأة في المجتمع الموحدى بمكانة محترمة رغم حرقتها
المحدودة واهم ما قام به الموحدون لصالح المرأة هو فرض "عبد المؤمن" الزامية
التعليم على الرجال والنساء^(١).

وقد كان للمرأة الاندلسية دور اجتماعي فقد كانت صاحبة اموال كثيرة
تتصرف فيها كيفما شاءت^(٢).

فصرفتھا في ان متعت زوجها منها^(٣) وتصدقت بجزء من مالها على أحد
اقربائها^(٤). وبهذا فقد شاركت زوجها وعائلتها بمالها.

وكانت ايضا مالكة لعقارات وأراضٍ^(٥). وكان لها النصيب في ملكية
المعادن^(٦).

فقد اعانت المرأة أحد أقاربها فأشركته في مالها "وتصدق عليه بشقص لها في
مجشّر"^(٧).

وكذلك تصدقت بإعانات للمساكين^(٨). وان بعض زوجات امراء قرطبة
تصدقت بثلث مالها للمساكين^(٩).

(١) السائح، الحضارة، ص ٢٣٥.

(٢) الونشريسي، المعيار، ج ٩، ص ١٦٦.

(٣) ابن جزي، القوانين الفقهية، ص ١٤٠.

(٤) الونشريسي، المعيار، ج ٩، ص ١٦٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٦) احمد، النشاط الاقتصادي، ص ٥٦، ص ٢١٣.

(٧) مجشّر: الذي لا يرفعى قرب الماء وقال المنذري: هو الذي يرفعى قرب الماء، والذي يفهم من ذلك ان المجشّر

تعني مرعى ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٣٤.

(٨) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج ٢، ص ١٠٤٣.

(٩) الونشريسي، المعيار، ج ٩، ص ١٦٦.

من الحقوق التي تمتع بها المرأة الاندلسية كان لها حق الملكية الخاصة ان تعقد البيوع كما ذكر ابن رشد^(١) في مدينة بلنسية تضمنت عقد مبايعة بين امرأتين في ملك. وكانت ايضاً تشترك الرجال في املاكها^(٢).

ودائماً تقف المرأة مع الرجل لتوفير مصدر رزق العيش للابناء فهذا ابن اللبانة يروي فيما نقله ابن سعيد ان امه كانت تبيع اللبن لأجل حياة ابنائها^(٣).

واكثر من ذلك فقد ساهمت بأموالها في فك رقاب الاسرى^(٤).

وفي حكم المرابطيين زاد نشاط النساء إذ كن يشتريين مستلزماتهن من الاسواق مثل سوق "البرازين" كالصياغة وغيرها ويذهبن الى الحمامات مثل حمام بنت البان مخصصاً للنساء ومن الحقوق التي تمتعت بها المرأة الاندلسية هو حقها في ممارسة العبادة إذ كانت بعض النساء يخرجن للصلاة في المساجد ولذا خصص لهن مسجد "القرويين" بيت النساء ليتوضأن فيه^(٥).

أما في الحياة السياسية فقد برز أسهام المرأة من خلال تدخلها في التأثير على الاحداث السياسية بشكل مباشر او غير مباشر وكان للمرأة دور كبير في السياسة والحكم والسيطرة على ولاية الامر ومنهن "زينب النفزاوية"^(٦) زوجة يوسف بن تاشفين كانت امرأة حازمة ذات عقل ورأي ومعرفة بالامور^(٧). ولكثرة ذكائها لقبت

(١) فتاوى ابن رشد، ج ٢، ص ١٠٧١.

(٢) البرزلي، جامع مسائل الاحكام، ج ٣، ص ٤٢٩.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٤٨٧.

(٥) محمود، الحياة الاجتماعية، ص ٣٦٢.

(٦) زينب النفزاوية كانت مضرب المثل في الجمال، تزوجت أبا بكر بن عمر ابن عم يوسف بن تاشفين المرابطي في سنة ٤٦٠هـ ثم طلقها فتزوجها يوسف بن تاشفين وكانت أحب ما لديه. ينظر: ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ١٨.

(٧) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج ٢، ص ٣٢.

بالساحرة^(١). وقد قدمت زينب النصائح الى زوجها يوسف وقدمت له المعونات المادية حتى استطاع ان يثبت اقدامه في الحكم وبهذا استطاعت زينب ان تتمكن من قلب زوجها وتصير لها الكلمة في البلاد^(٢).

وكان يوسف بن تاشفين يعتز بها ويتكلم في مجالسه عن مكانتها وفضلها ويقول ابن عذارى "وفي هذه السنة سنة ٤٦٩هـ ولد للامير يوسف ولده الفضل من زوجته زينب النفزاوية وكانت احسن ما لديه، امرأة غالية عليه... ليس"^(٣).

وقد برز مدى سلطة زينب أنها أمرت بعزل أحد القضاة لأنه مدح "حواء" زوجة سير بن ابي بكر^(٤) بالجمال وفضلها على سائر النساء، فجاءها الرجل مستعطفاً وظل على بابها أياماً باع كل ما يملك لينفق منه الى ان سمحت له بالمثول بين يديها يقول النويري^(٥) "قالت-أي زينب لخدمها فأنتي به الساعة فأحضره اليها فقالت له تمدح زوجة سير وتفضلها على سائر النساء وخرجت في وصفك لها عن الحد وزعمت ان ليس في الارض اجمل منها ما هذه المنزلة القضاء ولا يليق بك ان تشرك نفسه في هذه المنزلة فقال ارتجالاً

انت بالشمس لامعة وهي بالارض لاصقة

فمتى ما مدحتها فهي في سير طالقة

فقالت له يا قاضي طلقته منه قال نعم ثلاثة وثلاثة وثلاثة فضحكت حتى افتضحت وقالت والله لا تم لها فقال ابدأ وكتبت الى يوسف يرده الى القضاء فردده".

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج٢، ص٣٢.

(٢) ابن عذارى، ج٤، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣.

(٤) سير بن ابي بكر: أحد رؤساء اللمتونيين هو الذي حاصر اشبيلية حتى استولى عليها وقبض على المعتمد بن عباد وتقلد أمارتها بعد دهرًا ثم تولى محاصرة بطليوس الى ان دخلت عنوة يوم السبت لثلاث بقين من محرم

سنة سبع وثمانين وأربعمائة ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج٢، ص١٠٢.

(٥) نهاية الارب، ج٢٢، ص٨٠.

وقد ازداد نفوذ النساء وصارت لهن السيطرة على الحياة العامة في البلاد ويوضح ذلك المراكشي بقوله^(١) "واستولى النساء على الاحوال واسندت اليهن الامور وصارت كل امرأة من اكابر لمتونه مسوفة مشتملة عل كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وامير المسلمين في ذلك كله يتزيد تفاوله ويقوي ضعفه".

كذلك فقد كان لنساء المرابطين رأي مسموع في سياسة الدولة فقد استمع يوسف لنصيحة زوجته زينب التي اشارت بها عليه في معاملة الامير ابي بكر بن عمر بعد عودته من الصحراء فقد قالت له "يا يوسف ان عمك رجل متورع في سفك الدماء فاذا لقيته فقصر عما كان بعهد منك من الادب والتواضع واظهر له غلظه ولاطفه مع ذلك بالاموال والثياب والطعام والترف واستكثر من ذلك فإنه ببلاد الصحراء وكل شيء عندهم من هنا مستطرف"^(٢).

ومن النساء التي تدخل في الامور السياسية السيدة قمر زوجة امير المسلمين علي بن يوسف التي اشارت على زوجها ان يولي ابنها الامير سير ولاية عهد ابيه وقيل انها قد تملكها الغيرة على ابنها سير من اخيه الامير تاشفين بسبب المكانة الكبيرة التي بلغها والانتصارات العظيمة التي حققها على القوى النصرانية في الاندلس^(٣).

فأوعزت قمر الى زوجها امير المسلمين بعزل ابنه تاشفين عن ولاية الاندلس فرضخ امير المسلمين لها وبعث في استدعاء ولده تاشفين من الاندلس اذ اصبح تحت أمرة ابنها سير، الى ان توفي سير فتدخلت مرة ثانية في اختبار ولي العهد وعرضت على علي بن يوسف ان يولي ابنه اسحاق ولاية عهده، وكان اسحاق في منزلة ابنها

(١) المعجب، ص ١٧٧.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٩٢-٩٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩٧.

فقد اشرفت على تربيته بعد وفاة امه، وعاد امير المسلمين ان ينفذ رغبتها لولا ان المرابطين قد اجمعوا على اختيار تاشفين لولاية العهد^(١).

وفي عصر الموحدين كانت زرقاء المردنشية^(٢). زوجة يوسف بن عبد المؤمن فقد أشارت على زوجها بتعيين بعض اقربائها في بعض المناصب^(٣).

لذلك يمكن القول ان المرأة أدت أسهاماً بارزاً في مختلف المجالات فقد شاركت الرجل في الحروب وشاركته في ميدان المعارك^(٤).

فقد تدربت بعض النساء على الضرب والطعن حتى ان احداهن وهي فانو بنت عمر بن بنتيان ظلت تقاتل الموحدين على اسوار مراكش حتى قتلت وقد اعجب الموحدين بشجاعته وبطولتها وصمودها^(٥).

وكانت المرأة الاندلسية تتمتع بحرية كبيرة حتى انها كانت تختلط بالرجال في الاماكن العامة والمناسبات المختلفة. مما جعل ابن تومرت عند عودته من رحلته يستنكر هذا الوضع في اكثر من مكان فعند نزوله ببجاية في عيد الفطر وجد اختلاط الرجال بالنساء مما دفعه للتفريق بينهم بعصاه^(٦).

وكذلك حين نزل ابن تومرت بتلمسان وجد النساء يستقن الماء وبالقرب منهن الرجال يتوضؤون فقال: ليس هذا منكر النساء مع الرجال مخلوطين وحين نزل بناحية قلال وهي احدى الاماكن التي عبرها في طريقه سمع صراخ الرجال والنساء نتيجة اللهو واللعب فلما نهاهم عن ذلك كان جوابهم "هكذا السيرة عندنا"^(٧).

(١) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٩٧-٩٨.

(٢) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص ٢٧١.

(٣) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٣٦١.

(٤) ارسلان، الحل السندسية، ج ٣، ص ٩.

(٥) البيهقي، اخبار المهدي، ص ١٠٣.

(٦) البيهقي، اخبار المهدي، ص ٥٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٦٢-٦٣.

كل ما ذكر يشير الى تمتع المرأة في هذا العصر بحرية الاختلاط ومشاركة الرجال في المناسبات، ويتصل بهذا الموضوع سفور المرأة وحجابها فأن المرأة الاندلسية بجانب تمتعها بحريتها كانت ايضا سافرة إذ إتخذ الرجال اللثام بينما النساء ظلن سافرات^(١).

اما عن الحقوق الصحية للمرأة الاندلسية فقد حرص الحكام المسلمون في الاندلس على توفيرها فكان المحتسب الاندلسي يلزم بائعي الفواكه ان لا يبيعوا الفاكهة غير الناضجة لأنها تضر بالنساء الحوامل^(٢).

وقد حافظ المجتمع الاندلسي على المرأة وكان غيوراً عليها فلم ينهها الفقهاء عن الخروج يوم العيد وانما نهوا الشباب عن الجلوس في الطرقات لأن في ذلك اعتراض لها^(٣).

ولم يكن ينظر الى المرأة في الاندلس على انها اداة للمتعة والتسلية والخدمة بل حظيت بحب واحترام واهتمام الحكام المسلمين لها بغض النظر عن أصولها، فقد تبأوت الجواري مكانة متميزة في المجتمع الاندلسي وتعلت بلاطات الحكام المسلمين فيهن وان مصادر جلبهن متعددة اذ جلب عدد منهن من الشرق وكان اغلبهن من المدينة واشتهرن بفنون الموسيقى والغناء... ويعد السبي^(٤) والرقيق من المصادر المهمة للجواري^(٥).

وكانت الجواري في الاندلس تحصل على كامل حقوقها وتصبح حرة بعد ان تلد ولد تسمى ام ولد ولاسيما ان امهات اغلب الامراء والخلفاء المسلمين في الاندلس كن امهات اولاد كما هو الحال مع الامير يوسف بن تاشفين (٤٦٢-٥٠٠هـ/١٠٦٩-

(١) حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٢٣٣.

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص ٥٠.

(٥) ابن حوقل، صورة الارض، ج ١، ص ١١٠.

١٠٦م) إذ رزق من جارية له تدعى "ضوء الصباح" بابنه تاشفين^(١) ومن جاريته الرومية التي تدعى "قمر" بأبنه سير^(٢).

وقد اهتمت الاسرة الاندلسية بالجارية بتشجيعها على التعلم كالعلياء البنسية التي كانت مملوكة لأحد الاعيان فأهتم بها وادبها وعلمها فقامت بنات جنسها فكانت اديبة شاعرة^(٣). وهذا يعني ان الجارية لم تكن لاشغال البيت فقط وانما اهتموا بها واعطوها مكانتها واعتبروها فرداً من افرادها فوجهتها مثلاً الى التعلم.

ان احدى الجواري حظيت بحب سيدها حتى اصبح يقوم لأجلها بما هو خطر عليه إذ يشتري لها خمرًا لرغبتها بتناوله له مع علمه انه في خطر اذا قبض عليه اعوان المحتسب أو القاضي^(٤).

وكان للجارية مكانة كبيرة عند سيدها اذ نجد ان احدهم يبكي لفقد جاريته كأبن حمديس^(٥) الذي رثى جاريته التي قد ماتت غريقة في عدة مواضع من شعره وكان رثاؤه متضمناً لكل اشكال ومعاني الالم والهم والاسى لفقدها^(٦).

وللجارية مكانة كبيرة عند سيدها فقد اصبحت من المقربات واعتلت الرتب حتى اصبحت لها واجهة واضحة في الحياة السياسية كالجارية "قمر" التي لعبت دوراً سياسياً كبيراً في أمر علي بن يوسف واستطاعت اقناعه بولاية العهد لابنها سير^(٧).

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٦٥.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٤٥.

(٣) ابن الزبير، صلة الصلة، ص ٣١١.

(٤) ابن عذاري، ج ٤، ص ٩٣-٩٤.

(٥) أبن حمديس: عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الازدي الصقلي ابو محمد شاعر مبدع، ولد في مدينة سرقوسة اجمل مدن الساحل الشرقي لصقلية نشأ في بيئة محافظة لها اتصال بالثقافة الدينية والادبية فتزود بثقافة تنامت وتعمقت وصقلت مع الايام وشملت العروض والنحو والتاريخ ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٢١٢.

(٦) ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، ص ٢١٢-٥١٧.

(٧) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٠٤.

المبحث الثاني: الحق في حماية الاسواق في بلاد الاندلس

ساعد اتساع مساحة بلاد الاندلس وتنوع التضاريس واعتدال مناخها وادخال العرب انظمة متطورة على ازدهار الصناعة والزراعة وانتشارها فيها فتوفرت المنتجات الصناعية والزراعية فكان لابد من وجود اسواق لتصريف تلك المنتجات^(١).

ومن المعروف ان الاسواق هي محور الحياة الاقتصادية وقد حفلت بلاد الاندلس بالكثير من الاسواق التجارية التي تباع فيها المنتجات الزراعية والصناعية فضلاً عن تسويق البضائع والسلع الى خارج الاندلس واسواق الاندلس في مظهرها العام تشابه اسواق العالم الاسلامي فأغلبها كان مرتباً ترتيباً جيداً ومعظمها مسقوف كي لا تتعرض لعوامل طبيعية والبعض الآخر مكشوف^(٢).

انتشر في الاندلس اربع انواع من الاسواق منها أسواق المدينة وهي أسواق يومية اذ توجد الكثير من الاسواق في المدن الاندلسية فتكاد لا تخلو مدينة اندلسية من الاسواق^(٣). فضلاً عن الاسواق الاسبوعية التي تعقد في يوم معين من ايام الاسبوع وينسب السوق والمكان المقام فيه الى يوم انعقاده من هذه الاسواق كسوق الخميس بمدينة قرمونة^(٤) وسوق الثلاثاء بمدينة شوذر^(٥). وايضاً الاسواق الموسمية التي تقام في مناسبات معينة ومواسم مختلفة خلال السنة^(٦) ينتقلون من بعضها الى البعض الآخر ويأتون اليها للبيع والشراء وتقع هذه الاسواق في اماكن مختلفة ومنتشرة مثل

(١) بروفنسال ليفي، سلسلة محاضرات عامة، ص ٩٨.

(٢) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص ١٦.

(٣) الناقة، تاريخ الاندلس، ص ٢٥٨.

(٤) قرمونة: من مدن الاندلس المهمة تقع شرقي مدينة اشبيلية تفصل بينهما مسافة تقدر بـ ٢٠ ميلاً وبينها وبين مدينة استجه ٤٥ ميلاً، يوجد فيها سوق يعرف بسوق الخميس. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦١.

(٥) شوذر: من مدن الاندلس من كور جيان وهي قرية تعرف بغدير الزيت لكثرة زيتونها وهي كثيرة المياه والبساتين كثيرة السقي يوجد فيها سوق يعرف بسوق الثلاثاء، الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥١.

(٦) سامعي، تاريخ الاندلس، ص ١٤٠.

مدينة اصيلاً^(١). التي كانت تقوم بها سوق جامعة ثلاث مرات بالسنة^(٢)، وهو في وقت اجتماعهم في شهر رمضان في عشر ذي الحجة وفي عاشوراء^(٣).

وهناك نوع آخر من الاسواق وهي الاسواق العسكرية التي تصحب الجيوش اثناء تنقلاتهم في غزواتهم فيعرض التجار ما يحتاج اليه الجيش من السلع الاستهلاكية والحربية^(٤).

ويبدو ان الباعة الذي يصحبون الجيوش كانوا يستغلون قلة المؤن فيرفعون من اسعار حاجياتهم وهذا ما يصوره لنا البيهقي من خلال كلامه عن الحرب التي كانت بين تاشفين بن علي والمهدي بن تومرت سنة ٥٦٣هـ بقوله^(٥) "وكان الخليفة امير المؤمنين -أي المهدي بن تومرت- في غابته في جبل يسمى بعفرا، وكان تاشفين تحتنا في النواظر، وبلغ عندنا في ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسطل، وبلغ الحطب عند تاشفين ديناراً للرطل".

ومن الاسواق التي عرف عنها التخصص في الاندلس القيساريات^(٦) وهي عبارة عن مجموعة من الاسواق المتخصصة تضم مباني عامة كالمخازن والحوانيت والمساكن لمبيت التجار^(٧).

(١) بلد بالقرب من طنجة وهي مدينة كبيرة قديمة عامرة بأهلها الحميري، الروض المعطار، ص ٤٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) البكري، المغرب، ص ١١٢.

(٤) الخزاعي، اسواق المغرب، ص ٤٥.

(٥) البيهقي، اخبار المهدي، ص ٥٣.

(٦) القيساريات: كلمة قيسارية تعريب للكلمة اليونانية اللاتينية kaisareie وتعني السوق التابع للدولة وتمتاز القيساريات بأنها ملكاً للحاكم ومساحتها أكبر من مساحة الفنادق ومساحة السوق لأنها يمكن أن تستوعب عدة أسواق وهي عبارة عن مبنى مغلق ذي بوابة واحدة او عدت بوابات تفتح في ساعات الحركة التجارية، ينظر: بلباس، المدن الاسبانية، ص ٥٠٧؛ سالم، تاريخ وحضارة الاسلام، ص ٢٠١٨.

(٧) قاسم، الحياة الاجتماعية، ص ٢٠٢.

وكانت القيسارية في الاندلس تتألف احيانا من شبكة من الطرقات الضيقة والمسقوفة تدور حول فسيح وتفتح الحوانيت على هذه الممرات وكانت البضائع القيمة تباع في هذه القيساريات^(١).

وكل قيسارية تحتوي على مختلف الاسواق كأسواق الحرير والديباج وهناك سوق الصناعة والحلي والجواهر وكانت الدولة تقوم ببناء تلك القيسارية وتأجيرها لأصحاب الحرف والمهن والصناع والتجار مقابل أجر متفق عليه^(٢).

اذ كان لكل نوع من انواع التجارات أو الحرف شارع أو سوق باسمه^(٣). فخصصت قيساريات للمنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية وغيرها من انواع المنسوجات، كما كان لصانعي الاحذية شارع باسمهم يسمى سكة الاسكافيين وهم صانعو الخفاف^(٤).

وقد اشتهرت بعض المدن الاندلسية بأسواقها الحافلة منها مدينة المرية^(٥)، التي يصفها الادريسي^(٦) بقوله "ومدينة المرية كانت في ايام الملثم مدينة الاسلام" ولقد نهضت هذه المدينة لتتنافس اسواق المغرب^(٧). فكانت عامرة بالأسواق والحمامات والفنادق^(٨) ووفرت للتجار كل ما يحتاجونه من تسهيلات وامكانيات حتى تتم عملية

(١) عبد الوهاب، ورفات، ص ٥٧-٦٢.

(٢) ابن عمر، احكام السوق، ص ٩٥.

(٣) ابن عبدون، رسالة في اداب، ص ٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

(٥) مدينة كبيرة من كورة البيرة من اعمال الاندلس تعرف بباب الشرق لنزول مواكب التجار في مرفأها وكان يضرب ماء البحر في سورها، الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٠٩.

(٦) الادريسي، المغرب وارض السودان، ص ١٩٧.

(٧) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٠.

(٨) الادريسي، المغرب وارض السودان، ص ١٩٧.

البيع والشراء في اسواقها وتعود عليهم بالأرباح ففي ذلك يقول ابو الفداء بأنها "باب الشرق ومفتاح الرزق"^(١).

وايضاً قرطبة التي اشتهرت بأسواقها وهي في حد ذاتها مدن يتلو بعضها بعضاً وفي كل مدينة ما يكتفيها من الاسواق^(٢) فوجد فيها سوق للنخاسة واخر للدقيق^(٣). وفيها ايضاً سوق الكتانين^(٤) ولقد عرف التخصص بأسواقها مثل اسواق المدن المغربية ولقد وصفت من قبل الكثير من الجغرافيين ومن بينهم الادريسي الذي قال فيها انها كثيرة الاسواق^(٥).

وكذلك مدينة اشبيلية^(٦) عرفت ايضاً اسواق عامرة قائمة^(٧) بمختلف السلع والمنتجات خاصة الزيت والقطن الذي كان يجهز به الى مدن المغرب^(٨). ونتيجة التطور الذي شهدته مدينة اشبيلية فلم يقتصر وجود الاسواق بداخلها فقط بل تعدى ذلك لكل قرية من قراها امتلأت بالأسواق^(٩) فزودت اسواق المغرب في عهد علي بن يوسف ببعض المحاصيل الزراعية وعلى رأسها الفواكه وبشكل خاص التين وهذا لا يعني ان التين لم يكن موجوداً بأسواق المغرب الاقصى وانما يعود الى جودة التين

(١) ابي الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٧.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦.

(٣) الناقة، تاريخ الاندلس، ص ٢٢٦.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٢٢.

(٥) الادريسي، المغرب واراض السودان، ص ٥٦٣؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٠٧.

(٦) اشبيلية: إحدى مدن الاندلس المطلة على بحر الاوقيانوس (المحيط الاطلسي) تفصلها عن مدينة قرطبة مسافة ثلاثة ايام تكثر فيها زراعة التين والزيتون كانت اسواقها عامرة وتجارها نشطة ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١٨.

(٧) المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٨.

(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٩.

(٩) المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٨.

الاشبيلي وخبرة الاندلسيين في تجفيفه ولقد قصدها التجار من كل مكان فربحت تجارتهم وعظم ثراء اهلها^(١).

ونقل تجار المغرب الى اسواق الاندلس مختلف السلع والبضائع منها القمح والحنطة^(٢) والشب والنحاس^(٣) والزيت واللوز والبرقوق والمزاود والمقرب^(٤) والصمغ الذي يصنع به الديباج واللبن^(٥) وادوات سروج الخيل والاغنام^(٦).

تميزت اسواق الاندلس بالتخصص إذ اختصت كل حرفة او صناعة بسوق معين^(٧). منها سوق للمأكولات المطهية مثل اللحم والسمك وايضا هناك محلات لبيع الاسفنج والمجبنات واسواق اخرى لبيع الفواكه مثل الجوز واللوز وسوق اخر لبيع الهريسة^(٨).

وهناك اسواق لبيع الحبوب تسمى بالرحاب^(٩). تباع فيها الحبوب من شعير وذرة وقمح ومختلف انواع البقول المختلفة وسوق لبيع الدقيق يسمى بالمدي^(١٠).

وكان للحيوانات اسواق خاصة مثل سوق الدواب الذي تباع فيه البغال التي كان اهل قرطبة^(١١) يتفخرون بها والتي كانت تباع بالمائة والمائتي دينار^(١٢) وهناك اسواق خصصت لبيع الماشية اذ يذهب اليها القصابون لشراء ما يلزمهم وكانت هذه

(١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٨.

(٢) ابن سعيد، سبط الارض، ص ٧٦.

(٣) عمر، النشاط الاقتصادي، ص ٣٢٤.

(٤) سامعي، تاريخ الاندلس، ص ٩٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٩٢.

(٦) عمر، النشاط الاقتصادي، ص ٣٢٤.

(٧) ابن عبدون، رسالة في اداب الحسب، ص ٤٣.

(٨) ابن عبد الرؤوف، ثلاثة رسائل، ص ٩٧-١٠١.

(٩) بالباس، المدن الاسبانية، ص ٤٣٣.

(١٠) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٢٠٦.

(١١) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٨.

(١٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٠٩-١١٠.

الاسواق تشهد ازدحاماً خاصة في الايام القريبة من عيد الاضحى^(١). وكان لهذه الاسواق امين يرجع اليه عند الاختلاف في البيع^(٢).

وخصصت في الاندلس محلات لعلاج الناس واخرى لبيع الاعشاب الطبية^(٣). ويوجد بالسوق مكان خاص لبيع الفواكه والخضروات المختلفة الاصناف التي تأتي من القرى القريبة لهذه المدن وبجوارها حوانيت بيع اللحوم المذبوحة من بقر وماعرز إذ يشترط ان يباع كل نوع في حانوت على حدة حتى لا يحدث غش ويخلط الجزار لهم لحم الضان بالماعرز^(٤).

كذلك يوجد في السوق مكان لبيع الطيور والارانب المذبوحة ويجب ان تكون تلك الطيور منزوعة الريش والارانب مسلوخة وبجوارهم باعة الطيور الحية وغيرها وبجوارهم ايضاً باعة البيض وبجانب كل بائع منهم اناء مملوء بالماء ليختبر المشتري البيض^(٥).

ونجد في السوق باعة الزيت والزبد والسمن والعسل^(٦). ويوجد في السوق مكان لمدعي التطبيب الذين يقومون بفصد الدم وخلع الاسنان أو كتابة وصفة لمريض يثق في علاجهم^(٧) ويتواجد في الاسواق المشعوذون الذين يدعون معرفة الغيب والكشف عن المستقبل وعمل الطلاسمل للحفاظ من الحسد وشفاء مريض وغير ذلك^(٨).

(١) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٢٠٠.

(٢) ابن عبدون، ادا ب الحسب، ص ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦-٤٧.

(٤) السقطي، ادا ب الحسبة، ص ٣٢؛ ابن عبدون، رسالة في ادا ب الحسبة، ص ٤٤.

(٥) ابن عبدون، رسالة في ادا ب الحسبة، ص ٤٣.

(٦) ابن عبد الرؤوف، رسالة في ادا ب الحسبة، ص ٩٧-٩٨.

(٧) ابن عبدون، ادا ب الحسبة، ص ٤٦-٤٧.

(٨) الجرسقي، رسالة في ادا ب الحسبة، ص ١٣٢.

وكان للصيارفة سوق خاص بهم وغالباً ما كان الصيارفة من اهل الذمة خاصة اليهود ويعج سوق الصيارفة بالاجانب لصرف العملة والتجارة وعقد الصفقات^(١).

والى جانب هذه الاسواق هناك سوق خاص بالجواري والعبيد يعرف باسم "المعرض" يجلب اليه الرقيق من جميع انحاء البلاد فنجد الهندية والرومية والبربرية والحجازية والزنجية والصقلية تباع فيه جواري المتعة أو الانجاب أو الخدمة وتختلف اثمانها بحسب ما تتمتع به كل واحدة من جمال ومواهب وما تجيده من فنون الرقص والغناء والموسيقى والشعر^(٢).

وكانت الاسواق تعج بضجيج الناس ونداء الدالين وتنتشر حلقات يلتف الناس حولها لمشاهدة قصاص أو شاعر شعبي يعرض مهارته في إلقاء الشعر والقصص أو يقوم أحد الهواة ببعض العابه السحرية التي تسحر عقول المشاهدين^(٣).

وقد جعل من السوق مكاناً للعبادة واقامة الصلاة "لما كثرت العمارات بالمدينة أي مدينة فاس في ايام امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وضاق الجامع بكثرة المصلين الى ان كانوا يصلون في الشوارع والاسواق"^(٤). حتى انه فرض على اصحاب السوق تعيين شخص يذكرهم بأوقات الصلاة وفيه يقول ابن عبدون^(٥) "يجب ان يرتب اهل السوق منذراً يشعرهم بأذان الظهر والعصر ليتأهبوا للصلاة كل يوم ويجمعوا له كل يوم شيئاً يستعين به في معيشته".

(١) ابن عبدون، رسالة في اداب الحسبة، ص ٥٨.

(٢) السقطي، اداب الحسبة، ص ٤٧-٤٨؛ دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٢٠١.

(٣) ابن عبد الرؤوف، اداب الحسبة والمحتسب، ص ١٠٨.

(٤) الجزنائي، جنى زهرة الاس، ص ٦٧.

(٥) رسالة في اداب الحسبة، ص ٢٣.

وفي عهد المرابطين انتشرت العديد من الاسواق وكانت قريبة من المسجد الجامع^(١). ومنها اسواق الثياب والديباج وحوانيت العطور والصباغة^(٢).

تجنباً للأضرار بحركة السير داخل السوق كانت الدولة تمنع الناس من الدخول الى جميع هذه الاسواق على ظهور دوابهم اذ كان لها مكان خاص خارج السوق تقف فيه وهناك من يتكفل بتلك الدواب حتى ينتهي اصحابها من قضاء حاجاتهم واعمالهم^(٣).

ان ازدهار الاسواق والمحافظة على الحقوق الاقتصادية للناس ادى الى ازدهار التجارة مما انعكس بشكل ايجابي على المستوى المعاشي لجميع فئات الشعب. وكل هذا التطور والازدهار كانت تقف خلفه حكومة قوية ساهرة تمكنت من حماية الطرق وتسهيل عملية التنقل بين المدن الاندلسية من خلال تشيد القناطر ومطاردة اللصوص وقطاع الطرق^(٤).

كذلك اهتمت الدولة بالتجارة والتجار اذ عملوا على توفير سبل الراحة للتجار فيذكر ابن ابي زرع^(٥) أن يوسف بن تاشفين لما دخل فاس أمر ببناء الحمامات والفنادق في سنة ٤٦٢هـ بلغ عدد الحمامات عشرين حماماً^(٦). وكان للفنادق وظيفتان الاولى لخرن السلع والمتاجر لتوزيعها بعد ذلك بالجملة والوظيفة الثانية ايواء النزلاء من التجار الوافدين^(٧).

شهد عهد الحاكم المرابطي علي بن يوسف حالة من الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي ويعود ذلك الى انقطاع الثوار واجتماع الكلمة بعدما كان

(١) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٢٠٠.

(٢) سالم، بحوث اسلامية، ص ٨.

(٣) ابن عبدون، رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، ص ٥٥.

(٤) حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، ص ٢٦٦.

(٥) ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، ص ١٤١.

(٦) عيساني، دور الاوقاف الاسلامية، ص ٦٧.

(٧) سالم، بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة والاثار، ص ١٦٩.

المغرب الأدنى والوسط من قبل تحت سيطرة القبائل الهلالية الذين نشروا الرعب والفرع في نفوس الأهالي فآثر ذلك على نشاط الأسواق الأمر الذي أدى بالقوافل إلى تغيير طرقها التجارية نحو مدن المغرب الأقصى لما وفرتة الدولة من أمن ولهذا لم تجد هذه القوافل طريقاً غير المرور عبر ديار الملثمين^(١).

لقد اهتم الخلفاء الموحدون بإنشاء الجسور والقناطر وذلك لربط المناطق ببعضها وتسهيل أمور الرعية من تنقلات وقضاء حاجاتهم وتسهيل عملية التبادل التجاري واستغلال مياه الأنهار في ري الأراضي الزراعية^(٢). وكان المنصور الموحي من أكثر خلفاء الموحدين المهتمين ببناء القناطر فبنى الصوامع والقناطر لجلب الماء من البرية واتخذ عليها المنازل واهتم بها^(٣).

وقد اهتم الخلفاء الموحدين بالأسواق وكان الخليفة المنصور الموحي يجتمع بأمناء الأسواق مرتين في الشهر من أجل متابعة شؤون الرعية الاقتصادية والحفاظ على أسعار الأسواق مما ينعكس بشكل إيجابي على الحياة الاقتصادية للناس^(٤).

وكانت الرقابة على الأسواق في الأندلس تخضع لأشراف موظف حكومي وهو المحتسب ويعرف بصاحب السوق أو أمين السوق^(٥). وكان للمحتسب مطلق الحرية في اتخاذ أعوان يساعدونه في عمله^(٦) ويكون له أعوان في الأسواق ليعرف أخبار السوق^(٧) ولم يكن أشرف المحتسب مقصوراً على الصناعات والتجارة فحسب بل

(١) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤٠١.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٥.

(٤) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٥.

(٥) المعموري، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٨٦.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٧.

(٧) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، ص ١٦.

يمتد اشرافه ومراقبة اصحاب المهن الاخرى كالملاحين والحمالين والى كل ما يمس الاداب العامة في المدينة^(١).

غير ان المحتسبين لم يقوموا بمهامهم كما يجب هذا ما اشارت اليه كتب الحسبة من خلال انتشار الغش والتدليس في اسواق الاندلس^(٢) وهذا راجع لتهاونهم في عملهم بحيث كانوا يוכלون مهامهم لأعوانهم لهذا نجد ان السقطي يشدد على مباشرة المحتسب مهامه بنفسه^(٣).

اهتمت الدولة بالحفاظ على انسيابية الحركة داخل السوق إذ شملت تنظيمات المحتسب الطرق فلم يسمح للباعة بعرض سلعهم في الطرق الضيقة والتجاوز على الطريق ومنع اصحاب الدكاكين من اخراج سلعهم في الطرق^(٤) ومنع الفخارين من ان يعرضوا بضائعهم ويوضعها في الطريق^(٥) لأن ذلك يؤدي الى عرقلة حركة المرور وتضييق الطرق في السوق ومن ثم الحاق الضرر بالماراة.

تولى المحتسب مراقبة الطحن وصناعة الخبز فكان لابد من غربلة الحبوب قبل بيعها والتأكد من نوع الدقيق حتى لا يخلط الجيد بالرديء كذلك يجب التأكد من نظافة الطحانين وأوانيهم وسلامة ما يطحنون^(٦).

وكانت عقوبة من يتلاعب بأوزان واسعار واصناف الخبز التصديق بالخبز وان كانت كمية كبيرة يكسر ويترك للبائع^(٧).

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٧.

(٢) ابن عبدون، اداب الحسبة والمحتسب، ص ٤٢-٤٣.

(٣) السقطي، اداب الحسبة، ص ١٠.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١١.

(٥) ابن عبد الرؤوف، اداب الحسبة، ص ١١١.

(٦) السقطي، اداب الحسبة، ص ٣١.

(٧) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، ص ٧٤.

اما صاحب المخبز الذي يخلط القمح الرديء بالجيد فإنه مسؤول عن ذلك أولاً
فأن عاود مرة اخرى من جديد أدبَ واخرج من السوق^(١).

وأمر المحتسب باعة الخبز بتغطيته والابتعاد عن الاماكن القذرة مع مراعاة
نظافة ساحاتهم، كما منع المحتسب بائعي الحوت والجزارين من بيع الخبز وذلك حتى
لا يتعرض الخبز للتلوث^(٢).

ومنع المحتسب باعة اللحم الجمع بين نوعين من اللحم في دكان واحد لكي لا
يلتبس على الجاهل لذا يجب ان يباع كل نوع من اللحم في حانوت متخصص ويمنع
الجزار من خلط الانواع بعضها ببعض أو خلط السمين باللحم المهزول والضعيف^(٣)
كما يتأكد من ان الذبيحة طاهرة من العيوب^(٤).

ويمنع المحتسب الجزارين من المشي باللحم في السوق الا أن تقطع رؤوس
الظان، حتى لا تضر بثياب الناس وتلوثها بالدم عند الازدحام^(٥).

كذلك يتولى المحتسب مراقبة باعة الاطعمة المطهوه للتأكد من نظافة أواني
الطبخ وعدم خلط الاطعمة القديمة بالطازجة^(٦).

وأمر المحتسب بوجود مكان خاص لبائعي الحطب ولا يسمح لهم بالسير في
الاسواق لأنهم يلحقون الضرر بالناس ويمزقون ملابسهم بالحطب^(٧) وبائعي الجير
وغيرها من المهن التي تؤذي الناس عند دخولهم للأسواق^(٨). كذلك يمنع المحتسب

(١) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، ص ٧٤.

(٢) ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، ص ٧٤-٧٥.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة في، ص ٢٨.

(٤) السقطي، آداب الحسبة، ص ٣٢؛ ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة، ص ٤٤.

(٥) ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة، ص ٤٧.

(٦) السقطي، آداب الحسبة، ص ٣٥.

(٧) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٣٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٧.

الصباغين من نشر الملابس المصبوغة والمبللة على الطريق لما فيه من ضرر على الناس^(١).

ومنع المحتسب طرح القاذورات في الاسواق أو ايقاف الدواب بأحمال الخشب والحطب واجتيازها السوق بالشوك واتخاذ مرابطها على الطريق فتضيقه بحيث يتعذر مرور المارة وتلوث ثيابهم من ارواثها^(٢).

وقد شدد المحتسب على نظافة الاسواق فمنع الطحانيين من غربلة القمح داخل السوق وفي الاماكن الضيقة لما فيها من أذى للناس^(٣) وأمر القصابين بتنظيف حوانيتهم واسواقهم^(٤).

وأمر المحتسب اصحاب الدكاكين وتنظيف اسواقهم من الاوساخ والطين الذي يتكون نتيجة الامطار إذ يعمل على عرقلة الحركة داخل الاسواق^(٥).

كما اشرف المحتسب على سوق بيع الخضار والفاكهة حتى تتضح مثل التين والبلوط والقسطل^(٦) ولا يباع العنب لمن يريد ان يعمل منه خمرًا^(٧) وكذلك انواع الخضروات المختلفة^(٨).

وكذلك الاشراف على بائعي الزعفران والمسك^(٩) فالزعفران يجب ان يباع منثوراً والذي يقرص فهو مغشوش ورديء^(١٠).

(١) ابن عبد الرؤوف، اداب الحسبة، ص ١١١.

(٢) ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص ٣٨-٥٥؛ ابن عبد الرؤوف، ص ١٠٦.

(٣) ابن عبد الرؤوف، اداب الحسبة، ص ٨٨.

(٤) السقطي، اداب الحسبة، ص ٣٣-٣٤.

(٥) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٩) عبد الوهاب، وثائق الحسبة، ص ٥٧.

(١٠) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٦٠.

شمل أشرف المحتسب على صانعي الاكل من الهريسة وعمل الكحك وغيرها^(١) ونتيجة الزيادة في السعر أو الغش تكون العقوبة الضرب أو التجريس في الاسواق ثم النفي من البلاد^(٢).

وكانت من اشد العقوبة التي يعاقب المحتسب بها الصيارفة ومزيفي العملة انه ان ظهرت دراهم مزيفة في احد الاسواق بحث عن مصدرها ومن احدثها ومن ظفر بها عاقبه المحتسب اشد العقوبة فيطاف به بالأسواق ثم يسجن ويتم تعيين مشرف جديد على السوق من اهل الثقة^(٣) ومن هذا يتضح ان الدولة الاسلامية بالاندلس بذلت جهداً كبيراً في تضيق الرقابة والاشراف على الاسواق من خلال المحتسبين الذين تعينهم.

وامر المحتسب اصحاب الباعة بمسح موازينهم وتنظيفها من الاوساخ والادهان باستمرار تجنباً من ان يجمد فيها قطرة من الدهن فتظهر في الوزن^(٤).

وأمر المحتسب اصحاب الحوانيت بأن يعرضوا موازينهم في واجهة حوانيتهم ويجلس البائع داخل الحانوت ويكون كفة الوزن على يمينه والكفة التي توضع فيها السلعة على شماله^(٥) لكي يتجنب اساليب الغش المتنوعة لدى بعض اصحاب الحوانيت في اسواق الاندلس.

وكان من واجبات المحتسب تطبيق الاداب العامة داخل الاسواق ويفصل بين الرجال والنساء في مواقف البيع فجعل للنساء مكاناً خاصاً^(٦) كما كان يفض النزاعات ويحكم بين اهل الصنعة الواحدة والصناعات المختلفة ويمنع كل صور الاحتكار حتى

(١) السقطي، اداب الحسبة، ص ٥١-٥٢.

(٢) المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ٢١٩.

(٣) الونشريسي، المعيار، ج ٢، ص ٤٠٧-٤٦١.

(٤) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص ١٨.

(٥) السقطي، في اداب الحسبة، ص ١٨.

(٦) الونشريسي، المعيار، ج ٢، ص ٥٠٠.

لا يرفع التجار الاسعار ويؤثر ذلك على عامة الناس^(١) وكان يمنع من ان يخلو الحجام بامرأة في حانوته الا ان يكون في السوق في موضع ينظر اليه وترمقه الابصار^(٢).

ولا يخالط النساء في البيع والشراء الا ثقة خير^(٣) ومنع النساء من لبس النعال الذي يخرج صوتاً عند المشي ويلفت النظر اليهن لذلك منع الخراز من صناعته^(٤).

كذلك يشدد المحتسب على منع بيع المحرمات في الاسواق مثل الخمر والخنازير ويمنع ممارسة الاقمار في الاسواق^(٥) ويأمر الكمادين والصفارين ترك العمل في اوقات الصلاة^(٦).

من خلال القراءة المتأنية للنصوص التاريخية يتضح لنا ان المحتسب كان يمارس عمل يهدف الى تحقيق الاستقرار الاقتصادي من خلال الاهتمام بالاسواق ومراقبة اصحاب المهن المختلفة والاشراف على صناعتها مما ساعد على تحقيق الرفاهية للمجتمع والحفاظ على حقوق الجميع.

(١) ابن عمر، احكام السوق، ص ٤٠.

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٤٦.

(٣) المصدر نفسة، ص ٤٧.

(٤) ابن عمر، احكام السوق، ص ٦٣.

(٥) الجرسيفي، في اداب الحسبة، ص ١٢٢-١٢٤.

(٦) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٥٨.

المبحث الثالث: الحق في الرعاية الصحية

لقد احتوى القرآن الكريم على امور تتعلق بالانسان وحياته من خلال الآيات القرآنية الكريمة ونذكر الآية قال تعالى ﴿وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١) وهذه الآية اكدت على العلاقة الوثيقة بين الطب وصحة الانسان وغذائه.

كانت الاندلس تعتمد في الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الابریشم وكان قوم من النصارى يتطببون ولم تكن لهم دراية بصناعة الطب^(٢).

زاد الاهتمام بالطب وصناعة الادوية في بلاد الاندلس في عهد المرابطين لاسيما في عهد الامير يوسف بن تاشفين (٤٤٨-٥٤٠هـ/١٠٩١-١١٤٤م) فساهموا في تطويره واعتبروه مهنة مهمة فعملوا على وضع الشروط تحكمها وتحافظ عليها فأحدثوا منصب رئيس الصناعة الطبية لمراقبة اعمال الصيادلة والاطباء^(٣) ان قيام الحكام المرابطين بوضع هذا النظام من اجل الحفاظ على المجتمع الاندلسي من تصرفات بعض الدجالين ومن الشروط التي يلزم بها رئيس الصناعة في مراقبة الاطباء هي منع ممارسة الطب والجراحة للذين ليس لديهم خبرة أو كفاءة في ذلك وايضاً منع تدريس الطب بغير علم وتجربة في الاختصاص.

ومن الشروط التي يلزم بها رئيس الصناعة منع الطبيب من اخذ الدم من شخص دون أذنه وايضا اقتصار عملية تحضير الادوية على الاطباء والصيادلة الخبراء^(٤).

(١) سورة الاعراف، الآية ٣١.

(٢) ابن الابار، التكملة، ج٤، ص١٥١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٨.

(٤) نور الدين، الطب، ص٤٧.

لقد حظي علم الطب باهتمام كبير من قبل الحكام الموحيدين وفتحوا لهم الظروف الملائمة للاستمرار بممارسة نشاطهم المهني والعلمي^(١).

فقد كان الخليفة يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن بن علي (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) يعقد مجالسة بحضور العديد من الاطباء والصيدالة وعلى رأسهم ابو بكر بن طفيل وعبد الملك بن زهر (٥٩٦هـ/١١٩٩م) وابو الوليد بن رشد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م)^(٢).

وقد عمل الموحدون على استحداث منصب جديد عرف باسم "مزوار الاطباء" أو "مزوار الدار السلطانية" ويتم تعيين صاحبه عن طريق الخليفة نفسه ويتقاضى أجره من بيت المال^(٣).

وصل الطب في الاندلس الى مراحل متقدمة فقد عرف الاطباء التخصص وعلاج الامراض حسب كل عضو من الرأس الى القدمين ومن الاطباء الذين برزوا في التخصص الطبيب بن زهر الذي صنف كتاب التيسير في المداواة والتدبير الذي وقف فيه على الامور الجزئية ومزج العلاج والعلامات واعطاء الاسباب وأودع فيه خلاصات تجاربه الطبية التي أفاد بها الامير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين وغيره من كبار رجال الدولة اللمتونية^(٤).

ومن رواد الاطباء الذين عرفوا التخصص الطبيب ابو بكر بن طفيل (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) الذي يعد من امهر الاطباء في صناعة الطب والنظر في الجراحات^(٥).

(١) نور الدين، الطب، ص ٤٩.

(٢) ابن ابي اصبيعة، عيون، ص ٥٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣٢-٥٣٧.

(٤) ابن زهر، التيسير في المداواة، ص ٢٤٤.

(٥) ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٢٠٧.

انتشرت صناعة الادوية والعقاقير لوفرة الاعشاب والمواد الطبية في الاندلس وبلغت درجة عالية من الجودة في عهد المرابطين^(١) إذ كان العطارون والصيادلة يقومون بتجهيز الادوية بناء على تعليمات الاطباء الذين اتخذوا الدكاكين لهم في الشوارع والاسواق^(٢).

وقد استعملوا حجر الشاذله من جبل قرطبة في مداواة العين وخشونة الاجفان أما حجر اليهودي الذي يوجد في ناحية حصن اليوننت غربي بلنسية وهو علاج نافع لحصى الكلى^(٣) والقرمز الذي هو نوع من المن يجمع من الشجر ويدخل في تركيب الادوية^(٤).

وبرع الصيادلة في تحضير الادوية من المستخرجات المعدنية فالمرتك يضاف اليه بعض المعادن وهو من خبث الذهب والفضة بعد التخلص من النحاس وغيره ويستخدم في ملء القروح الفضة كما يذهب اللحم الزائد في القروح ودمها وايضاً يستخدم كمانع احتكاك الافخاذ وعرق الابطين ورائحتهما ويشفي القروح والبثور اذا خلط بالخل والزيت^(٥).

واستخدموا سحالة الذهب^(٦) في الادوية المهدئة وفي علاج داء الثعلبة وداء الحية فيطلى به المكان المصاب في الرأس ويدخل في صناعة كحل العين لتقويتها وينفع في اوجاع القلب ومن الخفقان^(٧).

(١) المقرئ، نفح الطيب، ج٦، ص١٤٦.

(٢) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص١٨٨.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص١٤١-١٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٨.

(٥) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص١٨٨.

(٦) سحالة الذهب: ما سقطت من الذهب والفضة ونحوهما إذا بردا ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٢٩.

(٧) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص١٨٩.

ولتبييض لون السمرات صنعوا سائلاً من الباقلاء الذي ينقع في ماء البطيخ ستة ايام ثم في لبن حليب سبعة ايام ويحرك اللبن كل يوم ثم يغمر به الوجه فيعود ابيض^(١).

وحاول السكان الاستفادة من البيئة وما ينمو فيها من الاعشاب والاشجار والنباتات مداواة امراضهم وعن طريق تجاربهم صارت هذه الخدمات الطبيعية مفعولها في علاج الكثير من الامراض التي تصيب الناس. ومن ذلك مياه أحد انهاره فاس إذ كانت تفتت الحصى الذي يتكون في المثانة كما انه يقضي على الحشرات في الرأس^(٢).

وكذلك العيون الساخنة كعين الخولان والحمامات الطبية ذات المياه الحارة والباردة التي ينصح بها الاطباء والتي كانت منتشرة في الاندلس كحمة ربه^(٣) وحمة بجانه^(٤) والتي كانت تقصدها الجموع من النساء والرجال للتطبيب في مياهها.

واستخدموا انواع من النباتات والاعشاب لعلاج بعض الامراض ومنها الزيتون الذي انتشرت زراعته في الاندلس وامتاز بجودة اضافة وذلك لملائمة الارض والمناخ لزراعته فضلاً عن خبرة اهل الاندلس في زراعته وللزيتون منافع طبية في علاج امراض العين والاكتهال به له فوائد كثيرة ويفيد في علاج لسعات العقارب^(٥).

وبجانب العلاج الطبيعي كانت هناك المستشفيات وأهمها تلك التي بناها المنصور الموحي وجهازها بكل انواع العلاج وحشد له مجموعة من الاطباء وذلك للسهر على راحة المرضى^(٦) وقد وصفها المراكشي^(٧) بقوله "وبنى المنصور الموحي بيمارستانا ما اظن انه في الدنيا مثله، وذلك انه تخير مساحة فسيحة بأحسن

(١) السقطي، رسالة في اداب الحسبة، ص ٥٠.

(٢) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤١١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ص ٣٢٠، ص ١٣١.

(٤) مدينة اندلسية بالقرب من مدينة المرية كثيرة الثمار وضخمة البساتين، الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠.

(٥) العامري، دراسات حضارية، ص ٢١٧.

(٦) ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٥٧.

(٧) المعجب، ص ٢٨٧.

موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على احسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار والمشمومات والمأكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه احدهما رخام ابيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من انواع الصدف والكتان والحريز والاديم وغيره ما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت.

وقد جعل المنصور العلاج فيها مجانياً لكل مواطن سواء كان فقيراً او غنياً^(١) وجهزه بكل ما يلزمه من وسائل العلاج واجرى الانفاق عليه من بيت المال^(٢) وذكر المراكشي تجهيزات المستشفى بقوله "واجرى له ثلاثين ديناراً كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارجاً جلب اليه من الادوية واقام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واهدى للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء"^(٣).

والتحق بهذه المستشفى للخدمة أبو اسحق ابراهيم الداني وأصله من بجاية كانت له عناية كبيرة في الطب وقد عينه المنصور أميناً للمستشفى وكذلك ولداه^(٤) وكان المنصور يقوم بزيارة اسبوعية للمستشفى ليطمئن على صحة المرضى وسير العمل بالمستشفى^(٥).

ولم يكن الاشراف على المرضى في المستشفى فقط بل تعداه حتى اثناء خروجهم من المستشفى وهو ما يعرف بنظام التأهيل في الوقت الحاضر فكان يصرف

(١) المعجب، ص ٢٨٨.

(٢) ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٥٧.

(٣) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٧.

(٤) ابن ابي اصبعة، عيون، ص ٥٣٤.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٨.

لكل مريض فقير مقدار من المال يعيش منه حتى يتعافى ويتمكن من العمل والكسب^(١).

والى جانب المؤسسات الصحية والعلاجية كان هناك الاطباء الذين يعالجون العامة إذ يقصدونه بمرضاهم ويدفعون أجر العلاج ومن هؤلاء الطبيب ابن افلاطون بمدينة فاس وقد نال مكانة طيبة وسمعة كبيرة ومن ثم اصبح امره مرتفعاً وكذلك الطبيب ابراهيم بن ابي الفضل بن صواب اقام بمدينة طنجة لعلاج المرضى ثم استقر بمدينة فاس وتوفي سنة (٥٠٦هـ/١١١٢م)^(٢).

وبجانب اطباء الشعب العامة كان البلاط المرابطي والموحدي يذخر بنخبة من الاطباء وفي مقدمة هؤلاء أسرة بني زهر التي خدم عدد من افرادها في البلاط المرابطي ثم الموحدي ومن أبرز الاطباء أبو العلاء زهر بن أبي مروان الذي وصف بأنه كان وزير ذلك العهد وفيلسوف ذلك العصر وحكيمة له علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب كان في زمن دولة المرابطين ونال المنزلة الرفيعة وله العديد من الكتب ككتاب الخواص وكتاب الادوية المفردة وأيضاً كتاب الايضاح بشواهد الافتضاح والعديد من الكتب أمر بجمعها علي بن يوسف بعد موت أبي العلاء فجمعت بمراكش وسائر بلاد العدو والاندلس توفي سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) بمدينة قرطبة^(٣) وقد لحق به ابنه عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الذي برع في علم الطب وذاع صيته في الاندلس وغيرها من البلاد واشتغل الاطباء بمصنفاته وقد خدم المرابطين ونال من الاموال شيئاً كثيراً وكان قد ألف كتاب الاقتصاد في اصلاح الاجساد للأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ولابي مروان العديد من الكتب والمؤلفات منها كتاب الاغذية وكتاب التيسير في المداواة والتدبير توفي بأشبيلية سنة

(١) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٧.

(٢) ابن البار، التكملة، ص ١٧٢.

(٣) ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص ٥١٧-٥١٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٥٥٧هـ/١١٦١م) ودفن بها^(١) ومن الاطباء الذين اشتهروا وذاع صيتهم في هذا العصر ابو بكر محمد بن مروان بن ابي العلاء ولد بأشبيلية وتميز بالعلوم واخذ الطب عن ابيه يوصف بأنه قد اكمل صناعة الطب والادب ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب وقد ذاع صيته واشتهر بالأندلس وغيرها من البلاد وخدم الدولتين المرابطية والموحدية وقتل مسموماً سنة (٥٦٩هـ/١١٩٩م) بمراكش^(٢).

وبجانب أسرة ابي زهر كانت هناك مجموعة من الاطباء المشهورين ومنهم أبو بكر الصائغ المعروف بابن باجة والذي انشغل بالطب واشتهر في دولة المرابطين^(٣).

وايضاً ابن طفيل طبيب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن المتوفي في سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)^(٤).

وكذلك الطبيب ابن رشد وهو ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد والذي نال حظوة ومكان كبيرة لدى الخليفة المنصور الموحي^(٥).

ولم تقتصر مهنة الطب على الرجال فقط بل مارست عدد من النساء مهنة الطب وبرعت به لاسيما مهنة التوليد ومن اشهر الطبيبات أخت ابي بكر بن زهر وابنتها فقد كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة بمداواة النساء وكانتا تدخلان على نساء المنصور الموحي يعقوب ولا يقبل المنصور لأهله ولادة الا اخت الحفيد ابو بكر أو ابنتها بعد وفاة والدتها^(٦)، يدل ذلك أن المرأة نالت حقها في ممارسة مهنة الطب والدولة حرصت على ان تضع الشخص المناسب في المكان المناسب ليتم حفظ الحقوق.

(١) ابن الابار، التكملة، ج ٣، ص ٥٨٠-٥٨١؛ ابن اصبعية، عيون الانباء، ص ٥١٩-٥٢١.

(٢) ابن ابي اصبعية، عيون الانباء، ص ٥٢١-٥٢٥.

(٣) القفطي، اخبار العلماء، ص ٢٦٥.

(٤) ابي زرع، الانيس المطرب، ج ٢، ص ١٧٦.

(٥) ابي اصبعية، عيون الانباء، ص ٥٢٨-٥٢٩.

(٦) ابن ابي اصبعية، عيون الانباء، ص ٥٢٤.

ومن الاطباء اليهود الذين أدوا دوراً كبيراً في الميدان الصحي واشتغالهم بالطب اذ قصدهم الرعايا باستمرار لمهارتهم الطبية ومنهم أبو الحسن يهوذا^(١) اشتغل بتأليف كتب العقيدة وفي الوقت نفسه استغل اوقات فراغه في معالجة المرضى وتقديم خدماته لهم وكانوا المرضى يتزاحمون عليه كل يوم جمعة^(٢).

وقد احتلوا مكانة مهمة في بلاط الامير علي بن يوسف كالطبيب سلمون وحسن بن كنوا^(٣).

وجد الاطباء والصيدالة في اهتمام الخلفاء والسلاطين بالشؤون الصحية للرعية وتقريبهم للكفاءات الطبية فرصة لتطوير خبراتهم بدليل ان الخليفة الموحي أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨هـ/٥٨٠هـ) (١١٦٢-١١٨٤م) عرف اثناء مساره التعليمي بشغفه بالفلسفة والعلوم الطبيعية فكان ميله الى الحكمة والفلسفة اكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ في ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئاً كثيراً^(٤).

ولذلك استخلص لنفسه ضمن رجالات الدولة كلا من الطبيب عبد الملك بن قاسم القرطبي (٥٧٥هـ/١١٧٩م) وهو من اهل تبريز واشتهر بصناعة الطب^(٥) والطبيب الفيلسوف ابي بكر بن طفيل (٥٨١هـ/١١٨٥م) وهو من اهل الحزق في صناعة الطب والنظر في الجراحات^(٦). فضلاً عن ابي الوليد ابن رشد الحفيد ومعاصره ابي بكر بن زهر الذي كان من اهل المعرفة والخبرة بالطب^(٧).

(١) ابو الحسن يهوذا: ابن صموئيل اللاوي الطليطي أحد كبار وشعراء وفلاسفة اليهود في اسبانيا ولد في طليطلة سنة ١٠٨٥ واستشهد عند أسوار القدس قرابة ١١٤٠م ينظر: التيطلي، رحلة بنيامين، ص ١٣٠.

(٢) بوتشيش، التاريخ الاجتماعي، ص ١١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٠.

(٤) السلاوي، الاستقصاء، ص ١٥٦-١٥٧.

(٥) ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٢٠٧.

(٦) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٢٠٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

اهتم الحكام الاندلسيون في عصر المرابطين والموحدين بالمعسكرات والربط وذلك من خلال تزويدهم بما يلزم من العلاج والادوية لمداواة الجرحى من الجيش فقد كان الطبيب ابو اسحاق بن ابراهيم هو الذي يرافق الجيش الموحيدي اثناء حروبه^(١).

وان ابنه عبد الله محمد قد نال حتفه في معركة العقاب (٦٠٩هـ/١٢١٢م) وهو يؤدي مهامه كطبيب لعلاج الجرحى من الجند^(٢).

يحرص حكام الاندلس المسلمون على صحة الرعاية وضمان حقوقهم الطبية والعلاجية برده كل من تسول له نفسه ان يعيث بحياتهم وتعريض سلامتهم للخطر لتحقيق مكاسب مالية، انتشر الاحتياي بينهم والغش وظهر العديد من مدعي الطب والصيدلة لا يستحقون ذلك فذكر السقطي "هؤلاء شغلهم اوسع الاشغال وامورهم مختلفة الاحوال والكشف عنهم صعب المرام وغش مفسديهم لا يكاد يحصر وذلك ان الغش عندهم اذا لم يزد على التلث لم يستطع احد اخراجه ولا الوقوف على الصحة فيه ويتساوى الناس في معرفة ظاهرة الاشياء بدخول اكثرهم فيها وليسوا من اهلها ولا من ذوي الخبرة بها وعدم الناظرون عليها والحارس نظرهم لها فصار المفسدون لا يلوون على أحد ولا يعفون في سبيلهم على حد فيغشون الحناء بقشور الرمان"^(٣).

تشرف الدولة على الاطباء والصيدالة من خلال موظف خاص يعرف باسم صاحب السوق في الاندلس مستعين بمساعد يسمى العريف الذي يتصف بحسن السلوك والخبرة في صناعة الادوية ومن العارفين بأسرار المهنة وذلك لأن الادوية كثيرة ومتعددة الانواع^(٤).

(١) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٤٠١.

(٢) ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص٤٨١-٤٨٢.

(٣) السقطي، اداي الحسبة، ص٤٥.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٢٣٤.

وحرص المحتسب على صحة وسلامة الرعاية فكان يأخذ عهداً على سائر الاطباء ويحلفهم ان لا يعطوا احداً دواء مضرأً ولا يركبوا له سماً ولا يذكر للنساء دواء يسقط الجنين ولا يعطى للرجل دواء يقطع النسل^(١).

وكان المحتسب يشدد على اصحاب مهنة الطب ان يحرصوا على سلامة المريض اثناء معالجته فقد نهى الحجامين ان يقلعوا سناً حتى يتحققوا انها المتضررة التي يجب قلعها وان كان المريض طفلاً فلا يتعرض لقلعه الا بأذن وليه أو ابيه^(٢).

ومن اجل الحفاظ على صحة الرعاية كان المحتسب يشرف ويراقب النظافة العامة في كل شيء ويلاحظ السقائين ويراقب اماكن السقاية ويمنع الدواب من الاقتراب منها^(٣).

ولما للزيتون من منافع طبية ودوائية فقد حرص المحتسب الاندلسي في الحفاظ على نظافته وحفظه في أواني فخارية لكي لا يصيبه التأكسد والتلوث^(٤) حفاظاً على الصحة العامة للناس.

ولدفع الصيادلة تجنب الغش كان المحتسب يمر عليهم كل اسبوع ويكشف عن عقاقيرهم ويقوم بتوبيخهم ويعضهم وينذرهم العقوبة والتحذير^(٥).

وكان المحتسب يقوم بمراقبة الصيدلية الشعبية درءاً للغش الذي قد يطل الادوية "يأخذ الصيادلة الذين نصبوا انفسهم بالاسواق وانصفوا بالجدار ان لا يخلطوا عقار نسخة بوجه من الوجوه الا بمحضر الامين عليهم فيأتون اليه وكل دواء متحول على انفراد حتى يقابل بالدكان وتعد عقاقيره بخلط الجميع بين يديه ويحلفهم على ان لا يكشروه بغيره ولا يعجنوه الا بالعسل الطيب يؤدون فيه الامانة والنصيحة وحينئذ

(١) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢٦٤.

(٢) ابن عبد الرؤوف، اداب الحسبة، ص ١١٤.

(٣) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ٣٢.

(٤) ابن عبد الرؤوف، اداب الحسبة، ص ١٠٥.

(٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢٣٥.

ينصرفون لعقد ويتفقد الاشربة عليهم ولا يقبلها منهم ساعة الطبخ لما يعترئها من فساد^(١).

ولم تقصر مراقبة المحتسب على الصيادلة فقط بل شملت مراقبة على الاطعمة والاشربة لما لها دور في حفظ سلامة وصحة الرعاية فقد حرص المحتسب بالاشراف على اصحاب المهن والحرف التي لها علاقة بالمجال الصحي ومن صور اهتمام المحتسب بصيانة حقوق الرعاية الصحية قيامه باعتماد الاسواق التخصصية لكي لا تؤثر مهنة او حرفة على الاخرى^(٢).

وكانت الادوية باهظة الثمن وان المجتمع لا يكون قادراً على شرائه بهذا الثمن وعلى الرغم من الاطباء غالباً ما يتكفلون مع المرضى إذ يداوون في بعض الاحيان بدون أجر^(٣) الا انه يبقى محصوراً في فئة يسمح له مستواه المعيشي بالحصول على تلك الادوية ولم تبق الاسر العاجزة عن التطب مكثوفة الايدي فقد توجهت الى الطب البديل الخاص بالعامّة إذ لجأ الى التداوي بكل ما هو طبيعي كالحمامات الطبيعية ذات المياه الباردة والساخنة التي ينصح بها الاطباء^(٤)، ويلاحظ ان بلاد الاندلس في عهد حكم المرابطين والموحدين شهدت تطوراً ملحوظاً مكن الدولة من الاتساع في توفير الخدمات وحق الرعاية في العلاج اذ ظهرت المستشفيات في بلاد الاندلس لأول مرة خلال مدة الدراسة ولما لهذه المؤسسة من دور في توفير افضل الخدمات الطبية للفرد الاندلسي ويستدل من ذلك أن دولة الاسلام في الاندلس كانت حريصة على الارتقاء بصحة الانسان وجعلها من أولياتها.

(١) السقطي، رسالة في اداب الحسبة، ص ٤٥-٤٦.

(٢) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢١٨.

(٣) ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص ١٠٤.

(٤) ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص ٨٩.

المبحث الرابع: الحق في الملكية العامة والخاصة

انطلاقاً من قول الرسول محمد (ص) "المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلاء والنار" فقد اعتبر الفقهاء الاراضي الزراعية المفتوحة الواسعة التي تغطيها الاشجار والاعشاب هي شراكة بين المسلمين وان استغلالها من طرف الفرد هي ليست يد مالك ولكنها يد اختصاص يثبت فيها حق الاختصاص ولا يثبت حق الملكية الخاصة وان الاستفادة منها عقوبة بدون مقابل^(١).

ان الاراضي الزراعية اذ كان الانتفاع بها لجماعة من الناس على ان يكون انتفاع الفرد قائماً على كونه فرداً من تلك الجماعة ولكنه لا يملك رقبتها فتكون حينئذ ملكيتها ملكية عامة كما أكد فقهاء الاندلس ان الحمى^(٢) للمصلحة العامة كما اقرته الشريعة الاسلامية ولا يحق لاحد من المسلمين انتفاع به منفرداً وان يكون للخيل المعدة ونعم الجزية والصدقة والضوال من الانعام التي يتوجب على الامام حفظها ورعايتها حتى يعرف صاحبها ومواشي فقراء المسلمين^(٣).

وهذا واضح في قول الرسول محمد (ص) "لا حمى الا بالله ولرسوله" كما اجازوا ان يكون الحمى بمساحة محدودة حتى لا يسبب للناس ضرراً واستشهدوا بما قاله عمر بن الخطاب "والذي نفسي بيده لولا المال الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبراً"^(٤).

والحمى وسيلة بيد الدولة بموجبه تمنح احياء بعض الاراضي الموات وذلك لما يسهم به الحمى في تحقيق التوازن بين الملكية العامة وبين الملكية الخاصة للارض وفي هذه المدة نجد ان ملوك الطوائف والبربر والمنشرين قد اخذوا عدداً كبيراً من

(١) محمد، التكافل الاجتماعي، ص ٢٣.

(٢) الحمى، هو المكان الذي يخصصه الامام للانتفاع به من قبل كافة المسلمين ينظر الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٤٧٨.

(٣) ابن حزم، المحلى بالاثار، ص ٢٣٦.

(٤) ابن عبد البر، التمهيد، ج ١٩، ص ٢.

الاراضي اذ لم يبقَ الا القليل واعتبروها ملكاً خاصاً بهم فتصرفوا بها فاختلفت اراضي الدولة بأملأهم الخاصة أما عن المرابطين فقد ضموا اراضي ملوك الطوائف الى دولتهم سواء كانت هذه الاراضي ممن رحلوا عن ديارهم كبني صمادح او من اعطوا أماناً في النفس والاهل دون المال كما ضمت اراضي من توفي دون وريث وبهذه الاجراءات اتسعت ملكية دولة المرابطين^(١)، ونرى أن سياسة الدولة لم تكن سياسة اصلاحية للأراضي بل سياسة تملكية للأراضي وهذا لم يعد الحقوق لأهلها.

وفي أواخر عهد الامير علي بن يوسف حاول زيادة اراضي الدولة بوسائل متعددة مع احترامهم للملكية الخاصة^(٢) وذلك بسبب فقدان الدولة لكثير من اراضيها لاتباعها سياسة التخميس فالاقطاع وبيع اراضي بيت المال في بعض الاحيان أفقدت الدولة كثيراً من الاراضي ففي عام (٥١٥هـ/١٢١م) كثرت مصادرة املاك الامراء المرابطين المغضوب عليهم وحاشيتهم أو العمال الخائنين^(٣).

وفي العام نفسه اراد الامير علي بن يوسف مراجعة الملكيات العامة التي ألت الى ملكيات خاصة منذ ايام بني عامر وبني عباد وغيرهم ومعرفة مصدرها وحرص على دعم الفقهاء له وافتى ابن رشد وابن الحاج وغيرهم بالتصرف في الملكيات الخاصة ولكن ابن احمدين خالفهم في ذلك ما تسبب في اثاره الفوضى في قرطبة، وفي عام (٥٢١هـ/١٢٧م) ضم الى ملكية الدولة احباس الكنائس وبيع المعاهدين الذين فروا الى بلاد العدو أو غربوا الى بلاد المغرب وكانت اراضي واسعة لها اهميتها^(٤).

أما ما يخص الملكية الخاصة فقد اعترف الاسلام بحق الملكية الفردية (الخاصة) مع تمديد نطاق هذا الكتاب بتكاليف امره ونهيه موجب ان يخضع لأوامر

(١) دندش، الاندلس نهاية المرابطين، ص ١٥٧.

(٢) الونشريسي، المعيار، ج ٣، ص ٣٩.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٧٦.

(٤) دندش، الاندلس نهاية المرابطين، ص ١٥٧.

الله ونواهيهِ في نصيبهِ من مال الله^(١). لقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٦١) (٢).

تتفاوت الملكية الخاصة من إذ المساحة بين فدان واحداً او دون ذلك وبين فدانين عديدة إذ في بعض الاحيان بل وجد في الاندلس من كان يمتلك ضياعاً وقرى بأكملها وربما يكون هذا التفاوت نتيجة تفاوت الناس في المراتب والطبقات^(٣).

لم تقتصر الملكيات الخاصة الكبيرة على الرجال فكانت هناك نساء امتلكن اراضي كبيرة عن طريق الميراث أو الشراء أو الصداق^(٤).

ان وسائل تملك الاراضي ملكية خاصة يكون اما عن طريق الاقطاع او الهبة من الدولة أو عن طريق الشراء أو الارث ويختلف وضع الملكية الخاصة في الاستقرار والامن عنه في زمن الفتنة والاضطراب وشاعت ظاهرة الغش والاستيلاء على اراضي الغير فقد نقلت نوازل العصر حجم الملكيات الخاصة فذكرت نازلة ان رجلين متجاورين في فدانين تعدى احدهما وحرث بعض فدان صاحبه بغير اذنه^(٥).

ونازلة اخرى ان رجلاً له املاك داخل سور مالقة وخارجها وهي عبارة عن دور واريضي بيضاء ومشجرة بأشجار التين وسائر الثمار وعامرة وغامرة وتمتد املاكه الى كورة ايه من اعمال مالقة^(٦).

(١) الونشريسي، المعيار، ج ١٠، ص ٨٠.

(٢) سورة الانعام، الآية ١٤١.

(٣) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ١٦٠-١٦٢.

(٤) الونشريسي، المعيار، ج ٥، ص ٧-٨.

(٥) البرزلي، جامع مسائل الاحكام، ص ٢٦.

(٦) عياض وولدة محمد، مذاهب الاحكام، ص ١٣٤.

وفي زمن الفتنة التي اعقبت سقوط المرابطين وما تبع ذلك من اضطراب الامن اكثر من الاستقلال والتعدي ويتبين ذلك من خلال موضوع الغصب والبيع المضغوط ومسائل الرهن وبيع الغصب وتغلب زعماء الفتنة على الناس وصاروا من اكبر الملاك^(١).

ان البعض احتفظ بأرضه عن طريق الانزال فينزل شخصاً مكانه في ملكه فيعتمر الارض على كراء ويكون الانزال على فائدة المال دون رقبتة وان المنزلين كانوا من اصحاب النفوذ اذ كثيراً ما يمتنعون عن دفع الكراء^(٢).

وشكلت اراضي الاحباس مساحات كبيرة وانتشرت بشكل كبير في الاندلس واصل هذه الاراضي من الملكيات الخاصة وحدها تحبس لأعمال الخير خصوصاً تأسيس المساجد واصلاحها فكان الاقطاع عند المرابطين في الاندلس إذ ساروا في بدء الامر على النهج العامري وعندما استقر حالهم عادوا الى النظام الاقطاعي الذي كان سائداً من قبله فأقصوا الجند وارزاقها والظاهر انه كان اقطاع تملك وهذا ما شجع كثيراً من الناس على احياء الارض الموات حتى يمتلكونها اقطاعاً^(٣). وان المستفيد الاساسي من الاقطاع هم الجند المرابطين والفقهاء وان الاقطاعات كانت تقسم على انواع منها ما كان يمنح الى القادة والجنود وكان هذا اقطاعاً عسكرياً ومنها ما كان يمنح الى المدنيين عامة الناس كالعلماء والفقهاء والادباء والمشاهير كمكافئة لهم على تميزهم وارتفاع شأنهم كما كان الخليفة يمنح اراضي وضياع عديدة الى افراد الاسرة الحاكمة وهذا كله عمل على زيادة موارد بيت المال وزيادة نصيب خزينة الدولة من اراضي الاقطاع التي كان عشر انتاجها من الغلات^(٤).

(١) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ١٦٢.

(٢) الونشريسي، المعيار، ج ٦، ص ٥٧.

(٣) ابن عذاري، البيان، ص ٧٧.

(٤) مؤنس، فجر الاندلس، ص ٦٢٧-٦٢٨.

وعرفت ملكية الدولة في عهد المرابطين اتساعاً فقد قام المرابطون بضم اراضي ملوك الطوائف فتذكر النازلة ان ارضاً كانت لبني عباد جعلها امير المسلمين يوسف بن تاشفين ارض وظيفة^(١) وألت ملكية اراضي الدولة بعد ذلك الى الموحيدين بالإضافة الى الاراضي التي استولوا عليها من امراء المرابطين وجندهم وحلفائهم واعتبروا ما فتحوه ارضاً خراجية عنوية أو ملكاً للدولة وزادت ملكية الدولة بمصادرة املاك الثائرين عليهم تأديباً وعقاب لهم واستصفاء اموال العمال المغضوب عليهم ووراثة من لا وريث له^(٢).

زادت اراضي الدولة في عهد الموحيدين عما كانت عليه في ايام المرابطين اذ ان العوامل التي كانت سبباً في تقلص اراضي الدولة في عهد المرابطين من هبة واقطاع لم تحدث للموحيدين اذ كانوا كثيراً ما يصادرون الاقطاع^(٣).

وفي عهد المرابطين كان يشرف على اراضي الدولة في المدن الكبرى ديوان يعرف بديوان المستخلص وتخضع هذه الدواوين لصاحب المستخلص في غرناطة^(٤).

وعرف هذا الديوان عند الموحيدين باسم المستخلص والمختص وديوان الضياع^(٥) ويشرف ان بعضهم كان مطلق اليد في عهد ابي عبد الرحمان بن مالك وابي عليه هدية فقد اضيفت لهم الاحباس والتعريب واصلاح احوال بعض المدن وبنائها^(٦).

تمثلت اراضي الاحباس في الملكيات الخاصة التي كان اهل الاندلس يعيشونها لاوجه الخير المتعددة فكانت توجه غلات هذه الاراضي الى الضعفاء والفقراء

(١) البرزلي، جامع مسائل، ج ٥، ص ٣٧٠.

(٢) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ١٥٧.

(٣) البرزلي، جامع مسائل، ج ٥، ص ٣٧٠.

(٤) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ١٥٧.

(٥) ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٢٢٥.

(٦) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ٤٣٧.

واليتامى والمساكين والمرضى او تأسيس مساجد وصيانتها لطلبة العلم وفك الاسرى وعشق الرقاب وكذلك للشعراء^(١).

احتلت الاحباس موقعاً مهماً بين الملكيات الزراعية في الاندلس لما لها من أسهام كبير وفعال في الحياة الاقتصادية إذ انتشرت اراضي الاحباس في الحواضر والارياف تعد الاحباس تعتبر صدقة جارية يتقرب بها الانسان الى الله تعالى^(٢).

اهتم الامراء المرابطون بالاحباس واحترامهم للقواعد الفقهية لها والتزامهم بعدم المساس بالاحباس فلا يجوز تحويل الاحباس عن مصروف الذي عينه محبسه^(٣).

تضطهد حقوق الرعية في الملكية الخاصة في أوفي اواخر عهد المرابطين إذ كان بعض الوكلاء على الاحباس يأخذون من دخلها دون أي حق وتحايل البعض لامتلاك اراضي الاحباس مدة طويلة تصل الى الخمسين عاماً وان الموحيدين ضموا اموالاً واراضي الاحباس للدولة ولم تعد مستقلة كما كانت عليه في عهد المرابطين وفرضوا عليها الضرائب وانتشرت اراضي الاحباس في الاندلس بمساحات كبيرة التي ترجع اصولها الى الملكيات الخاصة^(٤). وان من واجب صاحب الاحباس ان يهتم بها ويتفقدتها فكثير من الاحباس ضاعت بسبب الاهمال لذلك يجب عليه الكد والجهد والاجتهاد^(٥).

(١) الونشريسي، المعيار، ج٨، ص١٦٠.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢١٥.

(٣) الونشريسي، المعيار، ج٧، ص١٦٠-١٦١.

(٤) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص١٦٣-١٦٤.

(٥) الونشريسي، المعيار، ج٧، ص٣٠١.

المبحث الخامس: الحق في العدل الضريبي

نظمت الشريعة الإسلامية النظام المالي ووضعت من التشريعات ما يصون التوازن الانساني ويحقق العدالة الاجتماعية والاحوال الاقتصادية وفق تعاليم الدين الاسلامي منعاً للاحتكار والنهي عن الربا وتنظيم العقود وتحريم الغش وحسب تعاليم الدين الاسلامي لابد من حسن المعاملة والصدق والامانة والنهي عن اكتناز الاموال وواجب الزكاة والبذل ودعا الى التكافل مما جعل دولة وحكام المسلمين في الاندلس يقومون بجمع الضرائب وفق الضوابط الشرعية وازالة ما يختلف مع الشرع في الضرائب المفروضة على الناس وهذه الضرائب هي ضريبة الاراضي والخراج والضريبة المقررة على اهل الذمة. وهناك نوعان من الضرائب الشرعية وغير الشرعية والضرائب الشرعية هي ضريبة الاراض والخراج والضريبة المقررة على اهل الذمة ومنذ بداية عهد دولة المرابطين التزم الحكام بالشرع في جباية وفرض الضرائب أي كتاب الله وسنة رسوله وما ورد فيه من احكام بشأن الاموال ولذا حين افتح سجلماسة ألغى كل الرسوم والضرائب التي لم يرد بها نص من كتاب او سنة يقول ابن زرع "وازالة المكوس واسقط المغارم وترك ما اوجب الكتاب والسنة تركه وقدم عليها عاملاً وانصرف الى الصحراء^(١). ومن هنا حرص عبدالله بن تاشفين على القضاء على تلك الضرائب الجائرة التي كان يفرضها امراء زناتة وعندما تولى امير المسلمين يوسف بن تاشفين مقاليد الامور وحرص على اتباع اوامر عبدالله بن ياسين وكانت مصادره المالية هي الزكاة والاعشار وجزية اهل الذمة واخماس غنائم المشركين^(٢).

وقد سار يوسف بن تاشفين على الشرع حتى قال فيه صاحب الانيس المطرب "ولم يوجد في بلد من بلاده ولا عمل من اعماله على طول ايامه رسم مكس ولا

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج٣، ص٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠.

معونة ولا خراج في حاضره ولا بادية الا ما امر الله تعالى به وواجهه حكم الكتاب والسنة وجبا في ذلك من المال على وجهه مالم يجبه احد قبله فيقال انهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر الف وربع من الورق وخمسة الاف واربعين ربعا من دنانير الذهب المطبوعة^(١).

ومن خلال هذا النص نستطيع ان نحدد معالم السياسة المالية ليوسف بن تاشفين إذ ان طبق الشرع في فرض الضرائب ولم يفرض أي ضريبة اخرى على المجتمع نظراً لان بيت مال المسلمين كان في وفرة الى اخر عهده^(٢).

الا ان هذه المصادر المالية لم تف بحاجة الاعمال العسكرية التي قام بها يوسف بن تاشفين واحتياجه المستمر للحملات العسكرية لتدافع عنه ضد اطماع الفرنج ومن هنا فرض بعض الضرائب غير الشرعية على اهل المغرب والاندلس^(٣).

ولما تولى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين استمر في عمليات الجهاد بالاندلس وظهرت في عهده ثورة ابن تومرت والنشاط المسلح الذي قامت به الدولة فضلا عن اعمال البناء والتعمير التي قام بها استلزم كثيراً من الاموال وهنا ظهرت بعض انواع القبالات والضرائب على السلع لم تكن موجودة من قبل تلك الضرائب والمكوس التي هاجمها فيما بعد الخليفة عبد المؤمن بعد سقوط دولة المرابطين في احدى رسائله سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) مشيراً الى الظلم الذي كان موجود في دولة المرابطين بقوله "ولقد ذكرنا لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجر المراسي وغيرها ما رأينا انه اعظم الكبائر جرماً وافكاً"^(٤).

استفتى علي بن يوسف في كتاب وجهه الى الفقيه القاضي ابي القاسم احمد بن محمد ابن ورد (ت ٥٤٠هـ/١١٤٦م) وغيره من فقهاء الاندلس حول جواز التطاول

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) الامين، الربط بالمغرب، ص ١٣٧.

(٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٤٢٠.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٦.

ومصادرة الاملاك المحبسة للنصارى فكان الجواب سنة (٥٢١هـ/١١٢٦م) واضحاً لا لبس فيه اذ يقر انه لا حرمة لا أحباس اهل الذمة^(١) وقد فرض يوسف بن تاشفين ضريبة على اليهود ففي عام (٤٦٤هـ/١٠٧١م) فرض يوسف بن تاشفين ضريبة على اليهود وفيها قال صاحب الحل "وافترض على اليهود في تلك السنة فريضة ثقيلة اجتمع له منها جملة مال استعان به على من كان بسبيله"^(٢) وقد ضبطها ابن عذاري بحوالي "مائة الف دينار عشرية وينف على ثلاثة عشر الف دينار"^(٣) ويعد هذا المبلغ باهظاً جداً وهكذا مست الازمة جميع اهل الذمة ولم يميز الامير المرابطي علي بين ذمي ومسلم بل شملت الضرائب كل الرعية وقد افتى القاضي ابن الفراء لاهل قرطبة ان يتنازلوا للامير عن جلود اضحية العيد لترميم اسوار مدينتهم المهددة بخطر الصليبيين^(٤) وفرض ضريبة على اهل فاس عام (٥٣٠هـ/١١٣٠م) لتسوير مدينتهم وزيادة البناء في مسجدهم^(٥) وفرض يوسف بن تاشفين ضريبة اخرى على اهل الاندلس سموها "العتيب" لبناء اسوار جديدة لمدينتهم وترميم القديم منها^(٦) وكذلك فرض قبالات^(٧) على الصناعات والاسواق وقال عنها الادريسي "وكانت اكثر الصنع متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفرة والمغازل وكانت القبالة على أي شيء يباع وهذه القبالات المفروضة على الصناعة كان لها اثر سلبي على المجتمع وقد بلغت الازمة اشدها حتى اصبح الامير علي بن يوسف يفرض على

(١) الونشريسي، المعيار، ج٨، ص٥٦.

(٢) مجهول، الحل الموشية، ص٢٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٢٣.

(٤) الامين، الحياة الفكرية بالاندلس في عصر المرابطين، ص٣٠٥.

(٥) القطان، نظم الجمان، ص٢٥٠.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٧٣-٧٤.

(٧) القبالات: مفردها قبالة وهي ضريبة فرضت على الاسواق والصناعات قد كان دقيقة ومحكمة وكان عبئاً ثقيلاً على التجار ينظر، الجنحاني، السياسة المالية المرابطية، ص٩٩.

رعاياه تجهيز ابنائهم برزمهم وسلاحهم ونفقاتهم ليشتركوا في الجيوش المرابطية ضد اعدائهم^(١).

اما في العصر الموحيدي فقد التزم ابن تومرت في النواحي المالية احكام الكتاب والسنة وكانت مصادره من الزكاة وخمس الغنائم ولما تولى الخليفة عبد المؤمن التزم بسياسة ابن تومرت في الاكتفاء بالمصادر التي حددها الشرع وفي سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) لجأ الى فرض الخراج على ارض المغرب وبقيّة المناطق التابعة للدولة وهذا الخراج مصدر جديد من المال لم يكن مفروضاً في دولة المرابطين. والاجراء الذي اتخذه الخليفة عبد المؤمن بأنه اجري مسحاً شاملاً لاراضي المغرب وفرض عليها الخراج^(٢).

واصبح هذا الاجراء قاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعد، ويعد مصدراً من المصادر الثابتة لجباية الاموال فابن خلكان يصف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بقوله "وكان أي يوسف بن عبد المؤمن جماعاً مناعاً، ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته"^(٣).

كذلك اتبع المنصور الموحيدي سياسة ابيه "وسلك في جباية الاموال ما كان ابوه يأخذه ولم يتعده الى غيره"^(٤).

وصارت مصادره المالية الخراج والزكاة والاعشار^(٥) إذ حدد الخليفة عبد المؤمن موقفه وموقف الموحدين كافة من هذه الضرائب فاحتفظ بالشرعي منها فقط وازال غيرها من الضرائب.

(١) القطان، نظم الجمان، ص ١٥٢.

(٢) السلاوي، الاستقصاء، ج ٢٠، ص ١٣٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٦، ص ١٣٠.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٦٥.

(٥) ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٦٧.

تعددت انحرافات بعض الجباه والعمال فمنهم من عمل على فرض بعض المكوس والمغارم على الرعية كالمسافرين والتجار بل منهم من تهادوا وسمحوا لأنفسهم تمتد ايديهم الى المخازن هناك فيعبثون فيها ويتحكمون ويجرؤون في التعدي مل تأوهم وانفسهم يظلمون^(١).

وامام هذه التصرفات القبيحة جاء تهديد ووعيد واغلاق شديد من قبل الخليفة لكل جابي وعامل ثبت تورطه في شيء من هذا وحذر كذلك الطلبة والاشياخ كافة الموحيدين في دولته بمراقبة ومحاسبة ومعاقبة كل من زاع عن الحق وظلم^(٢).

واستمر خلفاء عبد المؤمن في معاقبة كل من ثبت تورطه في فساد مالي ففي سنة ٥٧٣هـ عاقب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ابن فاخر مشرف سجلماصة وسجنه^(٣) وعاقب الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) مشرف تلمسان يقول ابن عذاري "وفيها أي سنة ٥٧٩هـ كانت السطوة بأبي زكريا بن حيون شيخ كوميه وبابنه الذي كان مشرف تلمسان وغيره وكان كل يوم يخرج كسولاً للحساب على عمله ثم اخرج ابنه ابن حيون المذكور منفياً الى الحضرة الى بطليوس وبقي على ابنه في السجن الى خروج امير المؤمنين في غزوته الى شترين"^(٤).

وعاقب المنصور الموحيدي في سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) مشرف مرسية وطلب منه احضار المجابي وازمتها المجتمع فيها بحملتها وضرب بالسوط حتى مات^(٥).

وفي نفس العام حاسب الخليفة كثيراً من العمال ومنهم المشتغلون بالشؤون المالية كعبد الرحمن بن يحيى مشرف فاس واعوانه خازن الماء وخازن الطعام وكذلك عاقب ابن عاصم مشرف مكناسة وابن عمر مشرف برباط تازا^(٦).

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٤-١٩٥.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٢٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

كان المشتغلون بمالية الدولة دائماً تحت المراقبة الشديدة فالمرابطون كانوا يراقبونهم مراقبة شديدة ويحاسبونهم حساباً عسيراً فاذا اعتزل العامل الخدمة حاسبوه واذا وجدوا تقصيراً سجنوه وصادروا امواله^(١).

وعلى الرغم من ماذكر من اجتهاد حكام المسلمين بالاندلس في الحفاظ على الحق في العدل الضريبي الا انه كانت هناك العديد من التجاوزات التي لا تتطبق مع اسس النظام الضريبي العادل .

(١) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤١١.

الفصل الثالث

الحقوق الثقافية

المبحث الاول: حقوق فكرية

المبحث الثاني: حقوق دينية

المبحث الاول: الحقوق فكرية

يعد التعليم اساس تطور وازدهار المجتمع وتقدمه على مر العصور بوصفه أحد مظاهر التقدم الحضاري في جوانب الحياة المختلفة ولاسيما الفكرية أذ دعا الاسلام منذ بدايته الى العلم والتعليم مؤكداً على أهمية العلم وفضله وضرورة تحصيله بشتى اضافة وانواعه.

أذ اسهمت المراكز التعليمية التي ظهرت في بلاد الاندلس الكتاتيب والمساجد والمدارس برفع المستوى التعليمي والمعرفي للطلاب.

اهتم الحكام العرب المسلمون في الاندلس بالحياة العلمية وحق التعليم وتشجيعه فالدولتان المرابطية والموحدية قامتا على مبدأ ديني فقد نشأ يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وعبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين في مهد دعوتين دينيتين وتتلماذا على يدي عالمين ابن ياسين وابن تومرت ومن جاء من بعدهم من ولاة الامر نهلوا من العلوم الدينية^(١) فكان من الطبيعي ان يشجعوا العلم والعلماء يجذبوا اليهم رجال العلم والادب والدين.

وكانت عناية العرب بنشر التعليم تفوق كل عناية فكانوا إذا فتحوا بلداً او مدينة يبدؤون بإنشاء مسجد ومدرسة وكان قصدهم من ذلك نشر الدين والعلم معاً لتهديب الامم وتربية النفوس بالدين كتربية العقول بالعلوم والمعارف^(٢).

حرص اهل الاندلس على تعليم ابنائهم استغلوا كل الظروف والطرق لتأديب وتعليم ابنائهم إذ ان الكثير من الاباء كان معلماً مباشراً لابنه فلقنه العلوم كحفظ القرآن

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٠٥.

(٢) ضيف، بلاغة العرب، ص٢٢.

الكريم ورواية الحديث وعلوم الفقه^(١). واشرف على مراقبته وتوجيه ابنائهم على علم دون أخذ واجباره على ذلك^(٢).

وكانت بعض الأسر تستأجر لابنائها مؤدباً أو معلماً يتولى تعليمهم وتلقينهم العلوم حسبما اتفق الطرفان في العقد وهذا ما أشارت اليه مصادر الوثائق والعقود^(٣). ويأخذ مقابل ذلك أجراً^(٤) واشترطوا في المعلم أو المؤدب ان يكون متزوجاً وشيخاً تقياً ورعاً لا يحضر الولائم والجنائز لكي لا يتغيب على تعليم الابناء وان لا يكثرون من الصبيان^(٥).

وقد بدأ الامراء المرابطون بتطبيق سياستهم الداعمة للعلم والثقافة والادب واللغة على انفسهم واهلهم ليكونوا قدوة في هذا الجانب لشعبهم ومثالاً يحتذى به ابناء رعيتهم فقاموا باستدعاء العلماء والمؤدبين الى قصورهم لتعليم اولادهم مبادئ العلوم الدينية والادبية واللغوية فالامير يوسف بن تاشفين كان حريصاً على تنشئة ابنائه في جو علمي متميز وهذا ما دلت عليه احدى رسائله الموجهة الى ولده الذي كان يتولى تأديبه وتعليمه العالم الكبير ابن زهر وفيها اوصاه بالاستماع الى كل ما يلقيه عليه والالتزام بتعليماته ونبهه على ترك الشغب الذي يصدر منه وهدد بنفيه الى جزيرة ميورقة أن لم ينفذ ما أمر به^(٦).

(١) ابن الابار، التكملة، ج ٢، ص ٥٤٤؛ المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٢٨.

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٣٩٩.

(٣) عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص ٥٠٤.

(٤) السقطي، اداب الحسبة، ص ٧٢.

(٥) ابن عبدون، اداب الحسبة، ص ٢١٤-٢١٥.

(٦) الهرفي، دولة المرابطين، ص ٢٠٩.

وايضاً كان الامير ابراهيم بن يوسف يرسل في طلب الفقيه ابي علي الصدي^(١) لينتفع بعلمه وحين تولى الامير تاشفين بن علي الحكم ارسل ولده ابراهيم الى معاهد مدينة قرطبة لاتمام دراسته فيها^(٢).

ولم يقتصر اهتمام المرابطين على الطبقة الحاكمة فحسب وانما طال ابناء الرعاية فقد حرصت الاسر الاندلسية على تعليم اطفالها في سن مبكرة واهتمت بمتابعة تحصيلهم العلمي وتبتهت على ضرورة اختيار المؤدبين الذي يعلمون اولادهم في المنازل من نخبة المعلمين واهتمت بأخلاقهم وعلمهم واسلوبهم في التدريس^(٣).

كان الاندلسيون يراقبون تعليم اولادهم ويختبرون حفظهم ولا يقبلون عذر المعلم أو المؤدب ان أهمل أو قصر ويحرصون على اكرام المؤدبين والمعلمين بالاموال والهدايا وبالمقابل حرص العلماء والمدرسون على نشر علومهم وافادة طلابهم ولمكانة العلم والتعلم في بلاد الاندلس واحترام الدولة التعلم إذ نلاحظ العديد من المعلمين أخذوا على عاتقهم التعليم بالمجان فهذا ابو عمر احمد بن سعيد الانصاري كان يستقبل طلابه في داره وعددهم يزيد على الاربعين فيحتفي بهم ويقدم لهم الموائد الحافلة باللحوم والزبد يومياً بعد انتهاء الدرس^(٤).

وكذلك ابو بكر بن هاف كبير المقرئين في اشبيلية خصص يوماً أو يومين في الاسبوع لاقراء النحو والادب الى جانب القرآن الكريم^(٥).

(١) ابي علي الصدي: ابو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكره الصدي قاض ومحدث كثير الرواية من أهل سرقسطة أستشهد ابو علي في ملحمة قتندة في ربيع الاول سنة ٥١٤ هـ وهو من ابناء الستين خلف كتباً نفيسة وأصولاً متقنة تدل على حفظه وبراعته ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) الهرفي، دولة المرابطين، ص ٢٦١.

(٣) عيسى، تاريخ التعليم في الاندلس، ص ٤١٩.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ص ٧٢.

(٥) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٣٧٦.

والشيخ ابو بكر بن علي بن خلف جعل دكانه منتدى ثقافياً وأدبياً لطلبة العلم في اشبيلية^(١). ظل يعلم طلابه في بلنسية^(٢) بوجه طلق وصدر رحب على الرغم من تقدمه في السن^(٣).

وكان المعلمون من أحسن المعاملة مع طلابه^(٤) باراً بهم ومكرماً لهم يستدلهم كل النصائح وينمي فيهم الروح العلمية ويشجعهم على طلب العلم^(٥) بل كان منهم من يطعمهم ويتحمل مؤونتهم^(٦) ولهذه الصفات والاخلاق العالية جعل بعض الطلاب كابن الابار يفخر بمعلمة ابن ابي زهر^(٧) ويثنى عليه ذاكراً فضائله^(٨).

ان أهل الاندلس لم يبلغوا ما بلغوه الا بما ساروا عليه من مناهج وطرق تعليمية أوصلت الاندلسيين الى مدارج رفيعة في حقول المعرفة المختلفة فقد عني الاندلسيون بتعليم انفسهم وابنائهم وحرصوا أشد الحرص على مكافحة الجهل والتخلف وقد وصفهم المقرئ بقوله "أنهم احرص الناس على التميز فالجاهل الذي لم يوفقه الله للتعلم يجهد ان يتميز بصنعه"^(٩).

ولم يغفل الحكام ابناء الطبقات الفقيرة الذين نالوا اهتماماً وعناية من قبل بعضهم فيسروا لهم طلب العلم وتحصيل المعارف فعمل على تدريس ابناء الفقراء معلمون ومؤدبون واغدقوا عليهم رواتب باهظة لدفعهم الى الجد والاخلاص في التعليم

(١) المرجع نفسه، ص ٣٧٦.

(٢) بلنسية: مدينة مشهورة بالاندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة وهي بربة بحرية ذات اشجار وانهار ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩.

(٣) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٢٧٥.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، س ٦، ص ٢٠٤.

(٥) القاضي عياض، الغنية، ص ١٩٨.

(٦) ابن عسکر، اعلام مالقه، ص ١٥٢.

(٧) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن ابي زهر كان مؤدباً للقران توفي في طريق الحج، ابن الابار، التكملة، ج ٢، ص ١٣٥.

(٨) ابن الابار، التكملة، ج ٢، ص ٦٣٥.

(٩) عيسى، تاريخ التعليم، ص ٤٧٥.

وايضاً اهتم الملوك بتعليم ابنائهم وتنشئتهم واستقدموا لتعليمهم كبار العلماء والمؤدبين^(١). فلم يقتصد اهل الاندلس في تعليم ابنائهم القرآن بل كانوا يعلمونهم الشعر والخط واللغة وقد بين ذلك ابن خلدون^(٢) ما اتبعه اهل الاندلس في تعليم اولادهم ذاكراً "اما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من إذ هو وهذا الذي يراعونه في التعليم الا انه لما كان القرآن الكريم أصل ذلك وأسس منبغ الدين والعلوم جعلوه اصلاً في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم فيه بالخط اكثر من جمعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى المشيئة وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على العجلة".

وأخذت الدولة على عاتقها مراقبة عملية التعليم بموظف يعرف بالمحتسب إذ يحدد ابن عبدون^(٣) يحدد مهمة تأديب وتعليم الطفل "بأن يعلمه حسن الالفاظ في القراءة والخط الحسن والهجاء ويأمر من كان كبيراً بالصلاة...".

وقد شجع الحكام الاندلسيون العلماء والفقهاء فقد كان الامير يوسف بن تاشفين محباً للعلماء والفقهاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم^(٤) وكان العلماء يتسابقون اليه ليحضوا بمنزلة التكريم التي يسبغها عليهم^(٥). وكان الامير علي بن يوسف مهتماً بالعلماء والفقهاء وعارفاً بأقذارهم ومكرماً لهم حتى صارت احكام البلاد راجعة اليهم وصادر عنهم^(٦).

(١) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٤٠-٢٤٩.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ٥٣٨.

(٣) اداب الحسب والمحتسب، ص٢١٥.

(٤) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج٢، ص٣٨.

(٥) المراكشي، المعجب، ص١٦٣.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧١.

تجلى اهتمام الامراء المرابطين بالمعلمين الذين كانوا يدرسون ويصنفون الكتب القيمة بتعيينهم في المناصب الرسمية العليا كالوزارة والقضاء ورئاسة الكتاب ومن المعلمين الذين قربهم الحكام المرابطون ابو مروان بن عبد الملك بن سراج الذي وصفه الحجازي بأنه اصمعي الاندلس فقد كان بارعاً في الأدب ومقدراً في مجالسة أفاد طلاب العلم بمعارفه فأكرمه المرابطون وولي الوزارة^(١).

عرف المرابطون بتشجيعهم جوانب معينة من الدراسات ولقد شهد عصرهم اهتماماً نوعياً بالعلوم إذ ازدهر بعضها وازمحل البعض الآخر فقد اهتموا اهتماماً كبيراً بالمذهب المالكي لكنهم اضطهدوا علم الكلام واثروا فقهاء المذهب المالكي الى درجة كبيرة وخاصة الامير يوسف بن تاشفين الذي اشد ايثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أحداً في جميع انحاء مملكته دون مشاورة الفقهاء...^(٢)، ولربما الدافع من وراء دعم وتأييد المذهب المالكي على سائر المذاهب الاسلامية الاخرى هو لمنع تعدد المذاهب والذي من شأنه أن يحدث انقسامات بين افراد المجتمع الاسلامي والذي يؤدي الى عدم الاستقرار وذلك ليس في صالح الدولة الاسلامية التي عاشت في صراع مع الممالك النصرانية، كذلك كان المذهب المالكي هو السائد في البلاد ولعل ما ذكر من الاسباب هي التي ساعدت على نشأة هذا المذهب منذ البداية في بلاد الاندلس.

تنوعت اماكن الدراسة تنوعاً كبيراً بحيث أصبح أي مكان يمكن ان يجلس فيه المعلم او الشيخ الى طلابه وقد احتل المسجد المكانة الرئيسية في هذه المدة والى جانبه ظهرت المدارس ومنازل العلماء والمكتبات والرباطات وحوانيت الوراقين وحتى حوانيت العامة شاركت بدورها كمكان للتعليم ولم تحل قرية او مدينة من المساجد التي شارك في بنائها الحكام والعلماء والاثرياء باعتبار بناء المساجد عملاً من اعمال البر والتقرب الى الله^(٣) ففي عصر المرابطين اهتموا بالمساجد وعمرؤا مساجد المدن التي

(١) ابن خاقان، فلائد العقيان، ص ٤٦٢.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٥٣.

(٣) عيسى، تاريخ التعليم، ص ٤٨٧.

سبق للنصارى تدميرها مثل مساجد مدينة بلنسية وزاد في المساجد الجامعة الموجودة من قبل وأمر ببناء جامع بستة وزاد فيه وتولى ذلك القاضي محمد بن عيسى^(١).

وكذلك اهتم المرابطون ببناء المدارس وقد بنى الامير يوسف ابن تاشفين مدرسة في عام ٤٦٢هـ/١٠٩٦م وان طلاب هذه المدرسة قد قاوموا الموحدين مقاومة شديدة حتى قتلوا جميعاً ولذا سميت بمدرسة الصابرين^(٢).

فضلاً عن المساجد والمدارس كانت هناك اماكن خاصة للتدريس مثل الحوانيت والبيوت وكان التدريس يتم بها بنسبة اقل بكثير من إذ التنوع بالدروس والكثرة في العدد مقارنة بحلقات المساجد والربطات وخير دليل ان ابا عبد الله محمد بن خلد التميمي سمع من ابي حجاج القضاعي بالمرية في حانوته بباب الزيارتين مقامات الحريري^(٣)، ان في خضم إهتمامات الحكام المسلمين بالجوانب العمرانية من بناء مساجد ومدارس ادى ذلك الى خلق أجواء مناسبة لنشاط الحركة العلمية وحصول الرعاية على حقهم في التعلم والتعليم.

وتمتع الرجال بحقهم بالتعليم والتعلم كذلك المرأة نالت حقها في ذلك إذ ظهرت نساء مثقفات مثل الحرة تاج النساء بنت رستم اقرأت عدد من الطلبة ومنهم عمر بن عبد المجيد الازدي^(٤).

ومن النساء المعلمات ام الفتح فاطمة بنت ابي القاسم التي علمت ابنها ابا القاسم بن الطليسان القرآن الكريم وما عرضته على ابيها من المصنفات ومنها (الكامل) للمبرد والامالي ومصنفات اخرى في التفسير والحديث الشريف^(٥).

(١) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٨.

(٢) عيسى، تاريخ التعليم، ص٤٨٨.

(٣) ابن الابار، التكملة، ج٢، ص٢٧.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ق٢، ص٤٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص٩٤٠.

ولم يقتصر اهتمام امراء المرابطين على الفقهاء ورجال الدين وانما تعداه الى رجال الفكر والادب وعلماء اللغة والنحو ولعل ذلك بسبب احتياجهم لتعلم اللغة العربية التي تعد الوسيلة الاساسية للتواصل مع اهل الاندلس من العرب لذلك لا بد من الاستعانة بالمعلمين والمؤدبين ليتعلمو منهم اللغة العربية وفنونها وأدابها وموضوعاتها ولا بد من الاعتماد على الكتاب والبلغاء في تحرير الرسائل المختلفة عن لسان أمير المسلمين الى عمال دولته وفي تدبيج الاوامر والمراسيم والمخاطبات الصادرة عنه بأسلوب بليغ خالي من الضعف^(١).

وفي العصر المرابطي نشطت الحركة الفكرية والثقافية من ناحية العلوم والفنون والآداب وبرزت خلالها اعظم شخصيات التفكير الاندلسي ومن اكابر العلماء الذين نبغوا في هذا العصر في مختلف العلوم اللسانية النحو واللغة والادب والعلوم الدينية كعلم الفقه والحديث والقراءات والعلوم العقلية كالطب والفلسفة والرياضيات والجغرافية والتاريخ وغيرها من العلوم المختلفة.

وكانت الدولة المرابطية ترجع في كل صغيرة وكبيرة الى فتوى الفقهاء التي كانت على مذهب مالك ومن اشهر الفقهاء في العصر المرابطي ابن رشد المجتهد الذي كان أوحده زمانه في الفقه وقد اغنى المكتبة الاندلسية بعدد من مؤلفاته ومنها "المقدمات لاوائل كتب المدونة" وكتاب "الفتاوى" وكتاب "المسائل" وغيرها من المؤلفات القيمة^(٢) وايضاً من فقهاء العصر المرابطي القاضي عياض وهو صاحب مؤلفات مهمة منها "ترتيب المدارك وتقريب الممالك في معرفة اعلام مذهب الامام مالك" في تراجم فقهاء المالكية و "نظم البرهان على صحة جزم الاذان" في الفقه وغيرها من المؤلفات^(٣).

(١) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٥٠٢-٥٠٣.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٣) الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ٩٩.

ومن اشهر اعلام الحديث في الاندلس الذين برزوا في العصر المرابطي في هذا العلم تأليفاً وشرحاً ورواية وكانت لهم عناية بعلم الجرح والتعديل القاضي الحافظ ابو علي حسين بن محمد الصدي الذي كتب بيده علماً كثيراً وقيده ومن ما كتبه صحيح البخاري في سفر وصحيح مسلم في سفر وكان قائماً على الكتابين مع مصنف ابي عيسى الترمذي^(١).

ومنهم ايضاً القاضي ابو بكر بن العربي المعافري الذي تفنن في علوم شتى وبلغت مؤلفاته نحو الاربعين كتاباً ومن اثاره في هذا العلم "القبس في شرح موطأ ابن انس" و"الاحاديث السبعيات" وايضاً "عارضة الاحوزي في شرح سنن الترمذي"^(٢).

أما فيما يخص علوم القرآن فقد برز في علم القراءات في هذا العصر عدد من المقرئين ومنهم ابو جعفر احمد بن علي بن احمد بن خلف الانصاري الذي ألف كتاب "الافئاع في القراءات" لم يؤلف في بابيه مثله وكتاب "الطرق المتداولة" في القراءات واتفق عليه كل الاتقان والعناية في القراءة على طريقة ابن مهران^(٣) وايضاً من برز في علم القراءات ابو الحسن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عزيمة الذي له عدة مؤلفات منها "أرجوزة في القراءات السبع" واخرى في "مخارج الحروف" وله ايضاً كتاب "الفريضة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية"^(٤) اما في علم التفسير فقد برز كوكبة من العلماء منهم ابن عطية المحاربي الغرناطي الذي اشتهر بتفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" وهو اختصار لكل ما كتب قبله من التفاسير وراج رواجاً عظيماً في الاندلس^(٥) وايضاً ممن برز في علم التفسير القاضي ابو بكر بن

(١) ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) الزركلي، الاعلام، ج ٦، ص ٢٣٠.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ٧٧.

(٤) ابن الابار، التكملة، ج ١، ص ٣٦٤.

(٥) عنان، دولة الاسلام، ص ٤٥٨.

العربي صاحب المؤلفات الجليلة ومنها "الناسخ والمنسوخ" و "قانون التأويل" و "احكام القرآن" في التفسير وغيرها^(١).

أما في العلوم الادبية فقد برز في اللغة والنحو ابو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي وهو صاحب المقامات "اللزومية" وعددها خمسين مقامة عارض فيها مقامات الحريري وله عدة مؤلفات^(٢).

وايضاً من اشتهر في العصر المرابطي من علماء اللغة ابو العباس التدمري ومن اثاره كتاب التوطئة في النحو وشرح في كتاب الفصيح لشعلب وشرح ابيات الجمل للزجاجي في كتاب كبير سماه "شفاء الصدور" واختصره في كتاب اخر سماه "المختزل" وغيرها من الكتب^(٣).

وفي علم الكلام برز ابي عبد الله محمد بن خلف بن موسى الانصاري المعروف بالالبيري ومن كتبه كتاب "النكت والامالي في النقض على الغزالي" ورسالة الانتصار على مذهب الائمة الاخيار ورسالة البيان عن حقيقة الايمان وغيرها^(٤).

وفي مجال الفلسفة برز ابن باجة صاحب مدرسة الشك وقد ألف اكثر من خمسة وعشرين كتاباً ذكرها ابن ابي اصيبعة ومنها "شرح كتاب السمع لارسطو طاليس" ورسالة الوداع وكتاب "تدبير الموحد" وايضاً كلام في البرهان وغيرها من الكتب القيمة^(٥).

(١) الزركلي، الاعلام، ج٧، ص١٤٩.

(٢) ابن الابار، التكملة، ج١، ص٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٤) العربي، احكام القرآن، ج١، ص٣-٤.

(٥) ابن اصيبعة، عيون الانباء، ص٤٧٣-٤٧٤.

اما في مجال التصوف فقد راجت مؤلفات ابي العباس بن العريف ومؤلفات ابي الحكم عبد السلام بن برجان اللخمي ومنها كتاب "الارشاد" واكثر كلامه فيه على طريقة ارباب الاحوال والمقامات^(١).

اما في الطب فقد نال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل لدى المرابطين ابو العلاء بن زهر الذي برع في الطب والمداواة وله عدة مؤلفات في الطب ومنها كتاب الخواص وكتاب الادوية المفردة ومجربات أمر يجمعها علي بن يوسف بن تاشفين بعد موت ابي العلاء جمعت وانتسخت سنة (٥٢٦هـ/١١٣٢م)^(٢).

وقد برز في عصر المرابطين عدد كبير من اعلام الرواية والكتابة التاريخية وفي مقدمتهم ابو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الغرناطي المعروف بابن الصيرفي كان من اعلام عصر علي بن يوسف في البلاغة والادب والتاريخ كتب عن الامير تاشفين بن علي بن يوسف ايام كان والياً على الاندلس وألف في تاريخ الاندلس في العصر المرابطي كتاباً وهو كتاب "الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية" وقد توفي في غرناطة سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م)^(٣).

وايضاً ممن كتب في التاريخ في العصر المرابطي ابو عامر محمد بن احمد بن عامر البلوى الذي ألف كتاب في التاريخ اسماء "درر القلائد وغرر الفوائد"^(٤).

وبرع في مجال الجغرافية عدد كبير من كبار جغرافي الاندلس في عصر علي بن يوسف ابو عبد الله محمد الادريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الافاق"^(٥).

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) ابن اصبعية، عيون الانباء، ص٤٧٦.

(٣) عبد المنعم، التاريخ السياسي، ص٤٠١.

(٤) المرجع نفسه، ص٤٠٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٠٣.

اما في مجال الشعر فقد ازدهرت الحركة الادبية في دولة المرابطين في عهد الامير علي بن يوسف بن تاشفين الذي اهتم بالشعر والادب وشجع الشعراء والادباء فتوافدوا على بلاطه من اهل الاندلس ومن الذين مدحوا الامير علي بن يوسف الشاعر الكبير ابو العباس المعروف بالاعمى التطيلي وبرز عدد من الشعراء في هذا العصر ومنهم ابن الطراوة وابن السيد البطليلوسي وابن خفاجة وابن قرمان والفتح بن خاقان وقد اهتم الامير علي بن يوسف اهتماماً كبيراً بهم ورغب في اقتناء مصنفاتهم^(١).

ومن الامراء المرابطين الذين اشتهروا بالمشاركة في الادب وقرض الشعر وتقريب الادباء والشعراء واکرامهم الامير ابو بكر بن ابراهيم الصنهاجي المعروف بابن تافلويت وهو صهر امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وقد سجلت له كتب التراجم مجموعة من الابيات وكان والياً على تلمسان وسرقسطة^(٢).

وايضاً الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيشت فقد كان من المهتمين بالشعر والادب ولكنه لم يعثر له الا على قصيدة واحدة القاها في مدينة شاطبة عام ٥١٥هـ وكان والياً على مرسية وسمع من ابي علي الصديفي وكان له يد بيضاء في رعاية العلم والادب والمشاركة فيهما^(٣).

والى جانب هؤلاء الامراء الشعراء وقفت الاميرات المرابطيات من الاسرة الحاكمة ليشاركن في الادب ونظم الشعر وانشاده فالاميرة تميمة بن يوسف بن تاشفين المكناة ام طلحة كانت شاعرة مشهورة بالادب والكرم ورجاحة العقل والاميرة زينب بن ابراهيم بن تافلويت اشتهرت ايضاً بالادب والشعر وكذلك الاميرة ورقاء بنت ينثان عرفت بمشاركتها الادبية والشعرية^(٤).

(١) الهرفي، دولة المرابطين، ص ٣١٨-٣٣٠.

(٢) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤٩٣.

(٣) الهرفي، دولة المرابطين، ص ٣١٠.

(٤) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤٩٤-٤٩٥.

ومن الاميرات التي اشتهرت بالادب والشعر الاميرة حواء بنت تاشفين كانت تحضر المجالس الادبية وتجمع الشعراء والكتاب وتحادثهم وكان لها مجلس ادبي يحضره كبار العلماء كابن القصيرة وابن المرخي^(١)، يستدل من ظهور عدد كبير من العلماء والمفكرين والمؤرخين في العلوم النقلية والعقلية أن الحركة العلمية في بلاد الاندلس خلال العهد المرابطي كانت في نشاط مستمر، وان الرعاية كانوا يمارسون حقهم في التعليم والتعلم ضمن ضوابط نظام الدولة الاسلامية.

وتجلى اهتمام الحكام المرابطين بالجانب الثقافي في اهتمامهم باقتناء الكتب وتأسيس المكتبات^(٢).

وان بعض المدن الاندلسية اشتهرت بمكانتها وتميزت في اهتمام اهلها سواء من الطبقة الحاكمة او الرعاية بالمكتبات العامة والخاصة الملحقة بالمساجد والجوامع فمدينة قرطبة مدينة طليطلة اشتهرت بالمساجد الجامعة التي تضمنت مكتبات ضخمة جعلت منها مركزين ثقافيين من اكبر مراكز التعليم في العصور الاندلسية وليس في عصر المرابطين فحسب وكانت تلك المكتبات مفتوحة امام طلاب العلم من جميع انحاء العالم الاسلامي^(٣).

اما طليطلة فقد احتفظت بمكانتها العلمية التي نالتها لاحتضانها المساجد الجامعة المشتملة على المكتبات العامرة بانواع المصنفات وقيام المناظرات الثقافية فيها حتى بعد سقوطها بايدي الاسبان فقد وجدت مكتبة غنية في أحد مساجدها بلغت شهرتها اقصى البلاد النصرانية في شمال الاندلس^(٤).

(١) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ٥٧.

(٢) حمادة، المكتبات في الاسلام، ص ٤٢.

(٣) حمادة، المكتبات في الاسلام، ص ٨٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٣.

وكان امراء المرابطين يخصصون جزءاً كبيراً من واردات الدولة للمكتبات والقائمين عليها ويختارونهم من الطبقة العالية المثقفة وهي طبقة الفقهاء والعلماء^(١).

أما اهتمام ابناء الرعية في الاندلس باقتناء الكتب وتأسيس المكتبات فقد ظهر حرصهم على جمع المصنفات اللغوية والادبية والتنافس على تأسيس المكتبات المنزلية التي كانت دليلاً على الثقافة وحب العلم^(٢).

واسهم تشجيع الحكام المرابطين على اثراء المكتبة الاندلسية بمصنفات تمتاز بالجودة والرصانة والحرية الفكرية وقد ساعدت حركة اقتناء الكتب وتأسيس المكتبات على نمو الحركة العلمية فانتشرت المكتبات ليس في المدن الكبرى فقط بل في القرى الصغيرة ايضاً^(٣).

ولم يكن تأسيس المكتبات مقصوداً على الاثرياء وحدهم بل نجد هذه الرغبة في تأسيس المكتبات عند الطبقات الفقيرة^(٤).

ومن اشهر من عرف بجمع الكتب في العصر المرابطي الفقيه الزاهد والمحدث القاضي ابو مروان بن عبد الملك القرطبي (ت ٥٥٢هـ / ١١٥٧م) الذي ورث عن ابيه مالا كثيراً تصدق بثلثه واشترى بالثلث الباقي كتباً ثمينة وكان ينسخ الكتاب منها ويقتني النسخة التي بخطة ثم يبيع الاصل الى ان حصل على جميع تلك الكتب بخطة وضل هكذا حتى مات^(٥).

(١) طه، فاس، ص ٢٦٩.

(٢) فاتن، المصنفات اللغوية، ص ٥٦٠.

(٣) عباس، تاريخ الادب، ص ٤٩.

(٤) المقرئ، نفح الطيب، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ج ٢، ص ٢٦٩.

وعرف ايضاً بجمع الكتب ابو عبد الله محمد بن احمد بن عون المعافري (ت ٥١٢هـ / ١١١٨م) وكان مقتنياً بالعلم مشهوراً بالمعرفة والفهم وكثير الكتب جامعاً لها باحثاً عنها^(١).

ومن المكتبات الشهيرة في العصر المرابطي مكتبة ابي عامر محمد بن احمد بن عامر البلوى (٥٥٩هـ / ١١٦٤م) الذي كان من اهل العلم بالتاريخ والادب والطب وقد اشتهر بمكتبته التاريخية التي كانت تزخر بالعديد من الكتب والمؤلفات ومن اهم مؤلفاته "درر القلائد و غرر الفوائد" في الادب والتاريخ و"الشفاء في الطب و"انموذج العلوم" وكتاب في اللغة واخر في التشبيهات^(٢).

ومن اهم العوامل التي ساعدت على دفع الحركة العلمية بالاندلس الى الامام الرحلات العلمية التي كانت من والى الاندلس على مدى العصور السابقة حتى هذا العصر وذلك بما حملته من جديد من ادخال الكتب المشرقية التي اغنت المكتبة الاندلسية عامة وكان معظم الداخلين اليها من بلاد المغرب وافريقية مثل ابو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي (ت ٥٠٥هـ) الذي دخل الاندلس طلباً للعلم وسمع بها من غير واحد وكان يعد من اهل العلم والفضل مما جعله يتولى القضاء بسببة وبفاس^(٣).

كذلك تمتع اهل الذمة بحرية في ممارسة نشاطهم في الحياة العلمية والثقافية وقد سمحت لهم السلطات الاسلامية بحق التعليم فكان النصارى يذهبون لتلقي العلم في المدارس الكنسية التي تلقنهم الاناشيد الدينية، وتعلمهم القراءة وعد الارقام، والتعليم

(١) ابن بشكوال، الصلة، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٢) الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ٣١٨.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ج ٢، ص ٤٧٠.

فيها يكون باللغة اللاتينية وهناك المدارس العامة التي تدرس بها العلوم الدنيوية وكانت منتشرة في ارجاء الاندلس المختلفة^(١).

لم تكن معاهدة التدريس والتعليم في الاندلس مقصورة على قرطبة بل شملت بلاد الاندلس جميعها إذ انتشرت المدارس في طليطلة واشبيلية وغرناطة وغيرها من مدن الاندلس احتذبت هذه المدارس النصرى واليهود في الاندلس وغيرها من الممالك الاوربية^(٢).

وقد تأثر النصرى بالثقافة العربية وابتعادهم عن الثقافة اللاتينية وقد اقبل النصرى على تعليم اللغة والثقافة العربية على يد العلماء من المسلمين ويمكن الاستدلال على ذلك بقيام النصرى في طليطلة بأخذ العلوم على يد العالم عبد الله بن سهل الغرناطي (٤٩٠هـ / ١٥٧١ - ١٩٦١ - ١١٧٥م) والذي اشتهر بمعرفته لعلوم شتى كالمنطق والعلوم الرياضية ويذكر ابن الخطيب^(٣) أن "النصرى كانت تقصده من طليطلة تتعلم منه ايام كان ببياسة".

أنصب اهتمام النصرى على التعمق في دراسة علوم العرب وأدابهم واشعارهم حتى اصبح الواحد منهم لا يقرأ اللاتينية أو يلقي بالا الى الكتب المقدسة المكتوبة بها ويرجع ذلك لانشغالهم باللغة العربية ودراستها ومحاولة التمكن منها^(٤).

بالنسبة لنتاجهم العلمي لم نجد شيئاً يذكر وذلك بسبب قلة المصادر التي تحدثت عن النشاطات العلمية للنصرى أما في مجال الادب والشعر الذي امتاز بشحة

(١) ولدان، النصرى واليهود، ص ١٣٧.

(٢) هونكة، شمس العرب، ص ٥٠٠.

(٣) الاحاطة، ج ٣، ص ٣٠٨.

(٤) مؤنس، فجر الاندلس، ص ٤٨٦.

المعلومات فيه تذكر فيه جارية نصرانية تدعي هذا كانت تجيد الشعر^(١) كتب اليها ابو عامر بن نيق^(٢).

يدعوها للحضور عنده:

يا هند هل لك في زيارة فتية تبدو المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا نغمات عودت في الثقل الاول
فأجابته في ظهر كتابة:

يا سيد احاز العلا عن سادة تتم الانوف من الطراز الاول
ومن الشاعرات النصرانيات زينب بنت اسحاق النصراني كانت تعيش في
القرن السادس الهجري ولها اشعار في حب آل بيت الرسول (ص) ومنها:

عدي وتيم لا احاول ذكرهم بسوء لكني محب لهاشم
وما يعتزيني في علي رهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم واهل النهي من عرب واعاجم
فقلت لهم: اني لأحسب حبهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم^(٣).

اما اليهود فكانت لهم الحرية في ممارسة نشاطهم الفكري وقد كانت لهم
اسهامات فكرية في شتى مناحي المعرفة ويمكن القول ان الحقبة المرابطية تعد محطة
من محطات تطور الفكر اليهودي إذ برزت اسماء لامعة لعلماء مفكرين يهود يأتي في
طليعة هؤلاء المفكرين "اسحاق الفاسي (٤١٧هـ / ١١٠٣م) اتخذ من مدينة الياسنة

(١) المقرئ، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩٣.

(٢) ابو عامر بن نيق: هو اديب اندلسي تولى منصب الوزارة في دولة المرابطين وتوفي سنة ٤٥٧هـ — ينظر:

الماجدي، المرأة في الشعر الاندلسي في عهدي المرابطين والموحدين، ص١٩٧.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، ج٢، ص٣٧٧.

مستقراً له (٤٨١هـ / ١٠٨٨م) وأسس بها مدرسة أصبحت من أهم مراكز الدراسات التلمودية ستفرق في شرحه للتلموذ ما يقارب الخمسين سنة^(١).

وممن اشتهر بالدراسات الدينية من بعد إسحاق نذكر ابراهام عزرا (٤٦٦هـ / ١١٦٣م) الذي شرح القوانين التلمودية في ٢٤ مجلد^(٢).

كما عرفت الحقبة المرابطية بروز عدة شعراء يهود نذكر منهم يهودا هاليافي الذي نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية وألف رسالته المعروفة بأسم "الحجة والدليل في نظرة الدين الدليل"

ومن شعراء اليهود موسى بن عزرا الذي لازم كتابة الشعر مدفوعاً بالالم الداخلي الذي عايشه طوال حياته نظراً لظروف منعه من الزواج بمحبوبته^(٣).

ونبع الشاعر الياس بن مدور الطيب الشاعر الذي كان يرد على غريمة في المهنة عن طريق الشعر^(٤).

ولم يقتصر شعراء الطائفة اليهودية على فئة الرجال فحسب بل تعداه الى العنصر النسوي فبرزت الشاعرة قسمونة بنت اسماعيل المولودة بغرناطة والتي بلغت شأناً عظيماً في قول الشعر الا ان ما يميز شعرها من غيرها ان معظمه كان يعبر عن العزلة والمعاناة اليومية التي كانت تعيشها الشاعرة لاسيما وانها بلغت سن الياس ولم تتزوج فعبرت عن ذلك في شعرها^(٥).

كذلك تجلّى دور اليهود في حركة الترجمة من العربية الى العبرية واللاتينية ونقل الثقافة الاسلامية الى أوروبا بعد ان نعم اليهود بالتسامح في ظل الدولة المرابطية

(١) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاندلسي، ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

(٣) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاندلسي، ص ١٠٧.

(٤) فرحات، معجم الحضارة، ص ١٢٦.

(٥) المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ٥٣٠.

هذا التسامح الذي جعلهم ينعمون بالحرية التامة فتعلموا اللغة العربية فكان هؤلاء بمثابة وسطاء في الاندلس بين الثقافة الاسلامية والمسيحية مساعدين الباحثين المسيحيين على ترجمة الاعمال العربية الى اللاتينية^(١).

وممن برز من اليهود في مجال الترجمة في عهد الدولة المرابطية ابراهيم عزرا و ابراهيم بن يحيى المتوفي سنة (٥١١هـ / ١١٣٦م)^(٢).

وقد ساهم اليهود في مجال الطب اسهاماً كبيراً ونبغ الكثير منهم في هذا المجال في العصر المرابطي منهم موسى بن ميسون القرطبي الذي وصف بأنه أوجد زمانه في صناعة الطب^(٣).

ومن كثر حرصه على مجال تخصصه كان على اتصال دائم بالاطباء فذكر في احدى مقالاته مناقشته لطبيب في بلاط الامير علي بن يوسف وبلغت عدد مصنفاته الطبية الى عشرة بين مقالة ورسالة دونت جميعها بالعربية ونقل اغلبها الى العبرية وبعضها الى اللاتينية واهم ما وصلنا منها فصول القرطبي أو فصول موسى التي تعد أكبر رسائله الطبية حجماً وشهرة فضلاً عن كتاب المختصر وهو عبارة عن مختصر لكتب "جاليتوس" فضلاً عن مقالات عديدة منها "تدبير الصحة" ومقالة في شرح "فصول القراط" ومقالة بيان الاغراض وغيرها^(٤).

ومن الاطباء اليهود ايضاً ابو الحسن يهوذا الذي كان يشغل اوقات فراغه لمعالجة المرضى فكان الناس يتزاحمون عليه لشهرته ومنهم من كان في البلاط المرابطي كالطبيب سلمون أبي يعقوب وحسن بن كنوا وغيرهم^(٥).

(١) كواتي، اليهود في المغرب الاسلامي، ص ٢٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

(٣) ابن ابي عمير، عيون الانباء، ج ٢، ص ٤٩٠.

(٤) لفنسون، موسى بن ميمون، ص ١٤٢-١٥٣.

(٥) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاندلسي، ص ١١٠.

وعلى الرغم من مهارة الاطباء اليهود الا أن هذا لم يمنع دعوة بعض الفقهاء الى عدم فسح المجال امام الاطباء اليهود لمزاولته مهنتهم تحت ذريعة انهم لا يرون نصيحة الا ان يطيعوا أهل ملتهم ومن لا يرى نصيحة مسلم كيف يوثق^(١).

أما في عصر الموحدين فقد كان عصر ثقافي مزدهر نتيجة لعناية ورعاية حكام الموحدين للحركة العلمية والمنافسة فيما بينهم في الارتقاء بالناحية الثقافية والعلمية في دولهم من خلال جعل بلاطاتهم محطات لجذب العلماء والادباء وعقد المجالس العلمية والادبية^(٢).

لقد كان من أولويات المهدي بن تومرت العناية والاهتمام بالنواحي العلمية لما للعلم من اسهام في تطور الأمم وازدهارها إذ يفتتح كتابه بعبارته المشهورة وهي "أعز ما يطلب، و أفضل ما يكتسب، وانفس ما يذخر، وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية الى كل خير هو اعز المطالب، وافضل المكاسب، وانفس الذخائر، واحسن الاعمال"^(٣) وهذا يدل على اهمية العلم واهتمامه به وتشجيعه للحركة الفكرية والادبية في الاندلس.

اهتموا بالحياة العلمية إذ أبدت الدولة الموحدية اهتماماً كبيراً جداً بالتعليم وذلك لقيام دولتهم على عقيدة دينية مميزة مما حتم ضرورة الاهتمام بنوعية التعليم التي يمكن ان تساهم في اقناع الناس بهذه العقيدة^(٤).

ولم يقتصر اهتمام الموحدين بما يتلائم مع عقيدتهم فحسب بل كان فضلهم على المعارف كبيراً وشجعوا كثيراً من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظوراً رواجها في العهد المرابطي وقد بلغ تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم مبلغاً عظيماً وكان تشجيعهم مادياً وأدبياً فأسسوا المدارس وعمروا المعاهد وجلبوا

(١) ابن عبدون، ادا ب الحسبة، ص ٥٧.

(٢) المنوني، العلوم والاداب، ص ١٧.

(٣) عنان، دولة الاسلام، ص ٦٤٦.

(٤) عيسى، تاريخ التعليم، ص ٤٧٣.

العلماء واقترحوا تدوين الكتب وعقدوا المناظرات وجمعوا الجامعات العلمية المتنوعة وأسسوا خزائن الكتب وابتكروا التعليم المجاني ووضعوا مناهج التعليم^(١).

اما الاستقرار السياسي الذي عاشه الاندلس في ظل الموحدين وطول مدته فقد سمح للمساجد بالانتشار فقد أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلاده^(٢) وقام الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ببناء جامع الموحدين بأشبيلية الى جوار المسجد الجامع السابق المعروف بأسم جامع ابن حمديس^(٣).

كذلك كان للمكاتب دور كبير في التعليم ونشره فقد اهتم الموحدون بالمكاتب وما يجري بها من تعليم اهتماماً كبيراً يتمثل في محاولاتهم ادخال بعض الافكار التربوية للامام الغزالي وتطبيقها على نظام التعليم المعمول في بلادهم ومن ذلك ادماجهم الرياضة في مناهج التعليم وفي مزج الادب بالعطاء كما كانوا يبالغون في اختيار المدرسين وامتحانهم واختبارهم ومن امثلة ذلك ما كتب به عبد المؤمن بن علي الى نوابه فإنه أكد عليهم في اختيار مدرسين أمناء ويكونوا من الذين يراقبون ويحافظون ولا يدأون في حقوق الله ولا يداهنون^(٤).

وفي المدة التي شهدت تدهور دولة الموحدين نلتمس اهتمام حكام الاندلس رغم مشاكلهم السياسية بالتعليم الاولي في تلك الوصية التي وجهها ابن هود المتغلب شرق الاندلس إذ يقول "وأمرهم بأن يعلموا اولادهم كان الحكام يقومون بالانفاق على التعليم الاولي واخذ حرص الحكام المسلمين على ان يحصل الرعاية على حقهم في التعليم يظهر جلياً عندما جعل الخليفة عبد المؤمن التعليم إجبارياً على الذكور والاناث

(١) المنوني، العلوم والاداب، ص ١٥-١٦.

(٢) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٥٤.

(٣) سالم، تاريخ حضارة الاسلام، ص ١٧٤.

(٤) المنوني، العلوم والاداب، ص ٣٧-٣٨.

وكذلك التعليم المجاني بأوسع معانيه وكان يقوم بنفقات التعليم بنقله التلاميذ ومؤونتهم ونفقاتهم^(١).

ولم يقتصر التعليم على الذكور فقط بل إن الفتيات قد تلقين قسطاً وافراً من التعليم في المرحلة الاولى عن طريق الاباء أو الاقارب أو في الكتاب ولاسيما قبل البلوغ لذلك من الطبيعي ان تبرز الى الوجود شاعرات نابغات واديبات يعترف بأدبهن المؤرخون ورجال الادب وعالمات ينقل الرجال عنهن الروايات الصحاح^(٢).

اما دورها كمعلمة في هذه المرحلة فالنصوص الواردة نادرة وقليلة وذكرت منهن ابنة حزم المعلم التي كانت تؤدب مع والدها واخيها في دار واحدة واخرى عرفت باسم غالية بنت محمد^(٣).

وقد حرص الموحدون على تعليم الاطفال صغاراً والتزموا به الذكور والاناث^(٤) وقد دعا المنصور الموحي الى جميع الصبيان من ابناء مدينة اشبيلية وقرطبة الى حضرته لتعليمهم^(٥).

اهتم الحكام الموحدون في الاندلس على تعليم ابنائهم واختيار المعلمين والمؤدبين لتعليمهم إذ اختار الخليفة عبد المؤمن بن علي ابن السيد الجداوي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) كمؤدب لابنائهم^(٦).

وايضاً اختار المنصور الموحي كل من عبد الله بن سلمان حواطي الانصاري (ت ٦١٢هـ/ ١٢١٥م) لتعليم ابنائه الذكور^(٧) وعلي بن محمد الفهمي (ت ٦١٧هـ/

(١) المنوني، العلوم والآداب، ص ٣٣.

(٢) عيسى، تاريخ التعليم، ص ٤٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٨-١٧٩.

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٩٢.

(٧) ابن الابار، التكملة، ج ٢، ص ٨٨٤.

١٢٢٠م) لتعليم بناته^(١) بعد التأكد من ورعها إذ قربهما واستخلصهما ثم امرهم بالتعليم^(٢) وحرصوا في اختيار المعلمين من كان افقه الناس واورعهم واعفهم بل اختارهم قبل تكليفهم بذلك وان يكون المؤدب واسع العلم وذو خبرة طويلة في التعليم ومعروفاً بالجد والعفاف^(٣).

اتبع المؤمن سياسة الرفق وحرية الرأي وسمح بالتداول الكتب التي سبق حظر كتابتها او نشرها وحتى الكتب المعارضة سمح بتداولها والرد عليها في الوقت نفسه^(٤)، وهذا خير دليل على أن الرعاية تمتعت بحقها بحرية التعليم والفكر بعيداً عن التوجهات السياسية للدولة الموحدية.

وكان اغلب حكام المسلمين في الاندلس في العصر الموحي أما عالماً أو أديباً لذلك فقد اهتموا بالعلم وشجعوا العلماء والادباء إذ كان الخليفة عبد المؤمن نصيراً لاهل العلم يستدعيهم من البلاد الى حضرته ويجري عليهم الارزاق الواسعة ويظهر التنويه بهم والاعظام لهم^(٥).

وكان هو نفسه من رجال العلم المعدودين... فصيح اللسان عالماً بالجدل متفقهاً في علم الاصول وحافظاً للحديث صحيح الرواية اماماً في النحو واللغة والقراءات ملماً بالتاريخ والسير اديباً وشاعراً ينظم الشعر الجيد^(٦).

وكان يوسف بن عبد المؤمن مولعاً بجمع الكتب من انحاء الاندلس والمغرب وطمح به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة فجمع كثيراً من اجزائها. وبدأ ذلك بعلم الطب ثم تخطى ذلك الى ما هو اشرف من انواع الفلسفة وأمر بجمع كتبها^(٧).

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٤٠٠.

(٢) ابن الابار، التكملة، ج ٢، ص ٨٨٤.

(٣) ابن الخطيب، رقم الحل، ص ٥٨.

(٤) محمود، تاريخ دولتي، ص ٥٣.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٢٠١.

(٦) ابن زرع، الروض القرطاس، ص ١٣٢؛ ابراهيم، تاريخ الاسلام، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٧) المراكشي، المعجب، ص ٣٠٩-٣١٠.

وقرب اليه الفلاسفة امثال ابن طفيل صاحب كتاب "يحيى بن يقطان" الذي عرفه بدوره على ابي الوليد بن رشد اعظم الفلاسفة وكثير ما كانت تعقد المناظرات بينه وبين الفلاسفة يتحدثون فيها بأقوال ارسطو وافلاطون وجميع الفلاسفة^(١).

والخليفة يعقوب المنصور عالماً مستتيراً متمكناً في الحديث والفقه واللغة وكان مثل ابيه وجده يجمع حوله العلماء والادباء والشعراء ويجري المرتبات على الفقهاء والطلبة وفقاً لمراتبهم وطبقاتهم^(٢) وكان يجري الرواتب المنتظمة لكثير من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء وغيرهم^(٣).

ونجد في اواخر الدولة الموحدية بعد ان ادركها الضعف من الخلفاء الموحدين من يتسم بصفات علمية بارزة فقد كان الخليفة المأمون ابن المنصور عالماً متمكناً في اللغة والادب والشعر وكان كاتباً مقتدرًا وبارعاً والخليفة المرتضى لامر الله كان فقيهاً واديباً وشاعراً^(٤) هذا يدل على اهمية العلم وشغفهم بالعلوم والاداب على الرغم من الفتن والحروب المتواصلة في الدولة.

وفي العصر الموحي نشطت الحركة الفكرية من ناحية العلوم والفنون وقد وصلت الحركة الفكرية في ميدان العلوم والفنون الى ذروة الازدهار والتقدم وسطعت خلالها اسماء من اعظم شخصيات التفكير الاندلسي ومن بينهم ابن طفيل وابن زهر وابن رشد وابن الرومية وغيرهم، ولم تكن الدولة الموحدية دولة رجعية تطارد العلوم والفلسفة بل كانت تفسح المجال امام التفكير وحرية التفكير وكانت دولة حامية للعلوم والاداب والفنون على الرغم من بعض حوادث المطاردة الفكرية^(٥).

(١) المراكشي، المعجب، ص ٣١١-٣١٦.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٣.

(٣) المراكشي، المعجب، ص ١٣٤.

(٤) عنان، الاسلام في الاندلس، ص ٦٤٧.

(٥) عنان، دولة الاسلام، ص ٧١٢.

ان الحركة الفكرية الاندلسية خلال العصر الموحدى تمتاز بوفرة في دراسة علوم الدين والفقه والادب ومن هؤلاء العلماء الذين برزوا في علوم الدين والفقه والحديث كانوا في الوقت نفسه يمتازون بتمكنهم من الادب وعلوم اللغة وبعضهم ينظم الشعر ومن هؤلاء عبد الله بن احمد بن سعيد بن عبد الرحمن العبدري درس الفقه والحديث والقراءات وأخذ عن ابي مروان الباجي وابي بكر العربي وغيرهم وبرع بالاختص في دراسة الفقه وكان بصيراً بالاحكام وعرف بالورع والزهد وألف شرحاً في صحيح مسلم ولكنه توفي قبل اكماله وله شرح لرسالة أبي زيد القيرواني وتوفي سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م^(١).

وكذلك ابراهيم بن الحاج احمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن خالد الانصاري من اهل غرناطة نشأ ودرس بها وبرع في الفقه والحديث والقراءات ومارس عقد الشروط وولى القضاء بعدة جهات من ولاية غرناطة وتوفي سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م^(٢).

ومن اعظم فقهاء هذا العصر وحفاظة ابن الجد الفهري وهو محمد ابن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد ولد سنة ٤٦٩هـ ودرس في قرطبة واخذ فيها عن ابن عتاب وابن رشد وعني لاول مرة بدراسة العربية وبرع فيها واراد التخصص فيها والتصدر لاقرائها ولكنه بتوجيه من استاذه ابن رشد درس الفقه والحديث وبرع في هذا الميدان وبلغ الذروة فيه وكان ابرع اهل عصره في التمكن من مذهب مالك وكان فصيحاً وخطيباً ذاع صيته في الاندلس والمغرب وتوفي سنة ٦٨٥هـ / ١١٩٠م^(٣).

أما ما يخص الحركة الادبية واللغوية التي تشمل اللغة والنحو والادب فقد عرفت ازدهاراً على مر العصور التي سبقت العصر الموحدى وبرز اعلام من

(١) المنوني، العلوم والاداب، ص ٥٦ ؛ حسن، الحضارة العربية، ص ١٥٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٥١.

(٣) عنان، دولة الاسلام، ٦٥٢.

اللغويين والنحاة والكتاب والشعراء الذين نافسوا نظرائهم المشاركة^(١) وكان من هؤلاء الاعلام البارزين ابو بكر بن سلمان بن سمحون الانصاري من اهل قرطبة درس القراءات والعربية والاداب وبرع في علم النحو حتى فاق سائر أقرانه وكان يوصف بأنه اعلم معاصريه بالنحو وكان يدرس العربية وأخذ منه عدة من اعلام عصره مثل ابي جعفر بن مضاء وابي محمد عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم وتوفي سنة ٥٦٣هـ / ١٢٦٧م^(٢).

وداود بن يزيد بن عبد الله السعدي النحوي من اهل غرناطة وكان استاذ النحويين في وقته وكان ممن اخذ عنه اعلام مثل ابي بكر بن ابي زمنين وابي الحسن بن خروف وغيرهم وتوفي سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م^(٣).

وبلغت الدراسات النحوية اهمية كبرى في العصر الموحي ومن شدة اهتمام الاندلسيين وحرصهم على معرفة النحو اعتبر ابن سعيد ان عندهم من لم يتمكن من النحو لا يستحق التمييز^(٤) واشتهرت اشبيلية بمدينة النحو لكثرة من انتسب اليها من النحاة واليهم كانت ترفع اسئلة المقرئين ومدرسي النحو من مختلف البلدان وعرف كبيرهم باسم رئيس النحاة ومن اشهر اعلام هذه المدة عبد الرحمن بن مضاء اللخمي (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٥م) صاحب كتاب "الرد على النحاة" وعلي بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت ٦٠٩هـ / ١٢١٢م) الشهير بابن خروف له شرح على كتاب سيبويه سماه "تنقيح الالباب في شرح غوامض الكتاب" في اربعة مجلدات اهداء لمحمد الناصر الموحي فأثابه عليه اربعة الاف درهم^(٥).

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٣٦١.

(٢) عنان، دولة الاسلام، ص ٦٨٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٨٢.

(٤) المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ١٨٤.

(٥) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٣١٠.

وقد اعتنى الاندلسيون بالادب وفنونه في عصر الموحدين وبلغوا فيه شأناً رفيعاً وكان للاستقرار السياسي الذي عرفته الاندلس خلال هذه المدة أثر في ازهار الحركة الادبية إذ تنافس الشعراء والكتاب على تقديم افضل ما لديهم من منظوم الكلام ومنثورة ولم يخل ادب هذا العصر من مظاهر الاستقلال والتجديد^(١).

وقد أثرت ظروف الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية على الحياة الادبية من تنوع وانفتاح على فنون الادب بمختلف اتجاهاته منها الادب السياسي مع بداية سيطرة الموحدين على الاراضي الاندلسية ومحاولتهم التقليل من شأن المرابطين وقد مثل شعر يحيى بن سهل انموذجاً لتسويغ الثورة ضدهم^(٢).

وازدهر الشعر بالاندلس خلال العصر الموحي وكان الخلفاء الموحدون يتذوقون الشعر الجيد ويقدرّون أثر الاشادة والمديح في تأييد هببة الدولة والخلافة ومن ثم فقد اسبغوا رعايتهم على الشعراء واغدقوا عليهم الصلات وكان من ابرز شعرائها الجداوي وابن حزمون وابن مجبر وغيرهم ينظمون قصائدهم في مختلف المناسبات ويشيدون فيها بقوة الخلافة الموحدية ومجدها^(٣).

وبلغ الشعر في الاندلس في العصر الموحي مستوى عالياً من الازدهار والقوة فقدّرت قدره واظلمته برعايتها وتبارى الشعراء الاندلسيون منذ عهد عبد المؤمن في مدح الخلافة الموحدية والاشادة بها^(٤).

ومن أبرز وأهم الشعراء الذين ظهوروا في العصر الموحي وكانت الخلافة الموحدية تجذبهم اليها اينما جلسوا منهم ابو عبد الله محمد بن حسين ابن حبوس وكان عالماً ومحققاً وشاعراً كبيراً وظهر في ميدان الشعر منذ ايام المرابطين ومدح بعض امرائها ولما غلب امر الموحدين انضوى تحت لوائهم ولقي الخليفة عبد المؤمن بجبل

(١) الاوسي، الادب الاندلسي، ص ٢٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٨.

(٣) عنان، دولة الاسلام، ص ٦٨٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٦٨٧.

طارق وامتدحه وكثرت مدائحه من بعده لولده الخليفة ابي يعقوب يوسف وامراء بني عبد المؤمن وجمع شعره في ديوان حافل يدل على قوة شاعريته وتوفي سنة (٥٧٠هـ / ١١٧٤م)^(١).

ومن اوائل الشعراء في العصر الموحي واعظمهم شأنًا ابو عبدالله محمد بن غالب المعروف بالرصافي نسبة الى رصافة بلنسية برع في الشعر والادب وكان ظهوره في اواخر العصر المرابطي وله قصيدة في مدح الخليفة عبد المؤمن عند وفوده الى جبل طارق سنة ٥٥٦هـ والتي كان مطلعها

لو جئت نار الهدى من جانب الطور

قبست ما شئت من علم ومن نور

من كل زهراء لم ترفع ذوابتها

ليلاً سار ولم تشب لمقرور

وكان الرصافي كثير التواضع لا يحب ان يشهر بشعره مع اجادته في كثير منه وكان عزيز النفس موفور الكرامة يعيش من صناعة الفرو ولا يتذلل لأحد ولا يتجر بشعره ولا يتخذ سبيلاً الى الزلفى او التقرب من احد^(٢).

ومن اكابر العلماء الذين نبغوا في هذا العصر في مختلف العلوم في الطب والنبات والرياضيات والفلك والهندسة وقد شهد العصر الموحي تطوراً كبيراً لهذه العلوم ففي الطب نبغ عدد الاطباء وتأتي في مقدمتهم أشهر الاطباء ارتباطاً بدولة الموحدين وهو عبد الملك بن زهر (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م) من اسرة اشتهرت بالفقه والادب وممارسة الطب وقد كان عبد الملك طبيب اسرة عبد المؤمن بن علي ومن اشهر مؤلفاته المطبوعة "كتاب التمييز في المداوة والتدبير ثم تولت بعدة هذه المهمة

(١) المراكشي المعجب، ص ١١٧-١١٨.

(٢) عنان، دولة الاسلام، ص ٦٨٩.

أخته أم عمرو بنت أبي مروان بن زهر (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) وأنها اختصت بنسائهم وأطفالهم وأبنائهم^(١).

ومن أطباء الذين نالوا الحظوة لدى خلفاء الدولة الموحدية محمد بن ربيعة الجذامي (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) كان طبيباً ماهراً موفقاً بالعلاج ومن كتبه في الطب "مناجاة الأطباء" وقد وضع للمنصور الموحي رجزاً عن الأدوية المركبة من خمسين دواء سماه "الهبة" وكان له مناظرات مع أطباء مراكش ظهر فيها تفوقه^(٢).

وأيضاً برع في الطب في هذا العصر الموحي أبو جعفر أحمد بن محمد القرطبي برع في الطب والنبات وتناول في أنحاء الأندلس وإفريقية وجمع منها أصنافاً عديدة من النباتات الطبية وقام بتصنيفها من الناحية العلمية ويسجلها بأسمائها العربية واللاتينية والبربرية ومن أهم مؤلفاته كتابه "الأدوية الفريدة" من أهم المراجع الطبية في عصره توفي سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م^(٣).

وفي علم النبات فقد كان في هذا العصر من أعظم النباتين والعشابين هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية وبالعشاب والنباتي درس الحديث على يد جماعة من أقطاب القصر مثل أبي بكر بن الجد وأبي عبد الله بن زرقون وغيرهم وتناول في طلب العلم وسماع الحديث حتى صار إماماً حافظاً ناقدًا ذاكرةً تاريخ المحدثين وأسابيعهم ومواليدهم ووفياتهم وتعديلهم وجرحهم ومال إلى علم النبات ودراسته وتمييزه وتصنيفه وتناول في ربوع الأندلس والمغرب وإفريقية وفي مصر والشام والحجاز فدرس الكثير من أصناف النباتات غير المعروفة. وله تصانيف

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٤٨٣.

(٢) ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص ٢٨٦؛ المنوني، الأدب والعلوم، ص ٩٢.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ص ٧١٢.

عديدة منها في الحديث والنبات ومن مصنفاته في النبات "الرحلة النباتية" والمستدركة وغيرها وتوفي سنة (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)^(١).

وبرز أيضاً في علم النبات في العصر الموحيدي ابو علي حسن بن احمد بن عمر البكري الاشبوني درس الحديث والادب ولكنه مهر في الطب والعلاج وفي تمييز النبات والعشب وفاق في ذلك اهل عصره وكان مولعاً بالشعر في الوقت نفسه توفي سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م^(٢).

وفي علم الرياضيات برز عبدالله بن محمد بن سهل من اهل غرناطة ودرس القراءات والحديث وبرع في العربية والاداب ولكنه مال الى العلوم الرياضية واخذها من بعض اصحاب ابي بكر بن الصائغ وتوفي سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م^(٣).

اما علم الفلك فمن اسباب اهتمام المسلمين بعلم الفلك هو معرفة اوقات الصلاة واختلافها بحسب المواقع واتجاه المسلمين الى الكعبة عند الصلاة اقتضى معرفة القبلة وايضاً لمعرفة رؤية الهلال الذي ارتبط بالصيام وابرز من عرف بهذا المجال الحسن بن علي بن خلف الاموي وفيه صنف كتاب "الانواء" وكتاب "اللؤلؤ المنظوم في معرفة النجوم"^(٤).

لقد امتاز العصر الموحيدي بالاندلس بظهور حركة فنية مستقلة تتمثل في بناء الصروح والمنشآت العظيمة التي اقيمت في هذا العصر وتميزت بخصائصها المعمارية والفنية الخاصة.

وكان من ابرز المهندسين الاندلسيين الذين اقترن اسمهم فيما بعد باعمال انشائية عظيمة الحاج يعيش المالقي. وظهرت رعاية الدولة الموحدية للفنون المعمارية

(١) المرجع نفسه، ص ٧١٥-٧١٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧١٤.

(٣) عنان، دولة الاسلام، ص ٧١٨.

(٤) ابن الابار، الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٦٤.

بالاخص مدينة اشبيلية عاصمة الاندلس خلال العصر الموحي والتي كانت مسرحاً لاعظم واجمل المنشآت العمرانية ومنها انشاء جامع اشبيلية الاعظم على يد الخليفة ابي يعقوب يوسف ثم ولده ابي يوسف يعقوب المنصور وكذلك عناية المنصور باقامة صومعته العظيمة واقام الموحدون عدد من المنشآت العمرانية بقرطبة من قصور وغيرها^(١).

وقد برز عدد من اعلام الهندسة والفن مثل العريف احمد بن باسه والمعلم ابو الليث الصقلي وغيرهم ممن اقترنت اسمائهم بالمنشآت العظيمة الذين تزعموا بالاندلس خلال العصر الموحي حركة فنية زاهرة^(٢).

ازدهر خلال العصر الموحي بالاندلس فن من الفنون الجميلة وهو فن كتابة المصاحف وتتميقها وزخرفتها ومن الذين نبغوا وتفننوا في هذا الفن محمد بن عبد الله بن سهيل الانصاري المعروف بابن غطوس فقد وهب ابن غطوس حياته لكتابه كتاب الله وبرع في تتميق المصاحف وزخرفتها براعة عظيمة جعلت الملوك والامراء يتنافسون في اقتنائها^(٣).

وايضاً محمد بن محمد بن يحيى بن حسين من اهل الجزيرة فقد كان ابرع اهل وقته في كتابة المصاحف توفي سنة ٦٣٠هـ^(٤). وهذا يدل على مدى ازدهار وقوة الحركة الثقافية والادبية والعمرانية في الاندلس خلال العصر الموحي، وهذا التوسع في نطاقات العلوم العقلية والنقلية ما جاء إلا نتيجة سياسة الحكام المسلمين التي جعلت من العلم البداية في الانطلاق نحو حياة مزدهرة تمكن الفرد الاندلسي من خلالها ممارسة حقه في التعليم والتعلم.

(١) عنان، دولة الاسلام، ص ٧٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٢٣.

(٣) عنان، دولة الاسلام، ص ٧٢٥.

(٤) المنوني، العلوم والاداب، ص ٤٤.

كان لروح التسامح الذي يشمل به الاسلام رعايا دولته من نصارى ويهود اثاره ومعطياته في جميع مجالات الحياة في الاندلس ومنها المجال العلمي والثقافي فقد اتيح لكافة الذميين ان ينهلوا من علوم المسلمين ومعارفهم وكان من مظاهر ذلك ما حصوله من دراية بالعربية ولغتها واساليبها أهلت بعضهم للكتابة والتألف والتصنيف وظهر منهم المترجمون والاطباء والمؤلفون، فقد اقبل معظم أهل الذمة على تعلم اللغة العربية، مما ادى الى التقارب بينهم وبين العرب المسلمون والامر الذي ساعد أهل الذمة يتعلمونها هو أن العرب في نشر لغتهم ساروا على نفس النهج الذي ساروا عليه في نشر دينهم، فلم يحاربوا العرب لغات البلاد الاصلية^(١).

ونظراً لاهتمام خلفاء الموحدين بالثقافة والسماح للأجناس المختلفة ومن بينها اليهود والنصارى بممارسة النشاط الثقافي^(٢).

تغلغلت الثقافة الى اوساط الجاليات اليهودية فنتج عنها ظهور العديد من الاطباء امثال اليهودي ابراهيم بن الفخار^(٣)، ويوسف بن سمعون الفاسي (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) الذي كان من يهود وعمل كطبيب في الدولة الموحدية وكان يجمع بين الطب الحكمة والعلوم الطبيعي^(٤).

وايضاً ظهر العديد من المنجمين والمفكرين ومن المفكرين اليهود الذين تمكنوا من الابداع والتألق فعرف الانتاج الفكري اليهودي ازهى عصوره اذ بدأوا يكتبون عن اثارهم الدينية واللغة العبرية وكتبوا عن الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب ووضعوا مؤلفاتهم باللغة العربية التي ساهمت في ازدهار الثقافة في العصر الموحدي^(٥).

(١) الخربوطلي، الاسلام واهل الذمة، ص ١١٤-١١٥.

(٢) عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص ١٤٠.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ج ١، ص ١٢.

(٤) جمال طه، مدينة فاس، ص ١٧٠.

(٥) الشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٢٥٦-٢٥٧.

وخاصة ان هذه المدة عرفت الترجمة واستنساخ الكتب التي سمح الخلفاء الموحدون باقتنائها من الخزانة العامة وخزانة الدولة إذ يقول ابن صاحب الصلاة "وكان من رأي الموحدين ان لا يجرا على الناس في تفكيرهم، لذلك ازدهرت الفلسفة وارتفعت رؤوس المفكرين"^(١).

وكان من اشهر كتاب اليهود المفكر (يهوذا) الذي الف كتاب عنوانه الحقيقة والالهيات في الدين اليهودي^(٢) وايضاً من الشخصيات اليهودية البارزة موسى بن ميمون الذي اشتهر بالطب والفلك والفلسفة^(٣).

ومن اهم مؤلفاته كتاب (المشنا) وسماه كتاب السراج الذي كتبه بالعربية فضلاً عن الكاتب اليهودي يوسف زبارا (٥٩٧هـ / ١٢٠٦م) صاحب كتاب البهجة والسرور^(٤).

ومن هنا يتضح ان الجاليات اليهودية في العصر الموحي كانت لها الحرية في ممارسة نشاطها الفكري.

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٥٠.

(٢) اشياخ، تاريخ الاندلس، ج ١، ص ٢٥٦.

(٣) القفطي، اخبار العلماء، ص ٢٣٩.

(٤) الخالدي، اليهود في الدولة العربية، ص ٢٥٨.

المبحث الثاني: الحقوق الدينية

الاسلام دين عالمي يتجه برسائلته الى البشرية كلها تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وترسى دعائم السلام في الارض وتدعوا الى التعايش السلمي بين البشر جميعاً في جو من التسامح والاخاء بين كل الناس بصرف النظر عن اجناسهم والوانهم ومعتقداتهم فالجميع ينحدرون من نفس واحدة^(١).

فالاديان السماوية جميعاً تعد في نظر الاسلام حلقات متصلة لرسالة واحدة جاء بها الانبياء والرسل من عند الله ورسله وما انزل عليهم من وحي الهي وفي هذا يقول القران الكريم ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ ﴾^(٢).

فقد أقر الاسلام منذ البداية التعددية الدينية والثقافية وان الحرية الدينية مكفولة للجميع وتعد مبدأ من المبادئ الاسلامية الذي اكده القران الكريم في قوله ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٣).

ان المسلمين لم يكرهوا احداً على الدخول في الاسلام. والحرية الدينية تعني حرية اختيار الانسان للعقيدة التي يؤمن بها من غير اجبار من أي مصدر من المصادر غير ذاته وضميره وتعني ايضاً حق الانسان أي يعتنق أي دين قال تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٤).

(١) زقزوق، التسامح في الاسلام، مجلة التسامح العدد ١، ٢٠٠٣، ص ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

ومقتضى هذه الحرية هو لا يفرض على أي انسان اعتناق دين معين من أي سلطة كانت ولو كان هذا الدين الرسمي للدولة ولا ان يكره على مباشرة شعائر دين ما او يشترك في طقوسه ومناسكه. وفي الدولة الاسلامية لا يعثر على حالة واحدة أجبر فيها الشخص على اعتناق الدين الاسلامي كرهاً فقد التزم المسلمون على مر العصور باحترام الحرية الدينية للجميع وحافظوا عليه وتمسكوا بها حتى في تعاملهم مع البلاد والدول التي خضعت لسيطرتهم ونفوذهم^(١).

والحرية الدينية مكفولة للمرأة مثلما هي مكفولة للرجل وقد اباح الاسلام للمرأة اليهودية او النصرانية ان تبقى على دينها وهي زوجة المسلم وام اولاده قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ^ف وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢﴾

واحتراماً لحرية المرأة المسلمة في العقيدة حرم الاسلام زواج المسلمة من رجل من اهل الكتاب لأنه قد يتناولها بالتجريح والاساءة لدينها فهو لا يؤمن به بل هو كافر به وهذا لا ينطبق على زواج مسلم من كتابيه لأنه يؤمن بدينها كما يؤمن بدينه^(٣).

ففي ظل الدعوتين المrabطية والموحدية حرص ولاية الامر على تطبيق احكام الدين وتنفيذ تعاليمه بين افراد المجتمع والتشدد في اقامة الشعائر الدينية من صلاة وزكاة وغير ذلك وكان ذلك استجابة طبيعية لقيام الدولتين على اسس دينية وقد عمل

(١) زقروق، التسامح في الاسلام، مجلة التسامح، العدد ١، ٢٠٠٣، ص ١١.

(٢) سورة المائدة، الاية ٥.

(٣) الجراري، مجلة التسامح، العدد ١، ٢٠٠٣، ص ٣٤.

امراء المرابطين وخلفاء الموحدين على متابعة تنفيذ احكام الدين ومؤاخذة المتخلفين بالعقاب الذي يصل الى حد القتل^(١).

ان الدولة المرابطية قائمة على اسس دينية محض وتبنوا المذهب المالكي^(٢) فقهاً وسلوكاً وعقيدة وتشدد حكام الدولة المرابطية على وحدة المذهب المالكي مثل رسالة تاشفين بن علي الى واليه في بلنسية ابي زكريا يحيى التي يحثه فيها على ضرورة التمسك بالمذهب المالكي والتصدي لما سواه والالتزام بفتاوى المذهب المالكي مما ورد فيها "واعلموا رحمكم الله ان مدار الفتيا ومجرى الاحكام والشورى في الحضر والبدو على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الاقتصار على مذهب الامام ابي عبد الله مالك بن انس فلا عدول لقاضي ولا مفت عن مذهبه ولا يأخذ في مجال تحليل ولا تحريم الا به ومن حاد عنه رأيه بفتواه ومال من الائمة الى سواه فقد ركب رأسه واتبع هواه"^(٣).

ان المذهب المالكي كان الاكثر شيوعاً في الاندلس في العصر المرابطي باعتبار ابن ياسين مالكي المذهب والامراء الذين بعد ابن ياسين كانوا يتخذون من مذهب الامام مالك واحكامه مصدراً لتشريعاتهم^(٤).

وكان عبد الله بن ياسين محارباً للبدع والخرافات التي اصابته الدين الاسلامي فقد تشدد في تطبيق احكام الدين فقد أمر عبد الله بن ياسين في حالة دخول فرد الى الاسلام يجب ان يطهر من ذنوبه السابقة وذلك بافتراض انه ارتكبها فيقام عليه حد

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج٢، ص١٥.

(٢) نسبة الى الامام مالك ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر بن عمر بن حارث بن غيمان ولد سنة ٩٣هـ وينتمي نسبه من جهة ابيه الى ملوك حمير طلب العلم وهو صغير ولديه كتاب الموطأ ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص٣.

(٣) مؤنس، نصوص سياسية، ص٢٠.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج٤، ص١٦.

الزنا او السرقة وحد شارب الخمر والافتراء وفي حالة اعترف انه قتل احداً يقتل دون منازع^(١).

وكان عبد الله بن ياسين حريصاً على الشعائر الدينية وفي مقدمتها شعيرة الصلاة باعتبارها عمود الدين وواحدة من الاركان التي يجب ان لا يتخلى عنها الفرد ومن تخلف عنها ضرب بعشرون سوطاً^(٢).

وقد التزم حكام الدولة المرابطية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان هذا ظاهراً في محاربتهم للمنكرات فضيقوا على اهلها في ملاهيهم وحاربوا كل العقائد الضالة^(٣).

ومن المشاكل الدينية في الدولة المرابطية هي التعصب الكبير لمذهب الامام مالك بن انس وتحريم دخول وانتشار أي مذهب اخر ففي عهد علي بن يوسف نجد انه قرب منه العلماء الذين هم على علم بالمذهب المالكي وفروعه ونرد على كل من لم يعرف المذهب المالكي وفي عهده احرق كتاب الاحياء للغزالي^(٤).

وقد بدأ الصراع في أوجه عندما انتقد ابو حامد الغزالي في كتابه احياء علوم الدين وضع الفقهاء ومكانتهم المادية والادبية كما نهى عن مخالطة السلاطين وعدم استخدام علمهم كوسيلة لتسيير غيرهم حسب مصالحهم الخاصة بل يجب تغيير المجتمع نحو الافضل وليس مساندة السلاطين واصدار فتاوى تتماشى مع مصالحهم الشخصية^(٥) مما ادى بالفقهاء للتحريض من اجل حرق كتاب الاحياء للغزالي^(٦).

(١) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٨٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ١٨.

(٣) الصلابي، صفحات مشرقة، ص ٤٧٦.

(٤) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤٨٦.

(٥) الغزالي، الحلال والحرام، ص ٨٣.

(٦) المرجع نفسه، ص ٦٧.

اما الدولة الموحدية فكانت متشددة في تطبيق احكام الدين وكان التشدد لمن انظم الى الدعوة فعلا وبايعه اذا اشترط على اتباعه السمع والطاعة وتنفيذ اوامره ومن لم يستجب عوقب فأن تمادى يقتل^(١) كان الغرض من هذا التشدد ضمان استقامة الدعوة وجعل اتباعها قدوة لغيرهم في تنفيذ اوامر الدين.

فالخليفة عبد المؤمن كان معظماً للدين وسندا قويا في تنفيذ احكامه وتعاليمه^(٢) وكان يلزم اتباعه بترك اللهو والهزل والاهتمام بعلوم الدين وتطبيق احكامه^(٣).

كذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يهتم اهتماماً كبيراً بالدين واحكامه ويحرص على اقامة الشعائر الدينية^(٤).

وقد اهتم حكام المسلمون في الاندلس في العصر المرابطي بمختلف الشعائر والعبادات وجدنا ان اقامة الصلاة وتأديتها تحتل ركناً اساسياً في اهتمامهم فكان يحرصون على اداة الصلاة في اوقاتها^(٥) وكان ابن ياسين يجمع اتباعه في كل صلاة وذلك لجهلهم بأركان الصلاة وكان يجمعهم حتى تصح صلاتهم^(٦).

كذلك حرص حكام الدولة الموحدية على اقامة الشعائر الدينية وفي مقدمتها الصلاة لانها ركن من اركان الاسلام فقد الزم ابن تومرت اتباعه بتأدية الصلوات الخمسة في اوقاتها ونهاهم عن تأخيرها^(٧).

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٩.

(٢) النويري، نهاية الارب، ج ٢٢، ص ٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٨٢.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج ٤، ص ١٦.

(٦) عياض، ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٥٣٤.

(٧) ابن القطان، نظام الجمان، ص ١٢٦-١٢٧.

واتبع الخليفة عبد المؤمن سياسة التشدد في الزام الرعية باقامة الصلاة وكان هذا الحرص من الخليفة في السلم والحرب^(١).

اما الخليفة المنصور الموحي فأنه بجانب تشدده في اقامة الصلاة فأنه كان يتولى اقامة الصلوات الخمس بنفسه واستمر على ذلك عدة اشهر^(٢).

اما الزكاة فهي ركن من اركان الدين فقد بينها ابن ياسين لاتباعه وحدد مقاديرها وفقا لاحكام الشرع وقضى على كل المغارم والاموال التي كانت تخالف احكام الدين^(٣).

كذلك ابن تومرت كان حريصاً على اتباع الشرع في الزكاة ففرض زكاة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم^(٤) وقد سار الخلفاء الموحيين على سياسة ابن تومرت في الاهتمام بالزكاة والحرص عليها.

وقد بذل ولاة الامر جهودهم في دفع الشعب الاندلسي الالتزام باحكام الدين وتأدية فرائضه فأنهم لم يتخاذلوا في محاربة أي منكر تظهر بوادره في المجتمع ومن ذلك محاربتهم للخمر واقامة الحد على شاربها ففي عصر المرابطين هناك مساع حثيثة من قبل السلطة المرابطية استهدفت القضاء عليها من خلال جملة من التدابير فعملت على اراقتها وكسر القذور المخصصة لحفظها واقامة الحد على شاربها^(٥).

اما في عصر الموحيين في حرص ابن تومرت في دروسه التي القاها على تلاميذه ان يخصص اجزاء في تحريم شرب الخمر وصفات الخمر المحرم وغير ذلك

(١) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤٧٠.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٥.

(٣) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ج ٢، ص ١٥.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٢٧.

(٥) بن خيرة، معاقرة الخمر، ص ١٤٦.

ما يتعلق بالخمير وكذلك الخليفة عبد المؤمن فقد قام بمهاجمة اماكن الخمير وتدميرها وقتل شاربيها وبائعها^(١).

وكان الخليفة المنصور الموحي ينفذ حكم الاعداء في شاربي الخمير^(٢) وهذا يدل على مدى الالتزام بالشرع وتطبيق احكام الدين والقضاء على الافات التي تضر بالدين ومما يؤكد مكانة الحرية الدينية في الاندلس هو الاهتمام ببيوت العبادة المتمثلة بالمساجد ويعد المسجد اهم مركز تعليمي اسلامي وهو مكان رئيسي للحياة العلمية والدينية في أي مجتمع فأول عمل قام به الرسول محمد (ص) بعد هجرته بناء مسجد ليكون رمزاً للسلام فكان حقاً مركز اشعاع ديني تقام فيه الصلوات وتخطب به الخطب وهو محكمة للتقاضي والاصلاح بين الناس وان المسلمين اقتدوا بعد عصر النبوة بنبيهم في اعطاء المسجد هذه المكانة فتجدهم في عصر الفتوحات اذا فتحوا بلداً اتخذوا فيه مسجداً وكذلك اذ اختطوا مرتبة جديدة كان المسجد اول ما يشرعون في انجازه^(٣).

لقد اعتنى المرابطون بالمساجد عناية كبيرة منذ قيام دولتهم وقد اخذوا يشجعون على بناء المساجد في المدن المفتوحة ووصل الامر في بعض الاحيان الى معاقبة اهل المدينة التي لم تشجع على بناء المساجد فيها وهذا ما حدث في مدينة فاس عندما دخلها المرابطون عام (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) فقد فرضوا على اهلها بناء المساجد في ازقتها وشوارعها واي زقاق لا يوجد فيه مسجد عوقب اهله وأمروا ببناء مسجد فيه^(٤).

وتنافس اهل الخير في تقليد قادتهم في بناء المساجد فانتشرت هذه الروح الدينية في طول البلاد وعرضها وهذا الاهتمام بالمسجد يتناسب مع رسالة دولة

(١) حسن، الحضارة الاسلامية، ص٤٧٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦، ص١١.

(٣) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص٢١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤١-١٤٢.

المرابطين التي تسعى لرفع لواء الاسلام عالياً ولذلك طغت العمارة المدنية في عهد المرابطين حتى ان مؤرخي الفن دهشوا لقلة القصور بالنسبة للمساجد^(١).

وامتازت المساجد المرابطية بشكل عام بضخامتها وارتكاز سقفها المسنمة على دعائم قاعدتها مستطيلة^(٢).

اما الموحدون فقد اهتموا بالمساجد وبنائها لكونها مكان للعبادة والصلاة فقد انتشرت المساجد في عصر الموحدين وامر الخليفة عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلاده^(٣).

وقام الخليفة ابو يعقوب يوسف بناء جامع الموحدين في اشبيلية الى جوار المسجد الجامع السابق وقد بلغ الموحدين في اشبيلية حداً كبيراً من الاتساع والعظمة^(٤).

كذلك كان المسلمون في الاندلس يتمتعون بحرية دينية كبيرة في ممارسة الشعائر الدينية ومنها الاعياد والاحتفالات الدينية ومن الاحتفالات التي ذات طابع ديني هي الاعياد فكان للمسلمين حرية كاملة في الاحتفال بهذه الاعياد وتتوعد الاحتفالات التي كانت تقام في المدن المرابطية باختلاف المناسبات فيحتفل بالمولد النبوي الشريف في الثاني عشر من ربيع الاول من كل سنة ويعد عيداً من اعياد المسلمين وموسماً من مواسمهم ولابداء الفرحة بمولده يتم ايقاد الشموع والتزيين بما حسن من الثياب ويتم تحضير مختلفة الاطعمة لتوزع على الاطفال والتصدق بها^(٥).

(١) محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤٤٢-٤٥٢.

(٢) مورينمو، الفن الاسلامي، ص ٣٣٨.

(٣) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٥٤.

(٤) عيسى، تاريخ التعليم، ص ٤٨٧.

(٥) الونشريسي، المعيار، ج ١١، ص ٢٧٩.

ويتم الاحتفال باجتماع الناس احياءاً لمولدة وذكر محاسنه والصلاة عليه وانه يحرم استعمال الهه اللهو عند الاجتماع في تلك الليلة وقد استحسن بعض الفقهاء عدم صوم هذا اليوم لأنه يوم فرح وسرور^(١).

ويحتفل المسلمون في الاندلس ايضاً بالعيدين عيد الفطر وعيد الاضحى كما يحتفل بهما في سائر انحاء العالم الاسلامي وهي من الاعياد الدينية التي يحتفل بها بنوع من الابهة والعظمة فتوقد الانوار في جميع المدن وتتعالى اصوات المصلين والتكبير والتهليل ويقدم الناس على لبس الثياب الجديدة ويتجملون ويتزينون للظهور في أحسن مظهر^(٢).

ومن المناسبات الدينية التي يحتفل بها المسلمون في العصر المرابطي صلاة الجمعة وشهر رمضان الذي يحظى بمكانه خاصة لدى المرابطين فكان لقُدوم هذا الشهر معنى خاص أذ تبدأ الاحتفالات به منذ رؤية الهلال فيتم ايقاد النار في تلك الليلة ويظهرونها من قرية الى اخرى اثباتاً لرؤيته^(٣).

ويحتفل المرابطون بهذا الشهر الفضيل كغيرهم من دول العالم الاسلامي بقراءة القرآن والادعية وعقد حلقات دينية في المساجد^(٤).

ومن الاحتفالات الدينية في العصر الموحي التي ارتبطت بالمناسبات الدينية المتكررة كالصلاة الجمع والاعياد وقد كان لخلفاء الموحدين احتفال خاص بصلاة الجمعة إذ يخرجون في موكب من كبار رجال الدولة قاصدين المسجد وهناك تبدأ الشعائر الدينية من قراءة القرآن واذان المؤذنين ثم خطب الجمعة وبعد الفراغ من الصلاة يعود الخليفة في موكبه راجعاً الى قصره^(٥).

(١) الونشريسي، المعيار، ج ١١، ص ٢٧٩.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٩٣.

(٣) الونشريسي، المعيار، ج ١١، ص ٤١٢.

(٤) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤٢٤.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٣٤٣.

وكان لشهر رمضان مكانة خاصة إذ يحتفل به الشعب في كل مكان بإقامة
الاذكار وقراءة القرآن وتأدية الصلوات بالمساجد والحلقات الدينية^(١).

وكذلك يحتفل الموحدون بالعيدين الفطر والاضحى التي تعد من الاعياد الدينية
عند المسلمين يحتفلون بها بكامل الحرية فكان الخليفة يخرج لتأدية صلاة العيد في
موكب من كبار رجال الدولة لتحية الخليفة وتهنئته ويدعو لهم ثم يذبح كبش بين يديه
في عيد الاضحى وفي اليوم التالي يجلس الخليفة في قصره وتأتيه الوفود وفي مقدمتها
اشياخ الموحدون وطلبة والفقهاء والكتاب لتهنئة بالعيد^(٢).

عندما قام المسلمون بنشر الدين الاسلامي في بلاد الاندلس هند الفتح الاسلامي
في رحلة دينية كبرى كان الهدف منها نشر هذا الدين وشرح العقيدة الاسلامية لتكون
واضحة امام اهل البلاد الاصليين في الاندلس فمن شاء منهم دخل في دين الله وله
حقوق المسلمين كافة ومن شاء منهم البقاء على دينه بقي عليه عملا لقوله تعالى ﴿لَا
إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾^(٣).

وبعد الفتح الاسلامي لبلاد الاندلس تدفق سكان البلاد الاصليين يدخلون في
دين الاسلام افواجا لما ألقوا من الفاتحين من حسن المعاملة وسمو الاخلاق ولما في
الاسلام من سماحة ساعدتهم على تحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية^(٤).

فقد عامل المسلمون النصارى معاملة حسنة فقد ضمنوا لهم التنظيمات الدينية
المتعارف عليها فيما بينهم إذ كان للنصارى ثلاث مطرافيات وعدد من الكنائس
والاسقفيات والاديرة الهامة مثل دير سان خوان الذي يعد من اهم الاديرة في
الاندلس^(٥).

(١) حسن، الحضارة الاسلامية، ص ٤١٩.

(٢) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص ٤٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) ادوار بروى، تاريخ الحضارة، ج ٣، ص ١٨.

(٥) الضبي، بغية الملتبس، ج ٢، ص ٥٦٦.

ومن الجدير بالذكر منذ بدايات الفتح الاسلامي لاندلس اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم من اهل البلاد الاصليين كالنصارى واليهود بالتسامح لهذه الاقليات في احترام الحكام المسلمين للنصارى وغيرهم في المعاملات فلم يتدخل الحكام المسلمون في شيء من عقائدهم وترك لهم حرية العيش في مدنهم هذه السياسة التي اتخذها المسلمون اتجاه النصارى عاملاً مهماً في اجتذابهم الى الاسلام والاقتناع به ولم يحاول المسلمون ارغام الناس على دخول الاسلام^(١).

وقد ترك المسلمون للنصارى كنائسهم وسمح لهم بممارسة شعائهم وطقوسهم الدينية بكل حرية وسمح لهم بقرع النواقيس للصلاة رغم ما تسببه من اذى لاسماع المسلمين ولقد ذكر ابن حزم الاندلسي بقوله:

اتيني وهلال الجو مطلع

قبيل قرع النصارى للنواقيس^(٢)

ويعد بناء الكنائس والاديرة من مظاهر التسامح والمساواة والعدالة من قبل المسلمين اتجاه النصارى واحترام المسلمين لمعتقداتهم والحرية الدينية للنصارى^(٣).

فلم يتدخل المسلمون في عقائد النصارى ولا شعائهم الدينية كما كان تنصيب رجال دينهم من شأنهم وحدهم وكذلك عقد المجامع الدينية ولم يرغم المسلمون النصارى على الدخول في الاسلام ولم يتعرض النصارى للضغوط الدينية ولم تكن هناك رغبة بتحويلهم الى الاسلام قسراً^(٤).

كانت ارض الاندلس ارض التعايش والتسامح وبلاد الحريات وكانت نموذجاً لاقرار الاختلاف فقد اتبع المسلمون مبدأ حرية المعتقد الذي دعا اليه الاسلام فاتسمت

(١) الحجي، اندلسيات، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣٣.

(٣) لطفي، الاسلام في اسبانيا، ص ٢٧.

(٤) عبادة، تاريخ النصارى، ص ١٤٤.

بيئة الاندلس بالتنوع والتعدد وتشكلت من اجناس واعراف صهرها الاسلام في بوتفته غير مفرق بين سكانها الاصليين وبين مسيحيين من اهل قوطي اوروماني والوافدين اليها من عرب وبربر ويهود^(١).

استوعبت الدولة المرابطية جميع السكان الذين عاشوا على ارضها الى جانب المسلمين واتصف حكام هذه الدولة بروح التسامح والمساواة بين الرعايا فاعطوهم الحقوق الكاملة التي اقرتها الشريعة^(٢).

لقد تشدد المرابطون ازاء النصارى بعد ان اقدم يوسف بن تاشفين على تهديد كنيسة البيرة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م بعد استفتاء الفقهاء إذ صارت الكنيسة قاعاً^(٣).

ولم يكتف الفقهاء باصدار احكام هدم الكنائس فحسب بل اكدوا على عدم السماح للنصارى ببناء كنائس جديدة في مدن المسلمين على اساس ان اراضي الاندلس التي يقيم فيها المسيحيون اراضي عنويه لذلك لم يسمحوا لهم ببنائها حسب مقتضيات التشريع المالكي^(٤).

وبالرغم مما اتصف به العهد المرابطي من تشدد ازاء اهل الذمة الا ان هناك دلائل تؤكد عدم تعرض جل الكنائس الى الهدم فمن خلال تتبعنا للمصادر الجغرافية وبعض رسائل الحسبة المعاصرة لمدة الدراسة يتضح لنا انتشار الكنائس في ارجاء الاندلس ومنها كنيسة الغراب الواقعة في النتوء الخارج في البحر المحيط والتي يعود تاريخ بنائها الى العصور القديمة وظلت قائمة الى ايام الادريسي وهذا ما يتوضح من قوله "وهذه الكنيسة من عهد الروم الى اليوم لم تتغير عن حالها"^(٥).

(١) الجراي، التسامح الديني، ص ٤١.

(٢) حسن، ايمان، حسن، التعايش السلمي، ص ١٣.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ٢١.

(٤) الونشريسي، المعيار، ج ٢، ص ٢٤٠.

(٥) الادريسي، صفة المغرب، ص ١٨٠.

الى جانب كنيسة الغراب كانت هناك كنائس اخرى ومنها كنيسة اشبيلية التي تحدث عنها ابن عبدون في رسالته^(١) ووجدت كنيسة صغيرة في مدينة بجاية يؤمها المستعربون القاطنين في تلك المدينة^(٢).

ولعل ما يؤكد عدم تعرض جل الكنائس الى الهدم في العصر المرابطي ان البعض منها ظل موجوداً الى القرن الثامن الهجري ككنيسة قرطبة التي كانت تحظى بالتقديس لدى النصارى^(٣).

فضلاً عن وجود كنائس اخرى في باقي المدن الاندلسي ككنيسة مدينة لورقة بحومة الجبل^(٤) وكنيسة مشهورة بمدينة أونية^(٥).

وان الامراء المرابطين لم يمنعوا النصارى من القيام بشعائهم الدينية شريطة ان يمنعوا من ضرب النواقيس^(٦).

وسمحوا لهم بتنظيم الاحتفالات الخاصة بهم وكانت تلك الاحتفالات بادية للعيان حتى ان بعض المسلمين المتعودين على بساطة الشعائر الاسلامية كانوا يدهشون ازاء ما كانوا يشاهدونه من احتفالات النصارى بالمناسبات الدينية ومواكبهم فيها^(٧).

وهذا ما منع ابن عبدون الى منع المسلمين من مصاحبة صديقاتهن المسيحيات الى الكنائس للفرجة على تلك الاحتفالات التي يقيمونها ايام الاعياد^(٨).

(١) ابن عبدون، رسالة في اداب الحسب، ص ٤٨.

(٢) سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ١٢٦.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٢٠.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٦) الونشريسي، المعيار، ج ٢، ص ٢١٥.

(٧) المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٢٥-٥٢٦.

(٨) ابن عبدون، رسالة في اداب الحسبة، ص ٤٨.

ونظراً للتسامح الديني حاول رجال الحسبة تنظيم العلاقات الموجودة بين معتنقي الديانة المسيحية واماكن عبادتهم حفاظاً على عدم تفشي بعض الظواهر الاخلاقية فشدد على منع المسيحيات من التردد على الكنائس في سائر الايام ماعدا ايام المناسبات والاعياد لتفشي ظاهرة الزنا بين المترددات على الكنائس والقسيسين^(١) وهذا من اجل الحفاظ على الطابع الاخلاقي العام.

ونظراً للتسامح الديني معهم سمح للنصارى بالخروج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء^(٢) وخصصت لهم الدولة المرابطية مقابر خاصة لهم تماشياً مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم وتعرف هذه المقابر باسم مقابر الذميين^(٣).

وقد تمتع المسيحيون في القواعد الرئيسية في قرطبة باستقلال ذاتي ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة على يد قضاتهم وتحت مسؤولية قواميسهم^(٤).

وقد عامل اهل الذمة في عهد الامير علي بن يوسف وفقاً لتعاليم كتاب الله والسنة وكانت لهم مكانة عند الامير علي بن يوسف وقد سمح لهم بتشييد الكنائس في المناطق التي ينزلون بها كما سمح لهم باقامة شعائرهم الدينية^(٥).

وقد تمتع النصارى بالحرية في الاحتفال باعيادهم من دون مراقبة ولا تضيق من السلطة المرابطية بل تم التساهل في حضور المسلمين وتفرجهم على مظاهر الاحتفال ومشاركة المسلمين الاحتفال بالاعياد الدينية وتبادل الهدايا بين المسلمين والنصارى^(٦). وقد اهتم النصارى في الاحتفال بعدة اعياد حاولوا من خلالها ابراز مظاهر الفرح والسعادة وهذه الاعياد :

(١) ابن عبدون، رسالة في اداب الحسبة، ص ٤٨.

(٢) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص ٧٢.

(٣) ابن الجوزية، احكام اهل الذمة، ج ٢، ص ١٥٨.

(٤) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ١٠٦.

(٥) ايمان، عبد الرحمن، التعايش السلمي، ص ٢٠.

(٦) الامين، النصارى واليهود، ص ١٠٦.

١- عيد الميلاد: وهو يوم ولادة السيد المسيح (ع) يحتفل به النصارى ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر وهو من الاعياد المعظمة عندهم وتتواصل الاحتفالات به لمدة ثمانية ايام ويتبادلون فيه الهدايا وخاصة المأكولات المختلفة والحلوى^(١) وتخرج فيه النساء الى الكنائس لابسات الحرير المذهب ومتنقيات بالنقبة الملونة، ومنتحلات الاخفاف المذهبة كما يكثر النصارى فيه من ايقاد النيران، وشراء الشموع، وطهي الطعام^(٢) وهذا يبرز اهمية هذا العيد وقداسته عندهم.

٢- عيد النيروز أو رأس السنة الميلادية: يصادف هذا العيد مع بداية السنة الميلادية الجديدة وكان من عادات النصارى فيه انهم يشترون بعض اللوازم للاحتفال به كالحنا واللحم^(٣) كما كانوا يضعون بهذه المناسبة حلوى وفواكه ذات اشكال واصناف يتباهون في اعدادها وتوزيعها على الاطفال لإدخال السرور عليهم وللترفيه على انفسهم^(٤).

وكان لهذا العيد مكانة كبيرة عند نصارى الاندلس إذ يتبادلون فيه الهدايا من الاطعمة وانواع التحف ويقومون بترك اعمالهم^(٥).

ولم يكن لهذا العيد ان يمر من دون اهتمام المسلمين وذلك بتمثيله واستشعاره فقد خلد الشاعر ابن عمار عندما اهدى الى المعتمد بن عباد ثوب صوف بحري يوم نيروز وكتبه معه:

لما رأيت الناس يحتشدون في اتحاف يومك جئته من بابه

(١) قادي، عبيد، الاعياد والاحتفالات، ص ٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٣.

(٣) الزجالي، امثال العوام، ص ٢٣٨.

(٤) دندش، الحضارة الاسلامية، ص ١٨٤-١٨٥.

(٥) الونشريسي، المعيار، ج ١١، ص ١٥٠.

فبعثت الثمن شبه آياتها وكسوت متن البحر بعض ثيابه^(١).

لم يكن المسلمون يشاركون النصارى اعيادهم فقط بل كانوا يستعدون قبل قدوم العيد من اجل الاحتفال وذلك بشرائهم لبعض الحاجيات اللازمة لذلك وهذه ابيات للشاعر ابي عبد الله محمد بن مسعود تحدث فيها عن مدى الاستعداد للاحتفال بعيد نيروز إذ يقول:

ابا القاسم اسمع من عبدك طرفة ابثكها فأذن لها تلح الاذنا
دنت ليلة النيروز منا ولم تكن لترضى لنا فيها من العيش بالادنى
وقالت خجولي سرالى السوق واحتفل ولا تبقي فيها من جراديقها فنا
وقف بابن نصر واحشون ثم قفه من اطراف ما يحويه كي تذهب الشجنا
وجز بالفتى الجزار واختره هابلاً بقد ابن فتوي ابي بكر المفتى
ولا بد من اترجه صعترية واياك ان تنسى التوابل والحناء^(٢)

٣- عيد العنصرة: وهو من الاعياد المهمة في الاندلس ويسميه الاندلسيون المهرجان أو عيد القديس يوحنا Sanjuan^(٣) ويصادف يوم الرابع والعشرين من حزيران ويمثل ولادة يحيى بن زكريا (ع)^(٤) وقد تأثر المسلمون بهذا العيد حتى أخذوا يأرخون به فقد ذكر المقرئ^(٥) ان زرياب المغني اقترح ان يكون هذا اليوم بداية لبس البياض في الاندلس وخلعهم للملون، ويستمر لبس البياض لمدة ثلاث اشهر ثم يتم الرجوع بعد ذلك الى الملابس الملونة لبقية السنة.

(١) ابن الابار، الحلة السراء، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) ابن بسم، الذخيرة، ج ١، ص ٣٥١.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ١٢٨.

(٤) ابن خاكان، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٥) المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، ص ١٢٨.

فضلاً عن ذلك فقد شارك المسلمون اخوانهم النصارى في الاحتفالات بهذا العيد، إذ كان الاطفال يرشون الناس بالماء في الاسواق والشوارع مما ينتج عنه تزليق الطرق يوم المهرجان مما دفع الجرسىقي^(١) الى المطالبة بمنع ما يفعله السفلة والصبيان من الرش بالماء في الاسواق والشوارع، وتزليق الطرق يوم المهرجان والنهي عن اللعب بالمقارع والعصي في الطرقات حتى لا يتأذى المارة.

وقد احتفلت النساء المسلمات بهذا العيد وكانت لهن طقوس خاصة للاحتفال من خلال رش بيوتهن بالماء، والاغتسال والتعطر بأنواع من النباتات في يوم العنصرة وبذلك يقول العزفي^(٢) (اياكم، يا معشر النساء، لا ترششن بيوتكن بالماء يوم العنصرة، ولا تلقين في ثيابكن ورق الاكربت، ولا تغتسلن في ذلك اليوم من جنابة، فمن فعل ذلك منكن، فقد شرك في دم يحيى بن زكريا (صلى الله عليه وسلم).

كذلك عبر المحتسبين عن انزعاجهم عن مشاركة المسلمات صديقاتهن المسيحيات في هذه الاعياد وذهابهن معهن الى الكنائس فطالب ابن عبدون^(٣) بأن تمنع (النساء المسلمات من دخول الكنائس المشنوعة فان القيسيين فسقة زناة لوطية).

٤- عيد الفصح: وهو العيد الكبير عند النصارى يحتفلون فيه يوم الفطر من صومهم الاكبر الذي يستمر اثنين واربعين يوماً وأساسه حسب اعتقاد النصارى ان المسيح (ع) قام فيه بعد الموت والصلب بثلاث ايام، وخلص آدم من الجحيم، ثم اقام في الارض يوماً آخرها يوم الخميس إلى أن صعد الى السماء^(٤).

ومن عاداتهم في هذا العيد خروج النساء وشراء الخمر والتهاذي بالبيض واللبن ولحم الغنم وذلك لان صومهم هو عن الحيوان وما يخرج منه^(٥).

(١) الجرسىقي، رسالة في الحسبة، ص ١٢٤.

(٢) العزفي، الدر المنظم، ص ٣٠.

(٣) ابن عبدون، رسالة في القضاء، ص ١٤٨.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤١٥-٤١٦.

(٥) ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج ٢٥، ص ١٧٢.

٥- عيد خميس العهد: مواعده قبل عيد الفصح بثلاث ايام، ويعتقد النصارى ان المسيح (ع) غسل ارجل تلاميذه، ليعلمهم التواضع، وأخذ عليهم العهد بعدم الفرقة لذلك اطلق عليه خميس العهد، ويسمى ايضا هذا العيد خميس العدس ويسميه اهل الشام خميس الأرز وخميس البيض لانهم يطبخون فيه العدس المصفى على اللون^(١) ويسمى هذا العيد في الاندلس بخميس ابريل وكان الاندلسيون يحتفلون بهذا العيد بشراء المعجنات وهي الفطائر المحشوة بالجبن تشبه الزلابية المعروفة بمصر^(٢).

٦- عيد العصير: وهو من الاعياد الموسمية التي يحتفل بها النصارى، وكان وقته في الخريف عند جني العنب إذ يخرج الناس مع اولادهم وعائلاتهم الى الحقول والبساتين القريبة، وقد ارتدوا احسن واجمل ما عندهم من الملابس والحلي، ويصحبون معهم اصناف المأكولات^(٣).

اما اليهود فقد عاش اليهود في الاندلس كغيرهم من فئات المجتمع وتمتعوا بالحقوق التي اقرها عقد الذمة وهي حقوق لم يتمتعوا بها خلال الحكم القوطي لاندلس إذ ازدهرت المجتمعات اليهودية بحكم طبيعة السلطة الاسلامية المتسامحة فكانت لهم بيعهم ورجالات دينهم ومحاكمهم الخاصة وقد تمتع اليهود بالحرية في ممارسة شعائرهم الدينية فكانوا محترمين وفق الضوابط التي اقرت في اطار عقد الذمة بين المسلمين واهل الذمة (يهود والنصارى)^(٤).

(١) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٤٤٥، القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤١٧.

(٢) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين، ص ٣٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٨٩.

(٤) الزعفراني، يهود الاندلس، ج ٢، ص ٣٦٢.

ومن مظاهر الحرية للدولة المرابطية انشاء المراكز اليهودية لاسيما في عهد علي بن يوسف ومن الدلائل التي تشير الى تمتع اليهود بحرية العقيدة والفكر في ظل الحكم المرابطي ظهور العديد من المفكرين والعلماء الذين طوروا الثقافة اليهودية^(١).

فكانت لهم اعياد ومناسبات يحتفلون بها ولهم طقوس معينة للاحتفال بهذه الاعياد والمناسبات وقد سمحت السلطة الاسلامية لهم بممارسة كل الطقوس والشعائر اللازمة في الاحتفالات في جو تسوده الحرية والتسامح وكان من عادات اليهود في الاندلس ان يحيون اعيادهم ويؤدون جميع طقوسها داخل البيوت والمعابد، ويصحبون اولادهم الى المعابد، ويجتمعون على موائد الطعام داخل بيوتهم وعلى الولائم في بعض بيوت اثريائهم، وفي مثل هذه المناسبات كان المضيف يستأجر طباًخاً معروفاً بمهارته وخبرته الطويلة وكان هذا الطباخ يقدم الفواكه للضيوف ثم يليها الحمام المطبوخ بالخل، وتلك وجبة راقية تنتهي الوجبة بالحلويات، ثم يضع الخادم الفاكهة على طاولات صغيرة مستديرة^(٢) ومن ابرز الاعياد التي كانوا يحتفلون بها اليهود في الاندلس:

١- عيد رأس السنة اليهودية (روش هاشاناه) يحتفل اليهود بهذا العيد في الاول من شهر تشرين وان اليهود يحتفلون بهذا العيد بذكرى افتداء اسماعيل بعد أن أمر الله (سبحانه وتعالى) ابراهيم (ع) بذبحه^(٣).

وكان اليهود يتحللون بهذه المناسبة من النذور ويصلحون ذات البين ويكفرون عن ذنوب العام الذي انقضى والاعلان عن الندم والاستغفار والافطار بعد الصوم^(٤).

٢- عيد المظلة: يحتفل اليهود بهذا العيد في الخامس والعشرين من شهر تشرين ويستمر سبعة ايام وخلال تلك الايام يجلس اليهود تحت ظلال سعف النخيل

(١) الامين، النصارى واليهود، ص ١٣.

(٢) الخالدي، اليهود في الاندلس، ص ٢٨٦.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ٤٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

الاخضر واغصان الزيتون احياء لذكرى التيه المأثور في صحراء سيناء التي قضى خلالها اليهود تحت مظال الصحراء منذ الخروج حتى مشارف فلسطين^(١).

وكان اليهود في الاندلس ينصبون المظلة بعد صوم يوم الغفران وينتهي هذا العيد بـ (سمحت تورة) (فرحة التوراة) وتصادف اليوم التاسع من الاحتفال، إذ تزيين اماكن العبادة بالأضواء ويطوف المصلون حول (المقرة) وهو تابوت وسط البيعة، يرقصون حاملين لفائف التوراة بحضور الاطفال ورقص النساء والرجال، وتوزع الحلويات والفواكه بعد هذا الطقس وينتهي الحفل بإضرام نيران عظيمة تأتي على المظال ويسمح هذا المنظر بالتسلية والقفز^(٢).

٣- عيد الاسابيع: ويطلق عليه ايضا عيد العنصرة أو الخطاب وسمي بهذا الاسم لأنه يمثل اليوم الذي خاطب به الله (سبحانه وتعالى) بني اسرائيل من طور سيناء ومن جملتها الكلمات العشر الى النبي موسى (ع)^(٣). ويسمى بالعبرية (عشرتا) اي الاجتماع^(٤). واسماه المقريري^(٥) بعيد المرفق وهو بعد عيد الفطيرة بسبعة اسابيع لذلك سمي بعيد الاسابيع ويقول اليهود ان الله (سبحانه وتعالى) أنزل فيها على بني اسرائيل الفرائض بضمنها الوصايا (الكلمات العشر المنسوبة الى النبي موسى (ع)^(٦).

٤- عيد الفطير: ويسمى ايضا عيد الفصح وموعده في الخامس عشر من نيسان، ومدته سبعة ايام ايضا كعيد المظلة، يأكلون فيه خبز الفطير، ولا يبقون في بيوتهم شيئاً من خبز الخمير، ويحيون حياة البداوة^(٧).

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤٢٦-٤٢٧؛ المقريري، الخطط، ج ٤، ص ٣٧.

(٢) شحلان، التراث العبري في الغرب الاسلامي، ص ٤٨.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

(٥) المقريري، الخطط، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤٢٧؛ المقريري، الخطط، ج ٤، ص ٣٧٧-٣٧٨.

وتوجب طقوس هذا العيد على اليهود إن يأكلون الخبز من عجين فطري لا يدخله الملح ولا الخمير تذكيراً بانهم عند فرارهم مع موسى من فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا الفراغ للتأنق في الخبز وانتظار العجين حتى يخمر، كما أن اكل خبز الفطير في هذا اليوم تذكير لليهود بمعيشة البداوة وبالْبؤس وشطف العيش^(١).

٥- عيد الغفران أو الكيبور: وموعده في العاشر من شهر تشرين ويصوم فيه اليهود ليلاً ونهاراً لحساب النفس على ما بدر منها من خطايا ويمثل هذا اليوم ذكر دخول يختصر اورشليم وتدميرها سنة (٥٨٦ ق.م) لذا فهو اكبر ايام الحداد عندهم وفي هذا اليوم يعلن اليهود نقضهم للعهد والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود ويجوز فيها أكل الديون التي على اليهودي والرجوع عن كل وعد^(٢).

ب- الاعياد المحدثّة: وهي الاعياد التي احدثتها اليهود ولم تنطق بها التوراة (٣) وهم عيدان.

١- عيد الحنكة: هي ثمانية ايام يؤقّدون في الليلة الاولى من لياليه على كل باب من ابوابهم سراجاً، وفي الليلة الثانية سراجين وهكذا الى ان يكون في الليلة الثامنة ثمانية سرج، ويرجع الاحتفال بهذا العيد الى عهد البطالمة وبالتحديد سنة (١٦٥ ق.م) إذ حاول احد حكام البطالمة المدعو (أنتيوخوس أبيفانس) ارغام اليهود على عبادة الاوثان، لكن كاهن اليهود الاكبر قاوم ذلك بمساعدة ابنائه الثمانية، الى ان تمكن بمساعدة أصغر ابنائه من استعادة الهيكل من سيطرة البطالمة ثم نظف الهيكل من التماثيل الاغريقية وثم اعادة فتحه مرة ثانية لممارسة الشعائر اليهودية لذلك سمي بالحنكة ومعناها التنظيف^(٣).

(١) ظاظا، الفكر الديني، ص ٢١٩.

(٢) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٣) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٢، ص ٤٢٨-٤٢٩؛ المقريري، الخطط، ج ٤، ص ٣٧٦-٣٧٧.

٢- عيد الفوز: وموعده في الثالث عشر من شهر اذار الى الخامس عشر منه، ويستمر لمدة ثلاثة ايام إذ يجتمع فيه ثلاث مناسبات معاً الاولى ولادة موسى (ع) والثانية وفاة موسى (ع) والثالثة مناسبة سبي نبوخذ نصر لليهود من فلسطين واسكانهم في اصفهان والعراق.

واتخذ اليهود من هذا العيد مناسبة للإفصاح عن المظلومية التي تعرضوا لها دون ذنوب اقترفوها^(١).

بل أيضاً بلغت درجة احترام السلطة الاسلامية لحقوق اهل الذمة الدينية أن منح موظفهم اجازات في ايام تعبدتهم واعيادهم الدينية^(٢).

مما يؤكد تسامح المسلمين مع النصارى في اداء طقوسهم وشعائهم الدينية، ما ورد في اشارات بعض الفتاوى ومنها ما ورد على لسان ابن عبدون من شيوع سماع اجراس الكنائس، وهو ما لم يكن مقبولاً بالنسبة له كمحتسب ويرى فيه تساهلاً في التعامل مع النصارى إذ قول "يجب ان يقطع ببلاد الاسلام ضرب النواقيس، وانما تضرب في بلاد الكفر"^(٣).

وهناك فتاوى أخرى تدل على تسامح المسلمين مع النصارى في اداء شعائهم وطقوسهم داخل الكنيسة والتساهل في السماح بحضور النساء المسلمات لمشاهدتها داخل الكنائس على الرغم من معارضة الفقهاء لذلك وفي ذلك يقول ابن عبدون "يجب ان تمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة فان القسيين فسقة لوطية"^(٤).

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص ١٣٨.

(٣) ابن عبدون، رسالة في اداب الحبسة والمحتسب، ص ٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨.

وخصصت الدولة المرابطية للنصارى مقابر خاصة بهم تماشياً مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن امواتهم تعرف هذه المقابر باسم مقابر الذميين^(١).

ومن هذا يتضح بأن السلطات الاسلامية لم تقم بمضايقة النصارى بالاندلس بل على العكس سمحت لهم بقرع الاجراس داخل الكنائس وخارجها في المواكب المسيحية وان السلطات الاسلامية لم تتخذ اجراءات لوقف تلك المظاهر على الرغم من تشدد الفقهاء.

كذلك اليهود تمتعوا بحرية في تطبيق شعائرهم الدينية وممارستها بكل حرية فقد كانت لليهود في الاندلس بيع وشنوعات ومنها الشنوعة التي كانت بقرطبة وبيعه اخلع بقرطبة^(٢).

وقد سمح لأهل الذمة اليهود والنصارى بإنشاء دور عبادات جديدة في الاماكن التي ترتفع فيها كثافتها السكانية^(٣) ولم يقتصر الامر على البناء بل تميزت دور العبادة بالانقان والتتميق فقد تميزت كنائس النصارى بـ"النواقيس العالية وصروحها المتعالية"^(٤). لذلك افتى الطرطوشي^(٥) بمخالفة اليهود والنصارى الذي امعنوا في زخرفة وتزيين دور عباداتهم.

ومما يدل على العدل والحرية الدينية مع اهل الذمة انتشار بعض المذاهب الدينية فقد انتشر بسبب حرية النشاط الديني بعض المذاهب اليهودية كمذهب القرائين الذي ادخله ابن الاطراس الى الاندلس وتابعت زوجته المهمة حتى تجذر في المغرب ايضاً وانتشر في بعض نواحي درعه وفاس^(٦).

(١) ابن جوزية، احكام اهل الذمة، ج ٢، ص ١٥٨.

(٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٤٨٥.

(٣) محمود، التسامح والتعايش، ص ٨٥.

(٤) المقرئ، نفح الطيب، ج ٦، ص ٣٧١.

(٥) الحوادث والبدع، ص ١٠٥.

(٦) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص ١٠٥.

وكان لليهود مقابر خاصة لهم فقد كان تعطيه "مقبرة اليهود"^(١) وسمح لهم بإقامة مقبرة أخرى جديدة قرب مقبرة ام سلمة الإسلامية^(٢) وبمخالقة مقبرة في الجزء الشرقي من المدينة^(٣) ومقبرة بماردة قرب وادي البرحبس^(٤).

ومن أجل الحفاظ على الشريعة الإسلامية فقد عرف اليهود شرب الخمر فقد كان لهم دور كبير في صناعته وبيعه لكونهم يشربونه في حياتهم العامة ومناسباتهم الخاصة وقد تأثر بعض المسلمين بهم وراحوا يشربون الخمر ولكون الشرع الإسلامي حرم الخمر ويلعن صاحبه وحامله وشاربه^(٥) فقد لجأ بعض المسلمين الى اليهود لشراؤه منهم^(٦) لذلك حاول المسلمون الحد من ظاهرة تفشي الخمر بين المجتمعات فقاموا بتحريم بيع اصول الكروم لهم^(٧).

وهكذا عاش اهل الاندلس محافظاً على تأدية الفروض الدينية وملتزماً باحكام الشرع ومن تهاون او تكاسل في تأديتها فأُن في حزم ولالة الامر ما يردعه ويعود به الى الطريق الصحيح.

(١) ابن بشكوال، الصلاة، ج ٢، ص ٤٦٢؛ ابن حيان، المقتبس، ص ٩٢.

(٢) محمود، التسامح والتعايش، ص ٨٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٣.

(٥) مؤنس، نصوص سياسية، ص ٢٠.

(٦) الونشريسي، المعيار، ص ٦٩.

(٧) محمود، التسامح والتعايش، ص ٨٧.

الخاتمة

الخاتمة

تعد حقوق الانسان في الإسلام من الحقوق الأصلية في حياة الافراد والمجتمعات، التي لا تقبل التنازل او التعطيل او الاستثناء، وقد حرصت الدولة الإسلامية على رعاية هذه الحقوق وحمايتها في بلاد الاندلس كما في بلاد المشرق، فشهد عصر المرابطين والموحدين تميزاً ملحوظاً في تمتع الانسان بحقوقه، وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات أهمها :-

١- اجتهدت الدولة الإسلامية في الاندلس عهد المرابطين والموحدين في تحقيق العدالة مع افراد المجتمع على اختلاف اجناسهم ومعتقداتهم وان يكون بشكل متفاوت او نسبي في بعض الاحيان وذلك ان العدل لا يمكن تحقيقه بشكل مطلق.

٢- اهتمت الدولة بحماية الاسواق وتنظيمها بالشكل الذي يحقق تطورها وازدهارها.

٣- حرص حكام الاندلس المسلمون على صحة الرعاية وضمان حقوقهم الطبية والعلاجية.

٤- حفظت الدولة الملكيات الصغيرة والكبيرة للرعية.

٥- اتبع الحكام اسلوباً عادلاً في جميع الضرائب.

٦- نال اهل الذمة حقوقهم وفق عقد الذمة فأبقوهم على تنظيمهم الديني والاداري وممارسة الشعائر الدينية بكل حرية وعملوا في أغلب النشاطات الاقتصادية والسياسية وتسلموا مناصب ادارية وسياسية وعسكرية.

٧- اتخذ المرابطين والموحدين الشورى سبيل في ادارة الدولة.

٨- تمتعت المرأة الاندلسية في ظل الحكم المرابطين والموحدين بحقوقها التي اقرتها لها الشريعة الإسلامية.

٩- حرص ولاية الامر على تطبيق احكام الدين وتنفيذ تعاليمه بين افراد المجتمع والتشدد في اقامة الشعائر الدينية.

١٠- حرص الحكم المرابطين والموحدين على تطوير الحركة العلمية وأزدها من خلال خلق الاجواء المناسبة فنال الرجال والنساء حقهم في التعليم من المسلمين وأهل الذمة.

المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

- ابن الأثير، ابو الحسن بن ابي كرم، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
١- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- أبن الأبار، محمد بن عبدالله أبن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م).
٢- الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- أبن أبي أصيبعة، احمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).
٣- عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د- ت.
- ابن ابي زرع، ابو الحسن بن علي بن عبدالله الفاسي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م).
٤- الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٧٢م.
- ابن الاحمر، اسماعيل (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م).
٥- بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- الادريسي، محمد بن عبدالله بن ادريس (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م).
٦- نزهة المشتاق في أختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ٧- صفة المغرب وارض السودان في مصر والاندلس، مطبعة بريل، ط١، هولندا، ١٨٦٣.
- ابن الأصبغ، عيسى بن عبدالله الاسدي (ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م).
٨- الاحكام الكبرى، تح: ثورة محمد عبد العزيز التويجري، د- ط، ١٩٩٥م.
- الاندلسي، محمد يوسف (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م).
٩- تفسير البحر المحيط، تح: عادي احمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوفي، د- ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

- البخاري، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).
- ١٠- الجامع المسند الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت.
- البرزلي، ابي القاسم احمد البلوي (٨٠٤هـ / ١٤٠١م).
- ١١- جامع مسائل الاحكام، تح: محمد طيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، د-ت.
- ابن بسام، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م).
- ١٢- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: احسان عباس، الدار العربية للكتب، ط٣، تونس، ١٩٨٧.
- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م).
- ١٣- الصلة في تاريخ علماء الاندلس، تح: شريف ابو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).
- ١٤- المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، د. ط، مكتبة المثنى، ١٨٥٧م.
- البيهقي، ابي بكر بن علي الصنهاجي،
- ١٥- اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تح: ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨م.
- التطيلي، بنيامين بن الرابي يونه التطيلي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م).
- ١٦- رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي للنشر، ابو ظبي، ط١، د-م، ٢٠٠٢م.
- ابن تيمية، تقي الدين احمد (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م).
- ١٧- مجموعة الفتاوى، تح: عامر الجزار وانور الباز، دار ابو الوفاء.
- الجرسقي، عمر بن عثمان بن عباس (ت ٢١٤هـ / ٨٠٠م).

- ١٨- رسالة في الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، نشرت ضمن ثلاث رسائل
اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي،
القاهرة، ١٩٥٥م.
- الجزنائي، علي.
- ١٩- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور،
المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩١.
- ابن جزي، محمد بن احمد بن جزي ت(٧٤١هـ / ١٣٤٠م).
- ٢٠- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تح: ماجد الحموي، ط١،
دار ابن حزم.
- ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد ت(٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
- ٢١- رسائل ابن حزم، تح: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات،
بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٢- المحلى بالأثار، تح: لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة،
بيروت، د-ت، د-ط.
- ٢٣- طوق الحمامة وظل الغمامة في الالفه والآلاف، تح: حسن كامل
الصيرفي، مطبعة حجازي، د-ط، د-م، ١٩٥٠.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- ٢٤- معجم الادباء، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، ط١، د-م،
١٩٩٣.
- ٢٥- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الحميري، محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م).
- ٢٦- الروض المعطار في خير الاقطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر
للثقافة، د-م، ١٩٨٠م.
- ابن حنبل، احمد بن محمد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).
- ٢٧- مسند الامام احمد بن حنبل، تح: شعيب الارنؤوط واخرون، مؤسسة
الرسالة، د-م، ١٩٩٩.

- ابن حوقل، ابو القاسم محمد (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م).
- ٢٨- صورة الأرض، دار صادر، افست ليدن، بيروت، ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت ٤٨٦هـ / ١٠٧٦م).
- ٢٩- المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، ١٩٦٥.
- ابن خاقان، ابي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م).
- ٣٠- قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، تح: الدكتور حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٩.
- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبد الله (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٠م).
- ٣١- المسالك والممالك، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.
- الخشني، معد بن الحارث الخشني (٣٦١هـ / ٩٧١م).
- ٣٢- قضاة قرطبة، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله التلمساني (ت ٧٦٦هـ / ١٣٧٤م).
- ٣٣- اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤.
- ٣٤- الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٣٥- رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية، ط١، تونس، د-ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م).
- ٣٦- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
- ٣٧- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م).
- ٣٨- سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٢، د-م، ١٩٨٥.
- ٣٩- العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن رشد، محمد بن احمد بن احمد بن رشد (٥٢٠هـ / ١١٢٦م).
- ٤٠- فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٧م.
- ابن الزبير، ابو جعفر احمد ت (٧٠٧هـ / ١٣٠٧م).
- ٤١- صلة الصلة، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٣٧م.
- الزجالي، عبدالله بن احمد (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م).
- ٤٢- امثال العوام في الاندلس، تح: محمد بن شريفة، طبع بمساعدة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، د-م، د.ت.
- الزركشي، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (٩٣٢هـ / ١٥٢٥م).
- ٤٣- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط٢، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.
- ابن زهر، ابي مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م).
- ٤٤- تح: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن سعيد، علي بن يوسف بن سعيد ت (٦٨٥هـ / ٦٣م).
- ٤٥- المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٤٦- بسط الارض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط، مطبعة كريمةاديس، تطوان، المغرب، ١٩٥٨م.
- السقطي، ابو عبدالله محمد بن ابي محمد.
- ٤٧- في أداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة ارسنت لورد، باريس، ١٩٣١م.

- السلاوي، أحمد بن خالد الناصري (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م).
- ٤٨- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
- ابن السماك العاملي أبو القاسم محمد بن أبي العلاء (عاش في القرن الثامن الهجري).
- ٤٩- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر بوباية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٩م.
- الشيرزي، عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م).
- ٥٠- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: حسن محمد حسن اسماعيل، احمد فريد المذيري، دار الكتب العلمية، د-ت، د-ط.
- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن صاحب الصلاة، (٥٩٤هـ / ١١٩٧م).
- ٥١- المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)
- ٥٢- تفسير القرآن للصنعاني، تح: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، د-ت.
- الضبي، احمد بن يحيى بن احمد (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م).
- ٥٣- بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس، دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف (٥٢٠هـ / ١١٢٦م).
- ٥٤- سراج الملوك، تح: محمد فتحي ابو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- ٥٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: الاستاذ مصطفى بن احمد العلوي والاستاذ محمد عبد الكبير البكري، د-م، ١٩٦٧.
- أبن عبد الرؤوف، أحمد بن عبدالله.

- ٥٦- رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، نشرت ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن عبد الملك، ابو محمد الانصاري (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م).
- ٥٧- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تح: احسان عباس، ط١، بيروت، ١٩٧٣م.
- ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي (ت ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م).
- ٥٨- رسالة في القضاء والحسبة، نشرت ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب، دار ابن حزم للطباعة والنشر.
- ابن عذاري، احمد بن محمد (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م).
- ٥٩- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: امير وسي ميرانده، تطوان، ١٩٦٠م.
- العربي، محمد بن عبدالله ابو بكر (ت: ٥٤٣هـ / ١١٤٨م).
- ٦٠- تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
- ٦١- الأصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن العماد، عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).
- ٦٢- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، د.ت.
- أبي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
- ٦٣- تقويم البلدان، تح: رينود، وماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت.
- الفيروزابادي، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).
- ٦٤- القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرساله للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.
- ابن القاضي المكناسي، أحمد بن محمد (ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م).

- ٦٥- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، د. ط، المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م.
- القاضي عياض، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت(٥٤٤هـ / ١١٤٩م).
 - ٦٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٠م.
 - ٦٧- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح، ماهر زهير جرار، ط١، دار الغرب الاسلامي، د-م، ١٩٨٢.
 - ٦٨- مذاهب الاحكام في نوازل الاحكام، تح: الكتور محمد بن شريفة، دار الغرب الاسلامي، ط١، بيروت، د-ت.
 - ابن القطان، علي بن محمد ت(٦٢٨هـ / ١٢٣٠م).
 - ٦٩- نظم الجمان وواضع البيان فيما سلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٩٠م.
 - القفطي، ابو الحسن بن علي بن يوسف (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).
 - ٧٠- اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
 - القلقشندي، أبو العباس أحمد ابن علي (٨٢١هـ / ١٤١٨م).
 - ٧١- صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، د. ط، القاهرة، د-ت.
 - ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).
 - ٧٢- تاريخ افتتاح الاندلس، تح: ابراهيم الاياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.
 - القيرواني، ابي عبد الله الشيخ محمد بن ابي القاسم.
 - ٧٣- المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط١، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦.
 - ابن القيم الجوزية، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م).
 - ٧٤- أحكام اهل الذمة، تح: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣.

- الكاساني، علاء الدين بن مسعود بن احمد (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م)
٧٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط٢، د-م،
١٩٨٦.
- ابن الكردبوس، عبد الملك بن قاسم التوزري ت(٥٧٥هـ / ١١٧٩م).
٧٦- تاريخ الاندلس، تح: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلاميه
بمدريد، ١٩٧١م.
- ابن ماجة، ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م).
٧٧- سنن ابن ماجة، تح: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الكتب
العلمية، بيروت، د.ت.
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد حبيب البصري (٤٥٠هـ /
١٠٥٨م).
- ٧٨- الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي ت(٦٤٧هـ / ١٢٤٩م).
٧٩- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة
العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة لثقافة الدينية، القاهرة،
١٩٩٧.
- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
٨٠- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر،
بيروت، ١٩٦٨م.
- المقرئزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
٨١- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط
المقرئزية، القاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٩٩٨.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)،

٨٢- لسان العرب، تح: عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، د-ت، د-م.

• مؤلف مجهول.

٨٣- الاستبصار في عجائب الامصار، تعليق: الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

• النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م).

٨٤- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٩٨٣.

• النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣هـ / ١٣٣٣م).

٨٥- نهاية الارب في فنون الادب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٨٦- دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دار الندوة الجديدة، د-م، د-ت.

• الونشريسي، ابي العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م).

٨٧- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والاندلس والمغرب، تح: محمد الحجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١.

• اليافعي، ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٨٦هـ / ١٣٦٦م).

٨٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧.

• يحيى بن عمر، بن يوسف الكناني، (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م).

٨٩- احكام السوق، اعتنى بالنص: جلال علي عامر، المطبعة التونسية، د-ت.

المراجع

• ارسلان، شكيب.

٩٠- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت، د-ت.

- ٩١- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦.
- الاوسي، حكمة علي.
- ٩٢- الادب الاندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٦.
- الباش، حسن مصطفى
- ٩٣- حقوق الانسان بين الفلسفة والاديان، دار الكتب الوطنية، ط ١، د-ت.
- البعلبكي، منير، المورد.
- ٩٤- دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٣.
- بو تشيش، أبراهيم القادري.
- ٩٥- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د-ت.
- البياتي، منير حميد
- ٩٦- النظام السياسي الاسلامي مقارنا بالدولة القانونية، دار وائل، ط ١، عمان، ٢٠٠٣.
- بيرم، عيسى.
- ٩٧- حقوق الانسان وحياته العامة، دار المنهل اللبناني، ط ١، بيروت، ٢٠١١.
- الجدة، رعد ناجي، وآخرون
- ٩٨- حقوق الانسان والطفل والديمقراطية، طبع على نفقة جامعة تكريت، ٢٠٠٩.
- الحجي، عبد الرحمن علي.
- ٩٩- التاريخ الاندلسي، دار القلم، دمشق، ١٩٨١.
- حركات، ابراهيم.
- ١٠٠- المجتمع الاسلامي والسلطة في العصر الوسيط، افريقيا الشرق، د-م، ١٩٩٨.
- ١٠١- المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ط ١، ١٩٧٨.

١٠٢- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، الدار البيضاء، د-ت، د-

م.

• حسن، ابراهيم حسن.

١٠٣- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل،

بيروت، ١٩٩٦.

• حسن، علي حسن.

١٠٤- الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، ط١، مكتبة الخانجي،

القاهرة، ١٩٨٠.

• حسين، حمدي عبد المنعم محمد.

١٠٥- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين،

دار المعرفة الجامعية، د-م، ١٩٩٧.

• حمادة، محمد ماهر.

١٠٦- المكتبات في الاسلام، مؤسسة الرسالة، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨.

• ابن حمديس، عبد الجبار بن ابي بكر بن محمد.

١٠٧- ديوان ابن حمديس، تح: جلستينو سكيابارييلي، مطبعة رومية الكبرى،

١٨٩٧م.

• الخالدي، خالد يونس عبد العزيز.

١٠٨- اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس، مطبعة ومكتبة دار

الارقم، غزة، ٢٠١١.

• الخربوطلي، علي حسني.

١٠٩- الاسلام واهل الذمة، القاهرة، ١٩٩٦.

• الخزاعي، كريم عاتي.

١١٠- أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع

الهجري، الدار العربية، د-م، د-ت.

• خلاف، محمد عبد الوهاب.

- ١١١- تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الاندلس، الناشر كلية الاداب، د-م، ١٩٨٤.
- دندش، عصمت عبد اللطيف.
- ١١٢- الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٨.
- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني (١٢٠٥).
- ١١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر طبعة الكويت، ط٢، د-م، د-ت.
- الزركلي، محمد بن محمد بن علي.
- ١١٤- الاعلام، دار العلم للملايين.
- الزعفراني، حاييم.
- ١١٥- يهود الاندلس والمغرب، ترجمة: احمد شحلان، مرسوم الرباط، د-ت.
- سالم، عبد العزيز.
- ١١٦- بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة والاثار، دار الغرب الاسلامي، ط١، د-م، ١٩٩١.
- ١١٧- تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٤.
- ١١٨- تاريخ حضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٥.
- السامرائي، عبد الحميد حسين.
- ١١٩- المؤسسات الادارية في المغرب الاسلامي، دار دجلة، د-م، د-ت.
- الساموك، سعدون محمود
- ١٢٠- حقوق الانسان في الاديان، دار المناهج، د-ط، د-ت.
- سامعي، اسماعيل.
- ١٢١- تاريخ الاندلس الاقتصادي والاجتماعي، مركز الكتاب الاكاديمي، ٢٠١٨.

- السائح، الحسن.
- ١٢٢- الحضارة الاسلامية في المغرب، دار الثقافة، ط٢، ١٩٨٦.
- السبتى، عبد الاحد، فرحات، حليلة.
- ١٢٣- المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤.
- السيد، محمود.
- ١٢٤- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.
- شافع، راوية عبد الحميد.
- ١٢٥- المرأة في المجتمع الاندلسي من الفتح الاسلامي للانندلس حتى سقوط قرطبة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٦م.
- شحلان، أحمد.
- ١٢٦- التراث العبري اليهودي في الغرب الاسلامي، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، ط١، د-م، ٢٠٠٦.
- الشعكة، مصطفى.
- ١٢٧- الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م.
- شنطاوي، فيصل
- ١٢٨- حقوق الانسان والقانون الدولي الانساني، دار الحامد، ط١، عمان، ٢٠٠١.
- الصلابي، علي محمد.
- ١٢٩- صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي، دار الايمان، ط١، مصر، ٢٠٠٣.
- ١٣٠- دولة الموحدين، دار البيارق، ط١، الاردن، ١٩٩٨.
- ١٣١- فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة أقرا للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦.
- الصالح، محمد بن أحمد بن صالح

- ١٣٢- حقوق الانسان في القرآن والسنة، دار الوطن، ٢٠٠٣.
- ابو الصوف، بهنام
- ١٣٣- قراءة في المضمون القانوني للشرائع العراقيه القديمة، مجلة دراسات قانونيه، بيت الحكمه، العدد الثاني، ٢٠٠٠.
- ١٣٤- حقوق المرأة في شرائع العراق القديم، صحيفة حقوق الانسان، العدد الخامس، بغداد، ١٩٩٦
- ضيف، احمد شوقي.
- ١٣٥- بلاغة العرب في الاندلس، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس، ١٩٩٨.
- ١٣٦- عصر الدول والامارات الاندلس، دار المعارف، القاهرة، د-ت.
- طه، عبد الواحد ذنون.
- ١٣٧- دراسات أندلسية، دار المدار الاسلامي، ط١، ٢٠٠٤.
- طه، جمال احمد.
- ١٣٨- مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، د-ت، د-م.
- ظاظا، حسن.
- ١٣٩- ابحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٧.
- العامري، محمد بشير.
- ١٤٠- دراسات حضارية في التاريخ الاندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، د-م، ٢٠١٢.
- العبادي، أحمد مختار.
- ١٤١- دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د-ت.
- عباس، احسان.
- ١٤٢- تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧.
- عبد البديع، لطفي.

- ١٤٣- الاسلام في اسبانيا، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٨.
- عبد الكافي، اسماعيل عبد الفتاح
- ١٤٤- حقوق الانسان العامة في الاسلام، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.
- عبد الوهاب، حسن حسني.
- ١٤٥- ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٥.
- العطار، احمد هاشم
- ١٤٦- ملامح حقوق الانسان في شرائع العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٤.
- عمارة، محمد
- ١٤٧- الاسلام وحقوق الانسان، عالم المعرفة، الكويت، د-ط، د-ت.
- عنان، محمد عبدالله.
- ١٤٨- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ط٢، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠.
- العيلي، عبد الحكيم.
- ١٤٩- الحريات العامة، دار الكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٨٣.
- الغزالي، ابو حامد.
- ١٥٠- الحلال والحرام، دار الجيل، بيروت، (د-ت).
- الغزالي، محمد.
- ١٥١- حقوق الانسان، دار النهضة، مصر، (د-ت).
- فروخ، عمر.
- ١٥٢- تاريخ الادب العربي، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨١م.
- القرضاوي، يوسف.
- ١٥٣- غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، د-ت.
- الكافي، اسماعيل عبد الفتاح.
- ١٥٤- حقوق الانسان العامة في الاسلام.

- كحيلة، عبادة.
- ١٥٥- تاريخ النصارى في الاندلس، ط١، د-م، ١٩٩٣.
- كوكبة، فائق.
- ١٥٦- التصنيف اللغوي والادبي في عصري المرابطين والموحدين، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢.
- مجهول.
- ١٥٧- مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقيق، المغرب، ٢٠٠٥.
- المحمصاني، صبحي
- ١٥٨- اركان حقوق الانسان، دار العلم للملايين، ط١، لبنان، ١٩٧٩.
- محمود، حسن احمد.
- ١٥٩- قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة.
- مصطفى، كمال سعدي
- ١٦٠- حقوق الانسان بين المواثيق الدولية والمذاهب الفكرية، دار الكتب القانونية، مصر، د-ت.
- المعموري، محمد عبد الله
- ١٦١- تاريخ المغرب والاندلس، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٢.
- المنوني، محمد.
- ١٦٢- العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، ط٢، الرباط، ١٩٧٧م.
- موسى، عز الدين احمد.
- ١٦٣- النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م.
- مؤنس، حسين.
- ١٦٤- فجر الاندلس، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٥.
- الناقة ابراهيم السيد.

١٦٥- دراسات في تاريخ الاندلس الاقتصادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠١٠.

• نور الدين، زرهوني.

١٦٦- الطب والخدمات الطبية في الاندلس، دار شباب الجامعة، ٢٠٠٦.

• النوش، أحمد حسن.

١٦٧- التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الاندلسي، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.

• هادي، رياض عزيز

١٦٨- حقوق الانسان تطورها-مضامينها حمايتها، بغداد، ٢٠٠٥

• الهرفي، سلامة محمد سلمان.

١٦٩- دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دار الندوة الجديدة، د- م، د- ت.

• يوسف، عواد، وآخرون

١٧٠- حقوق الانسان في الحياة التربوية، ط ١، دار المناهج، عمان، ٢٠٠٨.

• يوسف، نعيم.

١٧١- الشورى بين النظرية والتطبيق، دار البشير، ط ١، ٢٠٠٠م.

المراجع العربية

• استانلي لين بول.

١٧٢- طبقات سلاطين الاسلام، تح: علي البصري، دار منشورات البصري، ١٩٦٨.

• أشباخ، يوسف.

١٧٣- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦.

• بالنثيا، أنجل جنثالث.

١٧٤- تاريخ الفكر الاندلسي، تر: حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د- ت.

- بروفنسال، ليفي.
- ١٧٥- حضارة العرب في اسبانيا، ترجمة: ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، د-ت.
- ١٧٦- سلسلة محاضرات في ادب الاندلس وتاريخها، تر: محمد عبد الهادي شعير، مر: عبد الحميد العبادي بك، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥١.
- بروي، أدوار.
- ١٧٧- تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، تر: يوسف اسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ١٩٨٦.
- بلباس، ليربولدو توريس.
- ١٧٨- المدن الاسبانية الاسلامية، تر: إيلو دورو دي لابنيا، راجع: نادية محمد جمال-عبد الله ابراهيم العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ٢٠٠٣.
- جوايتاين.
- ١٧٩- دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعريب: عطية القوصي، الكويت، ١٩٨٠.
- ديورانت، وليام مس ديوارنت.
- ١٨٠- قصة الحضارة، تق: محي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الخيل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، تونس، ١٩٨٨.
- زامباور.
- ١٨١- معجم الانساب والأسرات الحاكمة، تح: زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.
- كونستبل، اوليفياريومي.
- ١٨٢- التجارة المسلمون في تجارة الاندلس الدولية، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ١٩٩٩.

١٨٣- التجارة والتجار في الاندلس، تعريب: فيصل عبدالله، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٢.

• مورينو مانويل جوميث.

١٨٤- الفن الاسلامي في اسبانيا، تر: عبد العزيز سالم، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، د-ت.

• هونكة، زيخريد.

١٨٥- شمس العرب تسطع على الغرب، تر: غاروق بيضون، كمال الدسوقي، راجع: مارون عيسى الخوري، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٣.

الرسائل والاطاريح :-

• بلغيث، محمد الامين.

١٨٦- الحياة الفكرية بالاندلس في عصر المرابطين، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٣.

١٨٧- الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، ١٩٨٧.

• حداد، مزوية.

١٨٨- سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، ٢٠١٣.

• دلة، لمياء توفيق.

١٨٩- الاندلس الاسلامية بين ملوك الطوائف ودولة المرابطين، رسالة دكتوراه، جامعة بيروت، كلية الاداب، ٢٠١٦.

• زبار، كاظم علي.

١٩٠- حقوق الانسان في الاندلس منذ الفتح الى نهاية عصر الطوائف، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، ٢٠٢٠.

• زليخة قادي، ونور الهدى عبيد.

- ١٩١-الاعياد والاحتفالات في الاندلس، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، ٢٠١٧.
- سمية سعادة، وهدى عبدو.
- ١٩٢- اهل الذمة في العهد الموحدى (الحضور والاسهامات)، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٧.
- صديقي، عبد الجبار.
- ١٩٣- سقوط دولة الموحدين دراسة تحليلية في الاسباب والتداعيات، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، ٢٠١٤.
- الهاشمي، عبد الوهاب.
- ١٩٤- اهل الذمة على عهد الدولة الموحدية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران، ٢٠٢٠.
- ولدان، محمد الامين.
- ١٩٥- النصارى واليهود من سقوط الدولة الاموية الى نهاية المرابطين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠١٣.

المجلات:-

- ايمان عبد الرحمن حسن العثمان.
- ١٩٦- التعايش السلمى للمسلمين مع اهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (٥٣٧ / ١١٤٢م)، مجلة كلية العلوم الاسلامية، المجلد الثامن، العدد الثاني، ٢٠١٤.
- جرار، صلاح.
- ١٩٧- من صور التسامح الاسلامي في الاندلس، مجلة التسامح، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد ١، ٢٠٠٣.
- الجراري، عباس.

- ١٩٨- التسامح الديني واثرة في حضارة الاندلس، مجلة التسامح، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد ١، ٢٠٠٣م.
- ابن خيرة، رقية.
- ١٩٩- معاقرة الخمر في المجتمع الاندلسي بين التنظير الشرعي والواقع التاريخي خلال عصري الطوائف والمرابطين، مجلة المواقف للبحوث والدراسات، العدد احدى عشر، ٢٠١٦.
- زقزوق، محمود حمدي.
- ٢٠٠- التسامح في الاسلام، مجلة التسامح، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد ١، ٢٠٠٣م.
- شاكي، عبد العزيز.
- ٢٠١- حضور اهل الذمة في المجتمع الاندلسي عمل استقرار ام عامل فوضى، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة بوضياف، العدد الثاني عشر، ٢٠١٧.
- عيساوة، محمد.
- ٢٠٢- لباس اهل الذمة في الاندلس مظهراً من مظاهر التسامح الاجتماعي الاسلامي معهم، مجلة قضايا تاريخية، العدد العاشر، ٢٠١٨.
- محمود، خالد حسين.
- ٢٠٣- التسامح والتعايش بين المسلمين واهل الذمة ببلاد الاندلس الى نهاية عصر المرابطين، جامعة عين شمس، مصر.
- مؤنس، حسين.
- ٢٠٤- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد الاول، العدد الثالث، ١٩٥٥م.

Abstract

Human rights are inherited rights that a person obtains insofar as he is a human being. The believer does not obtain them without the infidel, the man without the woman, or the benefactor without the abuser. Rather, they are attained by all human beings as they are human beings, just as the reference for human rights is sentimental, as the human being was born while he was living. Feeling his right to live and to live a dignified life and to enjoy equality with all members of his sex and have the right to freedom of belief and the right to brotherhood, love and compassion, and the right to resort to a just judiciary in the event of disagreement. Since its establishment, the Islamic state has been able to make the application of human rights principles a model at all levels, including all aspects of life in the state, guaranteeing the rights of the dhimmis before the right of the Muslim, preserving the rights of women, and ensuring health care for all since the time of the Noble Messenger until the present time. Human rights in Islamic Sharia are political and social rights, and the state's responsibility to guarantee them is a positive responsibility. On this doctrinal basis, all rights that guarantee human dignity are converged in Islamic law, which shows everyone that the Islamic state preceded everyone in this field and that what it provided in the application of these rights exceeded what human rights advocates sing at the present time. The subject of human rights is one of the important historical topics that did not receive wide attention by researchers, and the reason for this may be due to the lack of available historical material, as well as the scattering of information in the folds of books and references, which requires the researcher to double effort in order to access this information and use it in a way that serves the unit. The subject In the midst of this importance and addressing the obstacles, I influenced myself to delve into the folds of this topic and delve into its depths to form a historical idea of a social issue of great importance through the ages until the present time.

This study came in an introduction, preface, three chapters, and a conclusion. Our study reached a number of conclusions, the most important of which were.

Andalusian women enjoyed a prominent position, gained their social, economic, political and cultural rights, and exercised their right to work in various fields.

The Muslim rulers were also keen to follow the policy of justice and equality among the subjects.

**The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Babylon
College of Education for Human
Sciences**



Human rights in Andalusia in the Almoravid and Almohad eras

Message provided

(484-632 A.H/ 1092-1233 A.D)

Council of the College of Education for Human Sciences / University of Babylon

It is part of the requirements for obtaining a master's degree

In Islamic history

By

Ruqyah Ali Abdul-Zahra

Supervised by

Prof. Dr. Mohammed Abdullah Al-Mamouri

1443 A.H

2022 A.D